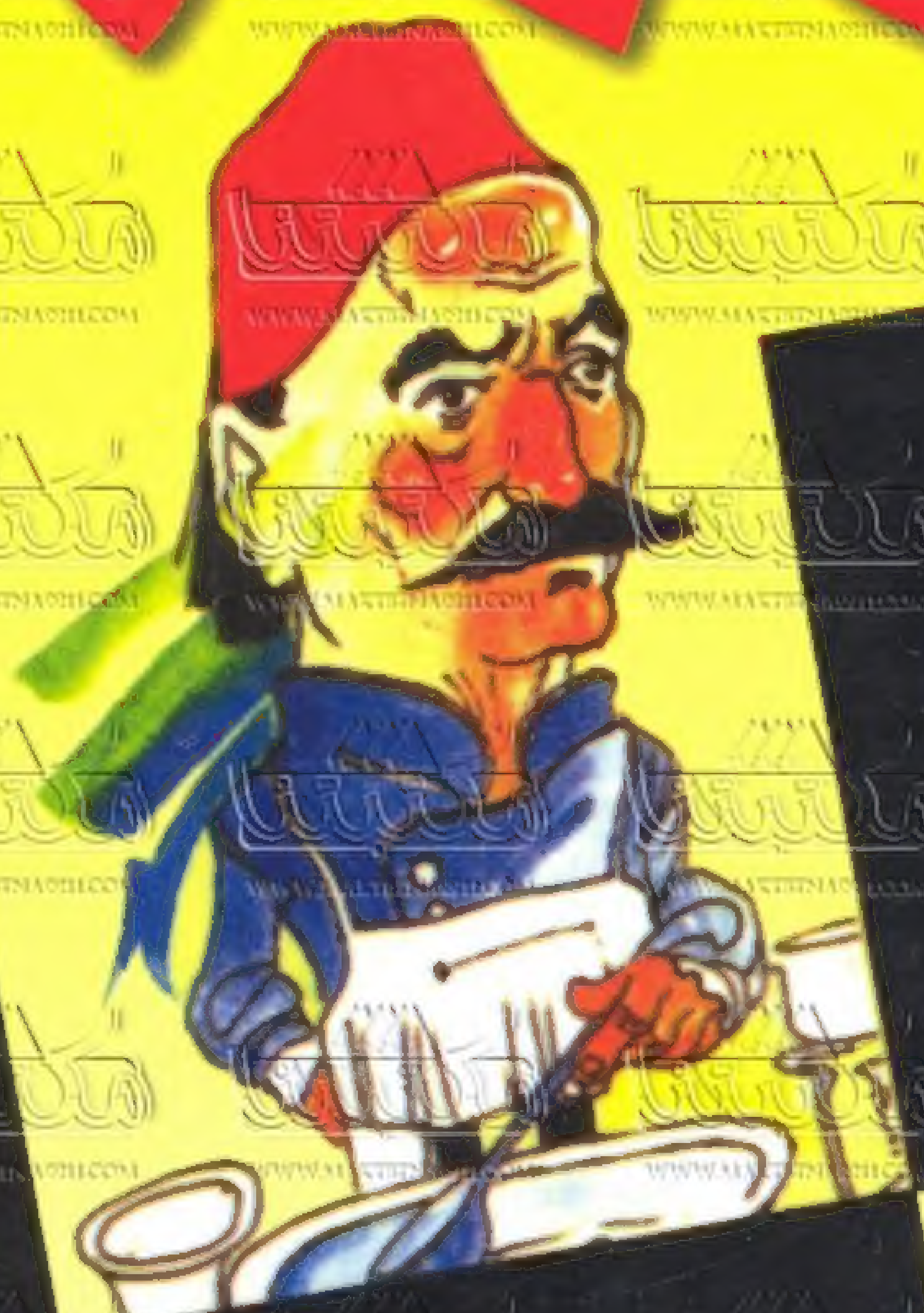
318

أنيس منصور

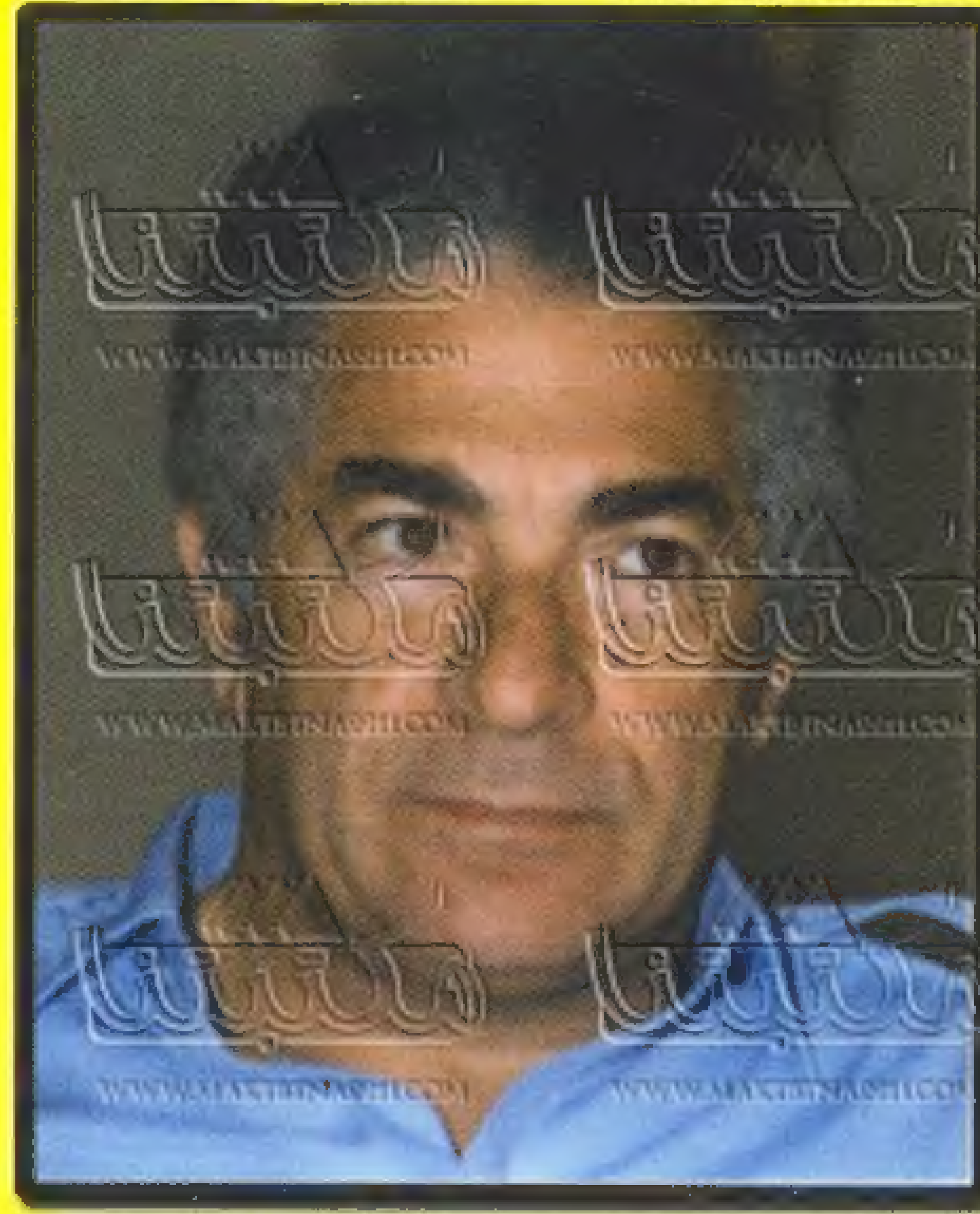
لعلك تضحك





هــذا الكتــاب



Sat.
19/1/2013
Riyadh

مقياس حضارة الشعوب

قدرتها على أن تضحك!

الحظ يضحك لمن يضحك على نفسه كثيرًا !

إذا لم تضحك على نفسك كثيرًا، أعطيت للآخرين هذه الفرصة!

المرأة التى تضحك لنكت زوجها، إما أن النكت مضحكة فعلاً، وإما أنها زوجة مخلصة!

من يضحك لنكت رؤسائه ليس مجاملاً وإنما هو إنسان عملى جدًا !

يوم لم أضحك فيه، يوم من عمرى ضاع !

الضحك .. موسيقى الروح !

وكما يتكلم الناس بدرجات مختلفة .

فكذلك يضحكون .. يقهقهون .. يقفزون .. يصرخون.. يرقصون ..

فالضحك يهون علينا مشاكل الدنيا .. أنه مثل «ماسحات المطر»

فى مقدمة السيارات .. يجلو الزجاج لكى نرى أوضح..

والضحك مثل التثاؤب يعدى .. أى ينتقل منى إليك ..

ففى هذا الذى سوف تقرؤه ما يدعو إلى ذلك، فإن حدث،

فقد نجحت، وإن لم يحدث فسوف أحاول مرة أخرى ..

أو حاول أنت مرة أخرى ..

أنيس منصور



دار نهضة مصر للنشر


6 221133 302166

www.nahdetmisr.com

كتابنا القادم



سلسلة صناعة الثقافة 1

صناعة الثقافة

تعريفها، قواعدها، خصائصها، مصادرها، أزماتها، صناعتها،
وأهم دور النشر والمكتبات والصوتيات





د. طارق محمد السويدان
أ. فيصل عمر باشراحيل

أنيس منصور

لعلك تضحك



كلمة أولى!

مقياس حضارة الشعوب : قدرتها على أن تضحك ! .

* * *

الحظ يضحك لمن يضحك على نفسه كثيرا ! .

* * *

إذا لم تضحك على نفسك كثيراً ، أعطيت للآخرين هذه الفرصة السانحة ! .

* * *

غلط : أن تضحك دقيقة وتبكى ساعة ! .

* * *

المرأة التى تضحك لنكت زوجها ، إما أن النكت مضحكة فعلاً ، وإما أنها زوجة مخلصة ! .

* * *

من يضحك لنكت رؤسائه ليس مجاملاً وإنما هو إنسان عملى جدا ! .

* * *

الضحك مع الناس وليس عليهم ! .

* * *

الضحك : ملح الطعام ! .

* * *

يوم لم أضحك فيه ، يوم من عمرى ضاع ! .

* * *

الضحك : موسيقى الروح ! .

* * *

من يضحك يجد الناس حوله ، ومن يفكر ، يجد نفسه وحيداً ! .

* * *

وكان العالم المصرى د . أحمد زكى يقول : اضحك ترقص معدتك ! .

أى الضحك يقضى على التوتر والتقلصات . . وكلها تساعد العقل على أن يستريح ، والمعدة على أن تهضم . . وكل الذين يشكون من اضطرابات المعدة هم العصبيون . . هم الذين لم يعرفوا كيف يكون الضحك وعلى أى شىء . .

وكما يتكلم الناس بدرجات مختلفة . . فكذلك يضحكون . . يقهقهون . . يقفزون . . يصرخون . . يرقصون . .

وكلها محاولات لإطلاق طاقات مكتومة . . فك مؤثرات عضلية . . وتقلصات عصبية . . وفى النهاية يكون لهم الاسترخاء الذى هو دليل على الهدوء التام والراحة الشاملة . .

وهى حالة تشبه حالة الشفاء من كل داء . . أو حالة تفكك كل العقد . . فلو حدث ذلك كل يوم أو أسبوع كان ذلك أحسن وأرخص وأكبر دواء لكل داء . .

وكما أن هناك أناس يتذوقون الطعام ، فهناك آخرون لايجدون فيه متعة . . وهناك أناس يتذوقون النكتة والقفشة والعبارة المضحكة ، والكاريكاتير الساخر ، فهناك آخرون يمرون على كل ذلك دون أن يروه أو يسمعوه . . فلم يعتادوا على التذوق ، ولم يعتادوا على أيسر أنواع الراحة : الضحك !

ولم يمتعنى ويوجع قلبى مثل كتاب «الإمتاع والمؤانسة» للمفكر التعيس أبوحيان التوحيدى . فهذا الكتاب مؤلف عن مجموعة من الندوات يتحدث فيها أبوحيان التوحيدى الفيلسوف المفلس - وهو حاقد على دنياه - ومعه حق ، وكل الناس حاقدون عليه ، ومعهم حق . . فهو لم ينل من الدنيا مايستحقه ، والعلماء حاقدون على علمه الغزير وأفكاره العميقة . . وهو رجل «يتسول» لقمة العيش بفلسفته وبأن يكون مسلياً للأمير . .

ولكن الذى يوجع القلب أكثر هو أن هذا الرجل قبل أن يفرغ من ندوته ومناقشاته الفلسفية يطلبون إليه أن يقول للأمير نكته قبل النوم ! .

فالأمير على حق ، لقد أجهد رأسه وتعب ، ويريد ألا يحمل كل هذه المشاكل معه على المخدة فلا ينام . . وهو يريد أن ينام . . ولابد من نكتة تزلزل الهموم وتسقطها عن دماغه ، حتى

يستريح رأسه على المخدة . . والحل : هو نكتة يرويها نفس الرجل الذى أوجع دماغه بالفلسفة . . فيتحول أبوحيان التوحيدى من فيلسوف إلى متسول . . أراجوز يجب أن يضحك الأمير حتى ينام ، ولايهم أن ينام أبوحيان وأولاده الذين هم أشد حقداً على الدنيا من أبيهم ! .

والذى يضحكنا لايخلو من معنى . . والمعنى أن لكل شيء جانباً يبعث على الضحك من أخطائنا أو من اندفاعنا أو غباوتنا . . فنضحك من الصورة التى بدت أمام كثير من الناس . . فأنت تجد شخصاً سقط فجأة على الأرض . . ونهض من الأرض يضحك على ماحدث له . . إنه بسرعة استعار موقف الآخرين وبدلاً من أن يجدهم يضحكون عليه . . فإنه ينضم إليهم ويضحك على نفسه . .

فالضحك يهون علينا مشاكل الدنيا . . إنه مثل «ماسحات المطر» فى مقدمة السيارة . . يجلو الزجاج لكى نرى أوضح . . والضحك مثل التثاؤب يعدى . . أى ينتقل منى إليك انتقالاً غريزياً . .

ففى هذا الذى سوف تقرؤه مايدعو إلى ذلك . . فإن حدث ، فقد نجحت ، وإن لم يحدث فسوف أحاول مرة أخرى . . أو حاول أنت مرة أخرى . .

وليست الدنيا كلها نكتة كبيرة . . ولكنها لا تخلو من ذلك . . إن لم يكن ذلك فى كل ساعة . . ففى كل يوم . . إن لم يكن فى كل صفحة ففى كل عشرين ! .

أنيس منصور

يناير ١٩٩٦

هو يواصل النوم وأنا أواصل القلق !

الصحفيون والكتاب والفنانون ليس عندهم متسع من الوقت لكى يروا بعضهم البعض . إنهم يكتبون أكثر وأطول فى خارج مصر . . فمنذ أيام كنت مع كمال الشناوى فى فندق «موفنبيك» بمدينة القصير . . ولم أر كمال الشناوى من ثلاثين عاماً ولاجلست إليه ولاتغديت أو تعشيت معه . .

والفنان سمير صبرى أعرفه منذ بداية حياتنا فى الصحافة وفى الإذاعة . . وأراه فى الأفراح . . ولم أجلس إليه إلا مرتين فى هذا العام ، مرة فى مدينة چوهانسبرج بجنوب أفريقيا . . ومرة فى القصير . . ولم أجلس إليه فى الأربعين عاماً الماضية مرة واحدة .

ولم يحدث أن جلست مع محمود ياسين ونور الشريف وصلاح السعدنى مرة واحدة فى أى وقت . . ولقد رأيتهم الثلاثة فى مهرجان الجنادرية فى الرياض . . وضللنا الطريق معاً فى الصحراء فلم نفلح فى أن نصل إلى الفندق إلا بعد ساعات من الضياع فى ظلام الصحراء ! .

وعلى الرغم من أن صلاح السعدنى قد قام ببطولة عمل تليفزيونى من تأليفى (مدرسة الحب) فقد رأيته دقيقة أثناء التمثيل وبعد ذلك لم أره . .

يعنى أننا لا نعرف بعضنا البعض تماماً . . أنا أراهم وهم يقرءون والناس يتصورون أننا لا ننفصل وإننا معاً كل ليلة وكل يوم . . والحقيقة إننا غارقون فى همومنا ومشاكلنا . . ويندر أن يقول واحد منا للآخر : « يا أخى أنت فين . . أنت لا تسأل عنى . . »

لا أنا أقولها ولا أى واحد يقولها ، فنحن نعرف أننا لن نسأل ولن نندهش إذا لم يسأل أحد ،فنحن جميعاً مشغولون تماماً ، ليلاً ونهاراً .

وبلدياتى عادل إمام ومحمد صبحى وأمين الهنيدى ويونس شلبى وحسين الشربينى والشويحى وسعيد عبدالغنى وسهير البابلى ، لم يحدث أن التقيت بهم فى أى مكان إلا المسرح . ولكن فاتن حمامة بلدياتى رأيتها كثيراً فى بيتها وفى بيتى . . وبلدياتى نعمان عاشور ورشاد رشدى لم أرهما إلا قليلاً جداً . . ونحن نتعارف على البعد . .

وكنت ألتقى بالفنان الكبير مصطفى حسين فى بيت صديق مشترك هو سليم اللبان ، وكان المستشار السياحى لسفارة لبنان . وهو من ألطف الناس وأكثرهم حباً لمصر . . وفى يوم دعانا معاً إلى زيارة لبنان . . وكان ذلك أول لقاء بينى وبين مصطفى حسين ، وكنا نعمل فى ذلك الوقت فى (أخبار اليوم) وهو مايزال وأنا تركت أخبار اليوم لأكون رئيساً لمجس إدارة (دار المعارف) ولكى أؤسس مجلة (أكتوبر) . .

ومصطفى حسنين رجل لطيف ظريف وابن نكتة وقليل

الكلام . . ولكن ليس أحد فى حاجة إلى كلام ، إذا دهبت إلى لبنان فالناس كلامهم كثير وحلو ومجاملون من الدرجة الأولى وعندهم حكايات لا أول لها ولا آخر . .

وأنت لا تملك إلا أن تضحك . . وضحكنا كثيراً وطويلاً وعميقاً ولكن نحن لانعرف بعضنا البعض تماما . .

وعلى الرغم من أننى أويت إلى فراشى فى الساعات الصغيرة من الليل ، فقد صحوت - كما هى العادة التى لاحيلة لى فيها - فى الساعة الرابعة صباحاً . . ومن البلكونة ناديت مصطفى حسين : يامصطفى يامصطفى ! .

وسمعت مايشبه صوته من تحت اللحاف . . نائم والا إيه ؟ .

قال : طبعاً . . أنت ناسى أننا رجعنا من الجبل الساعة الثالثة صباحا ؟! .

لم أنس ، ولكن نسيت أنه ليس مثلى يصحو فى الرابعة مهما كان نومه متأخراً . وعدت أناديه وأسأله رأيه : أعمل إيه لو أنت بتنصحنى ؟ .

- قال : تنام يا أخى ! .

- وإذا لم أستطع ؟ .

- اتركنى . . فأنا أستطيع ، وحالاً ودلوقتى ! .

وفى اليوم التالى تكررت المشكلة . . مصطفى حسين يريد أن ينام ولا أستطيع . . وقد كان الفندق الذى يملكه المليونير « إميل البشاى » فى الجبل . . والناس كلهم نيام حتى العصافير . . وأنا لا أعرف الذى يمكن أن أعمله . .

وذهبت إلى مدير الفندق وحكيت له حكايتى ، قال : عندى حل . .

- شكراً . . متشكر جداً .

وقال لى : لايصحو فى هذا الموعد إلا ثلاثة هنا فى الفندق . . «أولجا» وهى من أصل «روسى» . . و«حامد» وهو موظف الاستقبال . . وحماتى .

واستوضحت الحل ، فقال : إن «أولجا» سيدة فى السبعين ، لطيفة جدا وعندها حكايات لاتنتهى ،وهى تصحو فى الثالثة صباحاً تسمع الإذاعات العالمية وترد على التليفونات ، وسوف تكون سعيدة بك جدا . . أما حامد فهو موظف الاستعلامات . . ولا أظن أنه سوف يكون متفرغاً لك تماماً . . فعنده شغل كثير . . ولكن عندما يكون بلا عمل فعنده حكايات ونكت ، ويعرفه كل نزلاء الفندق على مدى عشرين عاماً . . أما حماتى فهى سيدة جميلة ومن أكبر عائلات لبنان ، وهى تحب السهر والقراءة وقراءة الفنجان والكوتشينة ونومها متقطع . . ولكنها فى غاية الرقة والجمال . . ما رأيك ؟ .

وقلت : أبدأ بحماتك . .

ذهبنا معاً . . فعلاً جميلة ولطيفة وصوتها غليظ وسيجارتها بين شفتيها . . وقالت لى : هه . . كونكان ولا بوكر ولا بريدج ؟

وأغمضت عينيها وشفتيها وأدارت وجهها بما معناه أن الحكاية انتهت عندما سمعتنى أقول لها : لا أعرف إلا الكومى ! .

أما السيدة «أولجا» فهى ممتعة . . ولكنها تسعل كثيراً جداً . . لأنها تدخن كثيراً وتشرب كثيراً وتلخبط فى الكلام . . ومن حين إلى حين تنهض وتعانقنى وتقول لى : فين أيامك ياديمترى ! .

ديمترى هذا كان حبيبها الذى وقعت به السيارة من أعلى جبال الأرز فى لبنان . . ورفضت أنا أن أقوم بدور (بدل فاقد) . . ورضيت أن أذهب إلى غرفة مصطفى حسين وأدق الباب . . وأقول : يامصطفى عايز أرجع مصر . . الدنيا كلها نائمة هنا ! .

رد مصطفى حسين وقال : ومن سمعك . . أنا عاوز أرجع مصر عشان أنام . . يا أخى الناس بيصحوا فى الرابعة صباحاً زى الديوك . .

رجعنا فى نفس اليوم إلى مصر ، هو ليبدأ النوم فى الطائرة . . وأنا ابدأ هوايتى فأوقظه كلما ذهب فى النوم ولم يعد!

* * *

أطول حب حبك لنفسك

من الممكن أن تحبك المرأة من أعماق قلبها ، ولكن يبقى دائما مكان على السطح لرجل آخر ! .

* * *

أسكره الحب . . أيقظه الزواج ! .

* * *

ينصلح حال الدنيا : إذا انتقلنا من حب القوة إلى قوة الحب ! .

* * *

التفاهم هو (أم) السعادة الزوجية ، أما الحب والحظ فهما من الأقارب ! .

* * *

من أروع ما فى الزواج أنه يجعل الخداع ضرورة حيوية ! .

* * *

أسوأ من زواج بلا حب ، أن يكون حب من طرف واحد ! .

* * *

سعادة الرجل المتزوج تعتمد على الأخريات اللاتى لم يتزوجهن ! .

* * *

كيف يمكن أن ينجح زواج إذا كان الزوج مصراً على أن يعامل زوجته على أنها كائن كامل الأوصاف ؟ ! .

* * *

تعدد الزوجات : هو أن تتزوج واحدة وتحب واحدة أخرى ! .

* * *

لا داعى لأن تطلع زوجتك على كل أسرارك ، سوف تكتشفها بنفسها! .

* * *

عشرون عاماً من الحب تجعل المرأة مهدمة ، ولكن عشرين عاماً من الزواج تجعلها مثل المؤسسات العامة ! .

هناك نوعان من النساء :

واحدة تكشف مشاعرها قبل الزواج ، وواحدة أخرى تكشفها بعد الزواج ، وسوف تندمان على ذلك ! .

* * *

الزواج قائم على سوء الفهم المتبادل ! .

* * *

لايزال من رأيي أن الرجل الذى يريد أن يتزوج إما أن يعرف كل شيء عن المرأة ، أو لايعرف شيئا ! .

* * *

هناك نوع من النساء حريص جداً على تكوين الأسرة . . أعرف واحدة مات زوجها الثالث فحزنت عليه حتى صار شعرها ذهبياً ! .

* * *

عندما تتزوج المرأة للمرة الثانية فلأنها كرهت زوجها الأول . . وعندما يتزوج الرجل للمرة الثانية فلأنه أحب زوجته الأولى . فالمرأة تجرب حظها ، والرجل يفقده ! .

* * *

ليس فى الدنيا شيء مثل إخلاص زوجة لزوجها . . وهو بالضبط ما لا يعرفه أى رجل ! .

* * *

لولا الخناقات المستمرة لنسى الرجال أن لهم زوجات . . وإن من حقهن الطبيعى أن يذكرن الرجال بذلك ! .

* * *

كانت تتخانق مع زوجها لأى سبب ، وأصبحت تتخانق معه وتنسى السبب ! .

* * *

أسوأ ما فى قصص الحب الفاشل ، أنها تترك المحبين بلا رغبة فى الحب ! .

هناك نوعان من الحب : الحب الفاشل ، والحب الذى لم ينجح! .

* * *

من الصعب أن تعدل مع الذى تحبه ! .

* * *

أطول حب فى الدنيا : حب الإنسان لنفسه ! .

* * *

من أحب امرأة ، أصبحت كل النساء بلا معنى ! .

* * *

من الممكن أن يكون الإنسان سعيدا مع أية امرأة - مادام لا يحبها ! .

* * *

المخلصون فى الحب يعرفون أتفه ما فيه . . الخونة هم الذين يعرفون المآسى والكوارث ! .

* * *

الشاب يريد أن يكون مخلصاً ولكنه لايستطيع ، والشيخ يريد أن يكون مخلصاً ولا يستطيع ! .

* * *

المرأة تعرف معنى الحياة متأخراً . هذا هو الفارق بينها وبين الرجل ! .

* * *

الله خلق المرأة لنحبها ، لا لنفهمها ! .

* * *

المرأة تعبر كل صور الفشل ، لأنها هى السبب ! .

* * *

المرأة قادرة على ملاحظة كل شىء . . إلا الأشياء الواضحة ! .

* * *

زهقت من النساء التى تحبنى ، إن اللاتى يكرهننى أمتع ! .

* * *

لايوجد رجل غنى جداً لدرجة أنه يستطيع أن يشترى ماضيه . . ولا امرأة تستطيع شراء مستقبلها ! .

رجل بلا فلوس.. وفلوس بلا رجل!

الذى يقول : إن المرأة لا تحب النكتة ، عليه أن ينظر إلى بعض الأزواج ! .

* * *

فعلاً كان حباً من النظرة الأولى . . ولكن لو مسحت منظارها لكان قرارها مختلفا ! .

* * *

شعارنا فى الحياة الزوجية : الحياة والحرية والهرب ! .

* * *

إنها سيدة لها لسان واحد ووجهان ! .

* * *

كل ماتطلبه من المرأة مفتاحان : مفتاح قلبها . . ومفتاح سيارتها ! .

* * *

لقد كان ضحية كارثة جوية . . فقد جاء زوجها فجأة بالطائرة بدلا من أن يجىء بالسيارة ! .

* * *

إنه يفضل المرأة التى تضع منظاراً على عينيها ، فينفخ فى زجاج المنظار ، فلا ترى ما الذى يدور حولها ! .

* * *

فى كل مرة يدعو إلى العشاء امرأة ، فإما أن يكون متزوجاً أوتكون هى ! .

* * *

من النادر أن تطلب المرأة النصيحة من أحد ، قبل أن تضع الدبلة فى أصبعها ! .

* * *

تعدد الزوجات مأساة ، مثل الزوجة الواحدة ! .

زواج العقول أطول عمراً من زواج الأجساد ! .

* * *

الشاب المستقيم : يتزوج مبكراً .

* * *

عندما تتكلم العاطفة ، فإن الحقيقة تتوارى بسرعة ! .

* * *

الشباب : نزوة .
الرجولة : كفاح .
الشيخوخة : ندم ! .

* * *

المسافة التى تفصل بين كلمتى : لا ونعم عند المرأة لا تستطيع إبرة أن تدخل فيها !! .

* * *

إن هذه الفتاة مثقفة جداً فهى تستطيع أن تقول : نعم . . بسبع لغات ! .

* * *

صعب جدا أن تستقيم البنت فى مجتمع منحرف ! .

* * *

الحياة ألف ألف لون . .
أما الموت فواحد!

* * *

دموع الشباب ساعة وتجف ، أما دموع الشيوخ فلا تجف حتى الموت ! .

* * *

لاتقل من هو أبوك ، ولكن قل لى من هو الذى رباك ! .

* * *

قبل أن تتزوج يجب أن تتعلم كيف تكذب بأناقة ، وكيف تصدق بخشونة ! .

* * *

الزواج هو رحلة من العمر يصبح فيها الخداع طعاماً يومياً ! .

ليس أقبح من العروس وقد ظهر على وجهها الاسترخاء والرضا . . لقد اختفت من وجهها كل معالم الجمال : الرغبة والشوق والأرق والقلق والانتظار والأمل والخوف ! .

* * *

أول أكذوبة يرتكبها العروسان ليلة الدخلة : أن تبكى هى وأن يضحك هو ! .

* * *

طبيعى جداً ألا يتفاهم الرجل والمرأة : إنهما من جنسين مختلفين ! .

* * *

كل امرأة ملاك حتى إذا تزوجت صارت شيطانا - كيف؟!

* * *

سعادتنا نقسمها على اثنين . . تعاستنا نضربها فى اثنين!

* * *

الزواج يجعلك تفهم أشياء لم تكن تعرفها ، فهل هذه المعلومات القليلة التافهة تساوى كل هذا العذاب والشقاء الذى اسمه : الزواج ؟ .

* * *

كما أن الحجر المتحرك لا ينبت عليه العشب ، فكذلك القلب الحائر لاتنمو فيه أية عاطفة ! .

* * *

الزواج هو الطريق المستقيم الذى يدفعك إلى الانحراف دائما ! .

* * *

الزواج مغامرة خطيرة : يفقد فيها الرجل حريته والمرأة سعادتها ! .

* * *

المغامرة الوحيدة أمام أى إنسان جبان : أن يتزوج ! .

* * *

من كل اثنين تزوجا يوجد واحد مغفل على الأقل ! .

* * *

الزواج عقدة نربطها باللسان ونحلها بالأسنان .!

عريس يهرب منه الناس !

أريد أن أعرف أكثر ، مهما كلفنى ذلك من تعب ، وأنا ضد المثل الشعبى الذى يقول : آفتى : معرفتى . . وراحتى : ماأعرفش ! .

بل آفتى ألا أعرف ، ولا تهم الراحة . .

وكثيرا ما تعرضت لمشاكل ومطبات وكان الخروج منها صعباً . ولكن لن أتوقف فأنا أريد أن أعرف . . أن أفهم . . أن أجد تفسيراً لملايين الألغاز التى فى حياتنا جميعاً .

كنت فى إحدى جزر أندونيسيا ، الطبل والزمر لايتوقف ليلا ونهارًا ، والناس يصرخون ويلتهبون ويتساقطون من الإعياء أو من الدوخة أو من النشوة . . وهم من البوذيين الذين يؤدون طقوساً معينة ، ولا يأكلون إلا الموز وعصير الموز . . وعصير جوز الهند . . والسياح يتفرجون عليهم ويرقصون ، فالجزيرة سياحية ، والناس البيض والحمر كلهم من السياح . .

ذهبت مع مجموعة من الأمريكان إلى مكان بعيد نتفرج على إحدى الليالى الساحرة على شاطئ المحيط البارد . . قالوا : إنها زفة عروسين . .

وقبل مجىء العروس كان هناك طبل وزمر وبخور ، وتماثيل للعفاريت وصرخات لطرد الأرواح الشريرة والحموات . . فالعروسان

يريدان أن يعيشا فى هدوء أطول مدة ممكنة . . ومع الشياطين والحموات لا حياة ولا سعادة . . لا حماة العريس ولا حماة العروس . . وفى بلاد الهند يمنعون الحماة من زيارة العروسين ستة شهور على الأقل . . أى بعد أن يكون العروسان قد تأكدا تماماً من أن العروس حامل . .

والعروسان صغيران محندقان . . على رأس كل منهما أصابع الموز فى لفة أنيقة . . والعريس على دماغه جوزة هند . . هل المعنى أن دماغه جاف مثلها . . أو فارغ مثلها . . أو أن المعنى أن العريس ناشف ظاهرياً وزى العسل داخلياً ؟ ! .

ويبدو أن العروسين كده وكده ، أى ليسا عروسين . . فلم تمض سوى لحظات من التعب والقرف حتى كبس النوم على العروس ثم على العريس الذى سقط من الإعياء فحملوه بعيداً . وظلت العروس وحدها . . وأسرعت أنا فجلست على كرسى العريس . . وضحك الناس وصفقوا لهذا التعاون بين السياح والمواطنين . . ووضعوا الورد على كتفى وجوزة الهند فوق دماغى . . وأعطونى كوب عصير جوز الهند والموز والأناناس . .

وما هى إلا لحظات بعد أن شربت هذا العصير حتى أحسست أننى أركب زورقاً فوق موج هادئ أول الأمر . . هائج بعد ذلك . . وهذا يفسر لماذا أنا متمسك بالمقعد ، حتى لا أقع . . ثم إننى لا أرد ولا أصد . . يكلموننى فلا أنطق . . ولم أجد أحداً يفسر لى ماذا حدث أوماذا يمكن أن يحدث . . بل الغريب أننى أصبحت

أنظر إلى نفسى كأننى أتفرج على واحد تانى . . خلعوا الجاكتة . . والقميص والبنطلون والشراب والجزمة . . وأنا أتفرج على هذا ولا أتكلم . . وأتوا بطشت فيه ماء ووضعوا قدمى فى الطشت . . وأنا أتفرج ولا أنطق بكلمة - وأظن أن الهيصة التى تجىء من اليمين والشمال هى للسياح الأمريكان الذين يسألوننى : كيف حالك ؟ - وأين العروس ؟ .

والتفت فلم أجد العروس . .

ولم أحاول أن أضحك ولا أن أفكر . . ونمت . لا أعرف كم من الوقت مضى . وأفقت من النوم أو من الدوخة . فوجدت صورتى هكذا : عريان تماماً . . نعم تماماً تماماً . . وحول وسطى توجد ورقة موز هى التى أتغطى بها . . وكل ملابسى قد اختفت وجزمتى . . ولا يوجد أحد من الناس حولى . . كلهم انفضوا . . ويبدو أنهم وجدوا من الصعب أن يحملنى أحد كأننى طفل وينقلنى خمسة كيلومترات على قدميه إلى الفندق . . الذى لا أعرف اسمه ولاشكله . . فأنا قد وصلت إلى الجزيرة قبل منتصف الليل . . وقبل أن أعرف ما رقم غرفتى نزلت إلى الشارع أتفرج . .

فلابد أن أعود بهذه الصورة أخوض الوحال إلى الفندق . وكان الناس يروننى وتظهر الابتسامات الخفيفة على وجوههم . . ثم يتركوننى بسرعة كأنهم رأوا عفريتاً . ولم أفهم . .

وكنت أظن أن الناس يأسفون لما حدث لى . . ولكنهم جميعاً

عراة مثلى . . وعرفت تفسير ذلك فى الليل . . قالوا لى : إنه كانت على وجهى رسومات حمراء تدل على أننى عريس . . ولكن التقاليد عندهم تقول : إن العريس الذى ينزل عرياناً إلى الشارع يكون قد تخانق مع زوجته وهى التى طردته (ليلة الصباحية) بالاتفاق مع أمها . . وأنهم يتشاءمون من رؤية هذا العريس ويخافون على أنفسهم من العدوى . .

يعنى أنا بين يوم وليلة أصبحت ميكروباً يهدد الجزيرة كلها بالخراب - الله يخرب بيوتكم جميعا ! .

* * *

قل له : إننى حامل !

من ثلاثين عاماً ذهبت ضمن وفد الأدباء إلى اليمن . الوفد كان برياسة يوسف السباعى - الله يرحمه - وعضوية : نجيب محفوظ والمرحومين : صالح جودت ومحمود حسن إسماعيل ومهدى علام . ذهبنا إلى اليمن بالباخرة . وقبل السفر جلست أقرأ عن اليمن . عن الأمراض فى اليمن . فهذا مصدر تعاستى دائماً . ومن كل الذى قرأت وجدت أن هناك دودة اسمها (دودة مدينا) وهذه الدودة تظهر تحت الأظافر وتطل برأسها ومهما قطعت رأسها فإنها بسرعة تستعيد رأسًا أخر . . وهكذا . .

يانهار أسود ومنيل ! .

ولايمكن أن أتراجع أو أجد أى عذر مقبول ، فقد كان الرئيس عبدالناصر قد فصلنى من عملى بسبب مقال . وظللت فى الشارع سنتين . وكنت مدرساً للفلسفة فى الجامعة . فلا أنا صحفى ولا أنا مدرس . . وأخيراً فقط عدت إلى عملى . وأريد أن أمشى على العجين فلا ألخبطه . . يعنى أريد أن أرضى الرئيس عبدالناصر بأى شكل . . عملاً بأغنية عبدالحليم حافظ : أمرك ياسيدى . . ياسيدى أمرك . . تقدر تحط الحديد فى إيدى . . أمرك ياسيدي ! . إذن لا رجوع عن هذه الرحلة لرؤية قواتنا المقاتلة فى اليمن ! .

حاولت مع يوسف السباعى . ولكنه نصحنى ألا أتردد . .

في ذلك الوقت كانت الدكتورة الأديبة نوال السعداوى مدير العلاقات العامة بوزارة الصحة . طلبت منها صندوقاً للإسعافات الأولية . . صندوق يحتوى على كل الأدوية التى أحتاجها لجميع الأمراض التى يمكن أن أصاب بها فى اليمن . . وأن تكتب لى طريقة الاستعمال ودواعى الاستعمال وأعراض الأمراض ومضاعفات العقاقير كلها . .

ثم كتبت نسخة أخرى من كل ماكتبته د . نوال السعداوى ، وأعطيت هذه النسخة للصديق يوسف السباعى ، من باب الاحتياط . فقد يضيع منى ماكتبته د . نوال ! .

وأخذت الصندوق ووضعته بين المراتب . . تحت رأسى مباشرة . وكل يوم أقلب فى الأدوية وأقرأ التعليمات . وأقول : هذا يوم مضى دون مرض . . الحمد لله . .

وفى يوم سمعت نجيب محفوظ ينادينى أن أصعد إلى ظهر المركب بسرعة . . لأن فى البحر درافيل وأسماك قرش . .

واندفعت وارتطم دماغى بالباب الحديدى للغرفة وسال الدم من رأسى . .

وبسرعة اتجهت إلى الصندوق فلم أجد أى كلام عن الجروح . . فلا صبغة يود ولا ميكروكروم . . ولا شاش ولا قطن . . الله يخرب بيتك يانوال . . لقد نسيت ! .

وانطلقت إلى غرفة القبطان . . وجدت أعصابه هادئة وأمامه طبق من اللوز والبندق والفستق . . رايق تماماً . . وقال : خير . .

قلت : خير ؟! ألا ترى الدماء تسيل على وجهى ؟ ! .

وبهدوء شديد فتح درجاً . . وقال لى : أغمض عينيك . . وأغمضت عينى . . وضغط على رأسى . . وأتى بفوطة ومسح الدم . . وقال لى : افتح عينيك . .

وفتحتها . . وضعت يدى على جبهتى . . لا دم . . واقتربت بحذر من مكان الدم . . فوجدت مسحوقاً قد غطى مكان الجرح . . ولاحظت أن المسحوق ترك أثراً أسود على أصابعى . .

فصرخت : ما هذا ؟ .

قال القبطان : أبداً . . بن محروق ! .

- يانهار أسود . . بن ؟ يعنى إيه بن ؟ وهل هذا البُن معقم ؟ .

ولكن القبطان ازداد هدوءاً وأشعل سيجاراً ونظر إلى الماء وأشار إلى أسماك القرش والدرافيل . . وقال :

إذا كنت مش مصدقنى . . انزل واسأل القرش . . هاها . . هاها !

وكانت ليلة مؤلمة . . فقد ظللت طول الليل أتقلب . . وأتخيل أنواع مضاعفات البن . . فى دمى . . وفى دورتى الدموية . . ورغم حرارة الجو فقد ارتديت قبعة حتى إذا ارتطم دماغى مرة أخرى فلن يسيل دم ! .

ونزلت من الباخرة ومعى علب بسكويت ، فقد قررت ألا أذوق الطعام فى اليمن ، ومعى زجاجة كبيرة للكولونيا وكمية كبيرة من القطن ، فقد قررت ألا أستحم خوفا من (دودة مدينا) . . الغريب أننى لم أسأل أحداً عن هذه الدودة . . ولا إن كانت موجودة

الآن . . أوكانت قبل ذلك . . وهل فى الريف أو في المدينة . . وهل أحد يصاب بها فى اليمن . وإذا لم يكن مصاباً فكيف نجا . وإذا أصيب فماذا يفعل؟ لم أسأل أحداً . . وإنما قرأت هذه المعلومة واحتفظت بها . . فجعل الخوف يقوم بتنمية هذه الدودة حتى ابتلعتنى تماماً ! .

وفى أول ليلة دعانى المشير «السلال» إلى العشاء . . وكان ذلك أسوأ خبر سمعته . وذهبوا جميعاً إلى العشاء . . وكان حول حمام سباحة . . الأطباق ماركة «لوموج» الفرنسية . . والشوك والسكاكين ماركة «كريستوفل» البريطانية والأكواب «سكسونية» من ألمانيا . . والماء معدنى . . وكان لابد أن أذهب . . وذهبت . . ورأى المشير «السلال» شيئاً عجيباً . . فأنا قد ربطت ذراعى اليمنى إلى عنقى . . أما ذراعى اليسرى ففى جيبى . . وسألنى فقلت : ياسيادة المشير . . لقد وقعت . . ولذلك فأنا غير قادر على الأكل أوالشرب . . فأرجو إعفائى . . وأن تبعث لى بطبيب فورا ! .

وجاء الطبيب وكان مصرياً . وقال لى : عندك إيه؟ الرئيس قلقان عليك ؟ .

قلت له : قل له : إننى حامل !! .

- يعنى إيه؟ . .

- مش عاوز أكل ! .

- يا أخى أنت حر . ولكن ليه خائف من (دودة مدينا) . . والرجل يزعل ! .

– السّلال ؟ .

– لا . . عبدالناصر .

– وحيعرف إزاى ؟ .

– من أولاد الحلال! حيقول : إنه ذهب يتدلع ويسخر من قواتنا المسلحة التى تموت هناك . . فتجد نفسك فى الشارع مرة أخرى ! .

– . . . .

– أنت خائف من المرض . . ولايهمك . . أنا عندى أنفلونزا من شهرين وماشى على رجلى . .

– وعندك أنفلونزا وجاى تعالجنى . . إيه رأيك أنا عندى انفلونزا الآن وفوراً . . اتسى . . اتسى . . اتسى . . «صوتى وأنا أعطس» ! .

* * *

اذا لم تجد من تحبه ، فعليك أن تحب من تجده . . وسوف تندم فى الحالتين ! .

* * *

إنى أفضل رجلا بلا فلوس ، على فلوس بلا رجل ! .

* * *

تزوجيه عجوزاً يدللك ، لا شابا يبهدلك ! .

* * *

كل الذين تزوجوا بسرعة ، يندمون على مهل ! .

* * *

لا علاقة بين الحب والزواج . . فالزواج له علاقة بالمجتمع . . لأنه عقد اجتماعى ! .

* * *

اسمعها منى : زواج بلا حب ، سوف يولد حباً بلا زواج ! .

* * *

لا علاقة للحب بالزواج . . فأنت تتزوج مرة . . مرتين . . ولكن تحب ألف مرة . . فالزواج ابن المجتمع والحب ابن الغريزة ! .

* * *

رأيى : على الفتاة أن تتزوج بأسرع مايمكن . . على الشاب ألا يفعل ! .

* * *

أحسن لك أن تتزوج ، ولكن ليس أحسن كثيراً أن تتزوج ! .

* * *

إذا كنت تحبها فعلاً ، احن رأسك وضع السلسلة فى رقبتك فورا ! .

* * *

فقير يتزوج غنية : إنه رجل قد اختار الهوان بيده ! .

يتزوج الناس لسببين : الحب والفلوس . . ومن يتزوج للفلوس سوف يجد نهاراً سعيداً وليلاً تعيساً . . ومن يتزوج للحب سوف يجد ليلاً سعيداً ونهاراً تعيساً ! .

* * *

يحتاج المال من يجد الحب ، ويحتاج الحب من يجد المال ! .

* * *

ان يكون فى حالة حب دائما : هذا هو السبب الذى يجعلك لا تتزوج ! .

* * *

من شباب ملائكى إلى رجولة جهنمية : كانت حياتى ! .

* * *

ما أكثر الاختلافات بين الشباب ، أما الشيوخ فكلهم واحد ! .

* * *

عندما يتزوج الرجل أو يموت ، فلم يعد له أصدقاء ! .

* * *

المرأة تقول لى : احبسنى فى سجن وألق بالمفتاح فى البحر . . تريد أن تكون سجينة وأنا سجانها . . فكلانا سجين ؟ .

* * *

من عيوب الزواج أنه يجردك من أنانيتك . . ومن ليس أنانياً فلا لون له ولا طعم ! .

* * *

لم أتزوج قط ، وتمنيت لو كان أبى قد فعل ذلك ! .

* * *

عندما كنت أقول إن العالم مزدحم بالناس وليس فى حاجة إلى أولاد ، لم أتصور لحظة واحدة أننى سوف أعيش حتى أتزوج ! .

* * *

تزوج الاثنان على الحلوة والمرة - ولكن من الممكن أن تكون أحلى وأن تكون أكثر مرارة أيضا ! .

ياأولاد الحلال.. سأموت من البرد!

مشكلتى الوحيدة عندما أسافر- وقد سافرت كثيرا - هى : أننى لا أريد أن أحمل أى شىء فى يدى ، وكثيراً ما سافرت وليس فى يدى حقيبة - مهما كانت صغيرة - بل إن رحلتى الشهيرة حول العالم فى ٢٢٨ يوماً بلا توقف كانت بلا حقائب فى يدى ، لدرجة أننى عندما وصلت إلى مطار القاهرة سألنى رجل الجمارك عن حقيبتى فقلت : ماعنديش شنط . .

- إزاى ؟ .

- كنت أبعث الكتب بالبريد البحرى أو الجوى . .

- وملابسك ؟ .

- كنت أتخلص منها أولا بأول . .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى كما ترى ؟ .

- ولا توجد ملابس داخلية أوخارجيةأوحتى ماكينة حلاقة ؟ . وأين الباسبور ؟ .

- فى جيبى ! .

- والفلوس ؟ .

- فى جيبى ! .

- والقلم والورق ! .

- فى أى فندق ! .

- إنت حكاية ! .

- حكايات ياسيدى ! .

وبسبب حرصى على ألا أحمل فى يدى أى شىء ، فإننى أحشر كل ماعندى فى حقيبة واحدة أوعدة حقائب ، تنقلها الطائرة ، أما أنا فلا أحمل فى يدى أى شىء ، وإذا كانت عندى شنطة يد ، وهذه الشنطة امتلأت بالكتب ، فإننى أضعها فى داخل أية شنطة أخرى وأتركها للطائرة تنقلها من دولة إلى دولة . .

وقد ضاعت لى شنط كثيرة ، فليكن ، المهم ألا أحمل حقيبة واحدة فى يدى لأننى أتضايق من حملها ، وبسبب هذا الضيق ، فإننى أتركها فى أى مكان وأنساها ، وقد سرقنى اللصوص عدة مرات بسبب أننى أترك حقيبتى وأتحرك يميناً وشمالاً وفى لحظة واحدة تختفى حقيبتى .

فى لندن كنت أتحدث مع القنصل أحمد قدرى - بلدياتى - ونظرت إلى حقيبتى ، فلم أجدها ، اختفت ، نظرت فى ذهول إلى كل الأجانب فى الفندق حولى . . ليس من بينهم واحد يحمل حقيبة مثلها ، ولا واحد ، كيف اختفت ؟لا أعرف !! .

قيل لى : إن اللص يحمل شنطة أكبر . . هذه الشنطة الأكبر يضعها فوق الشنطة الصغيرة فتدخل فيها ، ثم يحمل الشنطتين ويخرج من الفندق أو حتى يقف دون أن يشعر بذلك أحد . .

وفى حقيبتى المسروقة كانت كل فلوسى ، وجواز السفر ، وتذاكر الطائرة ، والنوتة التى بها أرقام كل الناس فى مصر والخارج ، اختفت الشنطة ! .

ومن بعدها شنطة ثانية وثالثة . .

ومنذ أيام كنت فى أمريكا ، الجو بارد جداً ، الجليد يغطى الشوارع وأسطح العمارات ، والسيارات عاجزة عن الحركة والتليفزيون يطلب من الناس ألا يتعرضوا للبرد وأن يشتروا من المحلات التى تحت الأرض ، درجة الحرارة عشرين تحت الصفر ، ويقال : ٢٨ ، وفى كندا ستون تحت الصفر ، وأى إنسان يضطر إلى السير فى الجليد أكثر من ثلاث دقائق سوف يصاب بأزمة قلبية . .

ووجدت أنه لا داعى مطلقاً لأن أخرج إلى الشارع ، فلست فى حاجة إلى أى شىء ، وعرفت أن أحد الأصدقاء فى طريقه إلى القاهرة ، فأعطيته حقيبتى ، وسافر ، وكانت عندى حقيبة أخرى ، فوجدت أننى أعطيته الحقيبة التى فيها كل الملابس الثقيلة وكل البلوفرات والبالطو !! .

وليس أمامى إلا أن أشترى ملابس بديلة وبسرعة ، ونزلت إلى السوبر ماركت الموجود فى الفندق ، لا فنلات صوفية ، وفى محلات الأزياء لاتوجد بنطلونات صوفية ثقيلة ، المهم أن تكون ثقيلة جداً ، ولم أجد ملابس داخلية صوفية ، قالوا : ابحث لك عن كالسون صوف طويل . .

وكلما ذهبت إلى محل للملابس وجدت البائعة سيدة تسألنى : هل تحتاج إلى مساعدة ؟ .

أشكرها وأخجل أن أطلب منها ، وحتى لو استطعت فإننى لا أعرف اسم (الكالسون) الطويل الصوفى . ولم أجد .

أما البلوفرات فكلها سميكة جداً ، ولا يمكن أن ألبس فوقها بدلة ، ولا يمكن أن أرتديها وحدها . .

وقلبت فى أرقام التليفونات فوجدت أحد أقاربى يعيش على مسافة ألفى كليومتر ، طلبته وبعد السلام والتحية والأشواق لم أكد أسمعه يقول : أى خدمة ؟ .

قلت : فعلا عاوز منك خدمة ! .

قال لى : أؤمر . .

قلت : فانلة صوف ؟ (صحتها : فالنة وليس : فانلة) .

– نعم ؟ .

– ياأخى عاوز فانلة صوف وكالسون . . لأننى . . إلخ .

قال : إيه اللى حصل ؟ .

– ماحصلش حاجة . . عندك ولا مش عندك ؟ .

– عندي لكن مش مقاسك ، أنت مقاسك كام ؟ .

– لا أعرف .

– مش عارف مقاسك كام ؟ .

– يا أخى مش عارف ، أنا حاموت من البرد ، مش عارف .

– عاوز أترجم الحوار اللى بينى وبينك إلى زوجتى ، فنحن لم نضحك من وقت طويل .

– اضحك بعدين ، حتقدر تبعث لى فانلات ولا لأ ، أنا حاموت من البرد ! .

– مستعد أبعث لك ، لكن المقاس كام ؟ طيب مقاس القمصان اللى بتلبسها كام ؟ .

– مش عارف ! .

البنطلون كام ؟ .

– مش عارف ! .

– البدلة ؟ .

– ياأخى مش عارف . . البائع هو الذى يقيس طولى وعرضى ووسطى فى كل مرة أشترى ! .

– أنت فى لوكاندة إيه ؟ .

– هيلتون .

– انزل تحت ، هناك محلات كثيرة ، اطلب منهم المقاس وكلمنى ، آه سؤال مهم ، أنت مسافر امتى ؟ .

– بكرة .

– بكره؟! الساعة كام ؟ .

– عند منتصف الليل .

– لو إننى بعثت لك الملابس بالطائرة ، فلابد أن تنزل وتأتى بها من المطار ، كيف تنزل فى هذا الجليد ؟ طيب عندى حل . .

أجل سفرك يوماً وأنا آجى أشوفك وزوجتى والأولاد غداً ، إيه رأيك ؟ .

- غدا الساعة كام ؟ .

- السابعة مساء .

- وبعدها أسافر ، لا بأس ، حاجة مهمة جداً ، هل عندك كالسون طويل صوف ؟ .

- يعنى إيه كالسون طويل ؟ .

- ماتعرفش ؟ .

- لا . .

- إزاى ماتعرفشى ؟ .

- والله ما أعرف ، ولا عمرى شفت أحداً يرتدى الكالسون الطويل ! .

- إنه كالبنطلون ولكنه ملتصق بالجسم .

- بدلة تريننج ؟ .

- لا يا أخى .

سمعته يتحدث إلى زوجته الأمريكية ، فهى من أقصى الشمال فى أمريكا .

ثم عاد يقول لى : زوجتى من أقصى الشمال فى أمريكا ، ولم تر أحدا قد ارتداه ، ولكن عندها اقتراح وجيه جداً ، والضرورة لها أحكام ، أنت تعرف الشرابات الطويلة التى ترتديها المرأة فى

الشتاء ، اشتر لك واحداً ، كثير من الرجال يفعلون ذلك . . إيه رأيك ؟ هذا هو الحل الوحيد ، ولا داعى لأن أسافر أنا وأسرتى لكى نلبسك الكالسون الطويل . . قلت إيه ؟ .

– قلت : الله يخيبك أنت وامرأتك !! .

– نحن فكرنا فى حل ، وأنت ماذا فكرت ؟! إن حلاً أفضل من لا حل . قلت إيه ! .

– شكراً . .

وكنت قد وجدت حلاً مؤقتاً ، لقد أمسكت المقص ورحت أقص البشاكير الموجودة فى الغرفة ، وألفها حول ساقى ، كما يفعل الجنود ، وشعرت بالدفء ولكننى لا أستطيع أن أحتفظ بهذه البشاكير تحت البنطلون ، وفى نفس الوقت لابد أن أدفع ثمن البشاكير التى تمزقت !! .

وذهبت إلى إدارة الفندق وحكيت ما حدث لى فاعتذروا اعتذاراً شديداً ، وقالوا لى : نحن آسفون جداً ، فقد كانت أجهزة التدفئة معطلة فى غرفتك ! .

ومن خوفى من البرد لم ألاحظ أنها كانت معطلة ؟! .

* * *

عرابى باشا ..
أنصفه الذين ظلموه

سنة ١٩٥٩ ذهبت إلى جزيرة سيلان «سرى لانكا» لأبحث فى العشرين عاماً التى أمضاها أحمد عرابى باشا ورفاقه فى هذه الجزيرة . . وكنت أول مصرى يفعل ذلك . .

وجدت البيت الذى كان يسكنه عرابى باشا وزوجاته وأولاد . . وجدت بيتا آخر فى مدينة «شاندى» . . والبيت مكتوب عليه من الخارج بالحروف اللاتينية : عرابى باشا . . ووجدت أن بعض كبار السن من النساء والرجال لايزالون يذكرون الباشا ، وكانوا يصفونه بأنه مهيب يرتدى جلباباً أبيض وطربوشاً ، وهو الذى أدخل الطربوش إلى هذه الجزيرة . . وأدخل أيضاً الكعك والبسكويت والغريبة وقمر الدين ، وهو الذى صنع لهم الكنافة والقطايف ، ولم يكن أحد يعرف تلك الأطعمة ، وانتشرت هذه الحلوى بعد ذلك ، وراح أهل الجزيرة يستوردونها ثم يصنعونها ويطورون فى شكلها وحجمها . .

وكان الناس يحبون أن يدعوهم عرابى باشا إلى بيته ليأكلوا هذه الحلوى والأطعمة المصرية ، وهو الذى أدخل الملوخية . . وجدها فى الحقول وزرعها ، ولم يكن الناس يعرفون أنها طعام لذيذ . . وعلمهم محشى ورق العنب . .

ويقال : إن عرابى باشا كان يجيد الطهى أيضاً ، ولم يصدقه الكثيرون ، فكان يتعمد أن يطبخ أمامهم . .

وكتب التاريخ المصرية تصف عرابى باشا بأنه فلاح ، وأنه نصف متعلم ، أو أمى ، ولو كان متعلماً لكان سلوكه مختلفاً . .

ويوم اقترب عرابى باشا من جزيرة سيلان طلب مندوب صحيفة «التايمس» أن يقابله فى عرض البحر ، والتقى به ودار بينهما هذا الحوار :

- ما رأيك فى القرار البريطانى بنفيك ؟ .

- منتهى الظلم ، ولكن المثل عندنا يقول : دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة .

- ماذا ستفعل هنا ؟ .

- لا أعرف . ولابد أن أعمل شيئا ، فأنا لا أستطيع الاستسلام .

- تقوم بثورة ضد بريطانيا ؟ .

- لا . . هذا جنون . . فما الذى أملكه هنا فى جزيرة لا أعرف فيها أحداً . . ولا أعرف كيف أثير الناس على بريطانيا .

- هل لو بقيت فى مصر كنت تقوم بهذه الثورة ؟

- نعم .

- دون خوف من النتائج ؟ .

- دون خوف . . فحياتنا رخيصة من أجل سلامة بلادنا . .

- أنت فقط ؟ أم هذا رأى المصريين جميعاً ؟ .

- رأى المصريين جميعاً .

- أليس فى مصر أحد يحب الإنجليز ؟ .

- ربما الخديو ورجاله .

- وأنت لاتحب الخديو ؟ .

- طبعا لا . . ولا أحد يحبه . . لأنه رجل ظالم . . وهو ظالم لأنه ضعيف ، وهو ضعيف لأن الإنجليز أقوى . .

- أنت تعرف أننى إنجليزى ؟ .

- نعم .

- فهل تكرهنى ؟ .

- ليس هناك سبب لكراهيتك . . ومن الممكن أن نظل أصدقاء مادمت تحترمنى وتحترم رأيى . .

- ماذا كنت تعمل فى هذه الرحلة الطويلة من مصر إلى سيلان ؟ .

- كنت أتعلم الإنجليزية .

- من الذى يعلمك ؟ .

- بعض الإنجليز . .

- هل حرام أن تتعلم اللغة الإنجليزية ، والذى يعلمك كافر ؟ .

- الرسول طلب منا أن نتعلم حتى الموت . . أريد أن أتعلم ولا يهمنى من الذى يعلمنى . .

- كأنك لاتعترض أن يكون طبيب زوجتك مسيحيا ؟ .

- لا أعترض طبعاً . . ولا أعترض على تناول دواء صنعه الأعداء أو حتى الكفار . . فالطب لا دين له . . والدواء لا دين له . . وسوف أعيش هنا فى جزيرة أتعامل مع أناس ليسوا من دينى . .

- اسمح لى يا باشا أن أقدم لك إعجابى العظيم . . فقد ظن الناس أنك لاتصافح الكفرة ولاتأكل معهم ولا تتعلم منهم . .

- ياسيدى أنت لست كافراً . . أنت من أهل الكتاب . . وقد أوصانا الله بأهل الكتاب . .

- وهل تستطيع الآن أن تتكلم الإنجليزية ؟ .

- لا طبعاً . . فأنا أعرف القليل منها . . وسوف أمضى فى تعلم هذه اللغة . . أنا وزوجاتى وأولادى . .

- هل تدعو الناس إلى اعتناق الإسلام ؟ .

- هذا واجب . . ولكن لا أعرف لغة الناس هنا . .

- كأنك جئت تبشر بالإسلام . . وليس سياسياً يريد أن يعيش فى هدوء بعيداً عن المشاكل ؟ .

- إننى لن أبشر بالإسلام ، فهذا يحتاج إلى علم وتفقه فى الدين . . ولست عالماً أوفقيهاً فى الدين . .

- هل تحاول الهرب والعودة إلى مصر ؟ .

- أتمنى ذلك . . ولكن ليس الآن .

- ولكن تعرف أن الإنجليز يحاصرونك ويعرفون كل حركاتك .

- أعرف ، ولذلك فلن أحاول . .

- هل انتهى دورك هكذا ؟ .

- لم ينته ، ولكن الإنجليز الذين فرضوا هذه النهاية . .

- وبعدين ؟ .

- ولا قبلين . . ربنا ياخدكم ويريح العالم منكم ! .

- ها ها ها . .

- ها ها . .

إن أفكار عرابى باشا أكثر تطوراً وتحضراً من أفكار الكثيرين من المعاصرين ، فبعض الفقهاء المعاصرين يرى أن الإنسان يجب أن يستسلم للمرض ليموت . . وإذا ألجأته الظروف إلى طبيب مسيحى أويهودى . . أو بوذى فالموت أفضل . .

لقد كان عرابى باشا أوسع أفقاً وأكثر مرونة مع أن المؤرخين المصريين قد وصفوه بالجهل . . ولكن الإنجليز الذين ظلموه وطردوه ونفوه ، كانوا أكثر فهماً له وأكثر إنصافاً له من أبناء وطنه!

* * *

أطفأت النار بعسل النحل !

ليست هذه هى الغلطة الوحيدة التى ارتكبتها ، فقد وقعت فى مشاكل طبية بسبب ادعائى أننى أفهم فى الطب . . أو فى العلاج . .

ولكن من حقى أن أعتمد على نفسى فى اختيار بعض العقاقير . . كتعاطى الأسبرين أو الحبوب الملينة أو المهدئة . . فلا خوف من الاعتدال فى تعاطيها . ولست وحدى الذى يفعل ذلك . وإنما كل الناس . ولاتعترض الصيدليات على أن يدخل أى إنسان ويقول : عاوز حبة ملينة . .

- من أى نوع ؟ .

- أى نوع . . وإن كنت أفضل أن تكون مأخوذة من الأعشاب . . لاكيماوية .

ومعنى هذه العبارة أننى أفضل أن تكون هذه الحبوب الملينة مستخرجة من النباتات الطبية لا أن تكون قد دخلت فيها المواد الكيماوية التى من الممكن أن تتعب المعدة أو المصارين - هذا هو الفهم البسيط عندى وعند كل الناس . . وغالباً لايعترض الصيدلى على ذلك . . أولاً : لأننى حر فى أن أختار مايعجبنى من العقاقير . . وثانياً : لأنه لابد أن أكون قد سألت أحد الأطباء . . ثالثاً : لأن الصيدلى يبيع والسلام . . ورابعاً : لأنه لا يريد أن يتدخل فيختار هو ويكون مسئولاً عن الذى يصيب الزبون بعد ذلك . .

وذهبت إلى الصيدلية الألمانية فى مدينة فرانكفورت وقلت لها : أريد مرهماً لدهان ساقى لأنها توجعنى . .

وسألتنى الصيدلية : ماذا يوجعك فى ساقك ؟ .

قلت : كلها .

قالت : أى أنواع الوجع ؟ .

- لا أفهم . .

- هل توجعك من أولها لآخرها . . أوجزء منها ؟ .

- جزء منها .

- أى جزء ؟ .

- الركبة .

- من الأمام أو من الخلف . . الوجع سطحى أو أنه عضلى أوعصبى . . ومتى يكون هذا الوجع أشد ؟ . . فى الليل؟ . فى النهار؟ . وأنت جالس؟ . وأنت واقف ؟ عند نهوضك من النوم ؟ . أوعند دخولك السرير ؟ . ومنذ متى؟ . وماهى أمراضك الأخرى؟ . وكانت الصيدلية قد أغلقت باب الصيدلية تماماً . فالدنيا ليل ، والمدينة فيها إرهاب من الأجانب ومن الألمان الشرقيين . . والسيدة تطل من فتحة من الحديد . . وهى تبعد عنها متر على الأقل .

ولما رأت السيدة حيرتى ودوختى - فلست طبيباً . . ولا أعرف إجابة عن كل هذه الأسئلة - قلت لها : أى مرهم لكى أدهن به ركبتى . . وهو عادة يرفع درجة الحرارة . .

- آه . . فهمت . .

ذهبت وعادت وقالت : عشرة ماركات . .

وأدخلت يدى فى الفتحة العشرة ماركات . ووضعت هى العلبة على ترابيزة مرتفعة . ومدت يدها ومددت يدى . وعدت إلى الفندق . . وخلعت ملابسى . . وبدأت أدهن ركبتى وساقى من الأمام ومن الخلف . . يانهار أسود ومنيل . . لقد اشتعلت النار فى ساقى . . نار . . وانتظرت خمس دقائق . . عشر دقائق . . نصف الساعة . . والنار تزداد التهاباً ورجلى تزداد احمراراً . . واليوم هو الأحد . والفندق ليس له طبيب خاص . . ولا أعرف طبيباً مصرياً . . ولا أحد يعرف . .

وفى القاهرة اتصلت بالطبيب وقلت له : النار فى رجلى . . أعمل إيه ؟ . .

قال : بسرعة اغسل رجلك . . وحاول إزالة المرهم بسرعة .

وغسلت رجلى . . والنار والعة . . لقد انتقلت النار من جلدى إلى ما تحت الجلد . . إلى دمى . . والدخان يخرج من عينى وأذنى .

لابد أن أجد حلاً .

ووجدت الحل ، وطلبت من المطعم أن يبعث لى شاياً بعسل . . الساعة الثانية صباحاً . . الجرسون نائم تماماً . . ليس ألمانياً . . قلت له : أنا مريض ، وأريد نصف كوب من عسل النحل . .

لم يفهم نصف كوب . . قلت : أريد كمية كبيرة من عسل النحل . .

وبعد دقائق جاء الجرسون الفلبينى وقلت - والبقشيش الكبير تحت عينيه - : أريد مزيداً من العسل . . ضعف هذه الكمية أوثلاثة أمثالها ! .

وكان سعيداً وانطلق كالعفريت ، وبعد دقائق عاد ومعه كمية من عسل النحل أكبر . .

هذا هو الحل الوحيد . .

وخلعت ملابسى ، ورحت أدهن ساقى الوالعة نار ، وكانت توجعنى . فعسل النحل بارد متماسك . . وهو يشد شعر ساقى ويوجعنى أكثر ، وتغطت ساقى تماماً من أعلى الركبة حتى أعلى القدم . . ورحت أنقل العسل الكثيف من مكان إلى مكان . . وماهى إلا دقائق حتى انخفضت درجة الحرارة . . وانخفضت . . وذهب اللون الأحمر . . إلا فى بعض الأماكن . . وأغرقت هذه الأماكن بعسل النحل . . ولففت ساقى بورق التواليت . . فمن الصعب أن أدخلها فى بنطلون البيجاما والا التصقت به . .

ولما طلع النهار لم أجد للاحمرار أثراً . . ولم أجد للاحتراق أى وجع . .

وذهبت إلى الصيدلية وقلت لها حكايتى . . واندهشت السيدة . وامطرتنى بعدد من الأسئلة لم أجد من الضرورى أن أرد عليها . ولكن قلت لها : حتى لوكان الطب يقول : إن العسل

لا يفعل ذلك . . فالطب غلط . أما الصحيح فهو تجربتى . والطب يبدأ من هنا . . فأنا صاحب تجربة صحيحة ، ولا يهمنى ماجاء فى كتب الطب . فالطب يجب أن يستعين من تجربتى وأن يبحث عن السبب . .

ولم أشأ أن أقول لها شيئاً آخر ، وهو مافعله الطبيب الروسى فى رحلة السفينة «رع» التى خرجت من ميناء «صافى» المغربى بقيادة البحار النرويجى «ثور هايردال» . . فعندما التهبت بشرة أعضاء السفينة بسبب حرارة الشمس وملوحة ماء المحيط ، فقد طلب الطبيب الروسى من كل ركاب السفينة أن يتبولوا بعضهم على بعض . . وهذا هو العلاج الطبى الصحيح ! .

والبدو يفعلون ذلك من مئات السنين ! .

فالطب الشعبى هو الذى يصحح أخطاء (هواة) الطب الكيمائى ! .

* * *

عندما يكون الزعيم ذئباً !

كان من الممكن أن يجيء يوم يختار الشعب الأرجنتينى «مارادونا» رئيساً للجمهورية ، فهو نجم أحبه الملايين لولا غباوته وطمعه . فقد ظن أنه فوق القانون . . وراح يتعاطى المخدرات ويتاجر فيها . . وانتهى ! .

وكانت زوجة الرئيس «خوان بيرون» وهى ممثلة فاشلة - مثل الرئيس «ريجان» - رئيسة للأرجنتين ومعبودة للأرجنتين أيضاً . . ولكنهم لم يختاروها ، لا لأنها ممثلة فاشلة ، ولكن لأنها زوجة الرئيس القوى «بيرون» . .

والأمريكان لم يختاروا «ريجان» لأنه ممثل متواضع القدر والقيمة ، ولكنه رجل ذكى وجذاب وقوى . . وهو من أقوى رؤساء أمريكا على الإطلاق .!

والرئيس الحالى للأرجنتين من خمس سنوات هو «كارلوس منعم» السورى الأصل . . وهو رجل معجبانى ، قد سبسب شعره وارتدى نظارة سوداء وفتح صدره ، وجعل بنطلونه الجينز محزقاً جداً جداً . . وقد فوجئ الناس به فى إحدى الحفلات وعلى خديه بقايا شفاه حمراء . . وإيه يعنى ؟ إنه رئيس محبوب ، وأهل الأرجنتين لا يرون فى ذلك أى عيب من أى نوع . . فالرئيس لايفعل أكثر مما يفعله أى مواطن أرجنتينى أو مايتمنى ذلك ! .

وزوجته «سليمى» غيورة جداً . ولم تطق صبراً على البنات اللاتى يتعلقن ببنطلون السيد الرئيس ، ويدخلن تحت السرير - سريرها هى - وقد اكتشفت ذلك بمحض الصدفة ، فقد اعتادت أن تتعاطى حبوباً منومة قوية جداً حتى لاتسمع شخير الرئيس «منعم» ، وفى إحدى الليالى نسيت أن تتعاطى الحبوب فسمعت همساً فى الظلام ، أما الهمس فكان من تحت السرير . . ثلاث فتيات نمن تحت سرير «سليمى» انتظاراً لنومها العميق . . وفتحت الباب وراحت تنادى الحرس الذى كان مستعداً لكل ذلك ، فوضعوا كمامة على فم السيدة «سليمى» وجرجروها إلى إحدى الغرف وأغلقوا عليها الباب . .

ولما هددت بعد ذلك بنشر فضائح الرئيس حملوها إلى خارج القصر ، وسكنت وحدها وخيروها بين طلب الطلاق أو الموت . . واختارت أن تعيش وحدها وألا تطلب الطلاق . وحدث تغيير بسيط فى غرفة نوم السيد الرئيس . . فلم تعد الفتيات الجميلات يدخلن سراً . . وإنما علناً ، وليس تحت السرير . . ولكن فوق أكثر من سرير . . والشعب الأرجنتينى يعرف كل ذلك ، ولا يقول أى شىء . . يكفى أن الرئيس «منعم» قد جعل الغلاء قد هبط من ألف فى المائة إلى عشرة فى المائة ! .

معجزة اقتصادية يستحق عليها الرئيس «منعم» أن يختاره الشعب لفترة رئاسية ثانية فى العام القادم بعد أن يتم تعديل الدستور . . وسوف يتم التعديل ! .

وقد اعتاد الرئيس «منعم» أن يرتدى القمصان الحمراء ، حتى لايظهر عليها أحمر الشفاه . .

وقد كان لى صديق ظريف ملتهب الخدين عندما كنا نسأله كان يقول : إن محبوبته عنيفة ، فهى تنهال عليه ضرباً وخربشة إذا حاول أن يتركها . . فهى لاتطيق بعاده عنها . . ثم إنها تغار عليه من الفتيات الأخريات - هو الذى يقول ذلك ! .

وقد عرفنا فيما بعد أنه يخترع كل هذه القصص وأنه هو الذى يلطم خديه ، وقد سمعناه فى إحدى المرات يقول لنفسه فى دورة المياه : ياحمار . . ياغبى . . عامل بنى آدم . . جتك ستين نيلة . . طاخ . . طيخ . . طوخ - إنه يضرب نفسه بعزم مافيه ! .

ولكن الرئيس «منعم» هو الذى أوجع قلوب العذارى . . ألوف الجميلات فى بلاده والشعب سعيد برئيسه الذئب المدرب تدريبًا جيدا ! .

* * *

أمريكا والصين
القرون والأنياب

بدأت المشاكل بين أمريكا والصين . . فالصين هى أكثر دول العالم . . إنتاجها كثير جدًا رخيص جدًا متقن جدًا . . والسبب هو أن الشعب كله يعمل ، وفى مقدمة الشعب : كل نزلاء السجون . . فالسجون فى الصين ليست فقط حجرًا على حرية الناس وإنما تعبئة فى جيش للعمل ليلاً ونهارًا ! .

والصين هى أكبر سوق فى الدنيا ، ولذلك فكل دول العالم تجرى وراءها وتبوس القدم وتبدى الندم . . وأول دولة تفعل ذلك هى اليابان ، وأمريكا تحاول . . وألمانيا وفرنسا وبريطانيا تتسابق . . والمشاكل سوف تظهر بوضوح قريبًا جداً .

أما المشكلة التى سوف تثيرها أمريكا فهى : أن علماء البيئة لاحظوا أن الصين تستهلك كميات كبيرة جداً من قرون فرس البحر ، وكذلك تايوان . .وكذلك أنياب وعظام النمر .

ومن عشرين عامًا كان عدد أفراس البحر الأفريقية مائة ألف . والآن عددها عشرة آلاف . وكان عدد النمور مائة ألف ، أصبح خمسة آلاف . .

والشعب الصينى والشعوب الآسيوية تؤمن بأن قرن فرس البحر وعظام وأنياب النمر مقوية جنسيًا ، فهم يسحقون هذه القرون

والأنياب والعظام ويقدمونها بودرة . وجرام البودرة يساوى عشرة آلاف جنيه ! .

وسوف يهدد الرئيس «كلينتون» كلاً من الصين وتايوان بفرض عقوبات اقتصادية عليهما إذا لم يتوقفا عن شراء قرون فرس البحر والأنياب والعامود الفقرى للنمر .

وقد قررت الدول الأفريقية تحريم صيد فرس البحر تحريمًا قاطعًا . كما حرمت صيد الفيل وحرمت بيع العاج والمصنوعات العاجية المأخوذة من زلومة الفيل . .

أما ما الذى يصنعه أهل الصين بقرون فرس البحر ، فهم يسحقون هذه القرون ويضيفون إليها بعض العطور ثم مسحوق فروع نبات «الجانسان» المزروع فى كوريا . . ويقال : إنهم ينزعون أغصانه فى الليالى القمرية . . أما قرون فرس البحر فهم ينظفونها أولاً بمحلول صنع فى ألمانيا . . هذا المحلول يستخدمونه فى عقاقير الهلوسة . . وهذا المسحوق يجعل القرون فضية اللون . . وبعد ذلك ذهبيةاللون . . ويكون المسحوق بعد ذلك فضيًا إذا كان للنساء وذهبياً إذا كان للرجال .

ويكون على شكل مسحوق ، ويكون على شكل أقراص . . ويكون حقنًا . ويقال : إن الرئيس «ماو»كان يتعاطى كميات كبيرة من مسحوق قرون فرس البحر . وتعاطيه هذا هو السر فى حيويته . . والأطباء الصينيون يقولون : إنه أسرف فى تعاطيه فكان السبب فى موته المفاجئ !! .

وقد أشارت الصحف الصينية إلى أن عددًا كبيرًا من الرسميين الأمريكان كانوا يطلبون هذا المسحوق . . ويقال : إن شخصيات كبيرة فى البيت الأبيض تتعاطى هذا المسحوق وإن لديهم أدلة على ذلك ! .

وتقول الصحف الصينية : إن الأمريكان قد شربوا مقلبًا كبيرًا . . فهذا المسحوق الذى أخذه الأمريكان إلى البيت الأبيض من النوع الذى يؤدى إلى الإدمان . . فإذا تعاطاها الرئيس «كلينتون» مثلاً ، فلن يفلح إطلاقًا فى التخلص منه ولذلك يهمس الصينيون بأنه لا داعى لإثارة هذه المشاكل التى سوف تنقلب على دماغ الرئيس ومستشاريه ! .

وسوف نرى ! .

وتؤكد المخابرات الأمريكية أن هذه خدعة صينية وأن الكميات التى انتقلت من الصين إلى واشنطن لم تدخل البيت الأبيض ، وإنما انتقلت إلى معامل المخابرات الأمريكية . . فلا خوف على الرئيس ، ولابد من محاربة هذا الأفيون الصينى الجديد ! .

* * *

لطه حسين
غراميات عنيفة !

ماذا حدث فى الدنيا ؟ .

البنت الحلوة الصغيرة قد أكلت الجو . . كل الأجواء التى يعيش فيها الوزراء والأغنياء . .

يكفى أن تظهر واحدة حلوة لكى تركع عند قدميها الفلوس من ذهب وفضة . وليس هذا جديدًا . وإنما هو قديم جدًا . .

فالبنت الحلوة - «لوليتا» - قديمة فى التاريخ . . من أيام سليمان عليه السلام . . كانت عنده زوجات بالمئات . . والتوراة تحكى قصة بنت حلوة اسمها شالوميت ، وقد أضافها سليمان إلى حريمه . . ولكنها رفضت الذهب ، واختارت الحبيب راعى الغنم . . وسجلت آهاتها ودموعها فى سفر كامل من أروع ما فى التوراة اسمه (نشيد الإنشاد) . .

والبنت الحلوة التى اسمها «ميسون» تزوجها بالقوة معاوية بن أبى سفيان . . وفى يوم وجدها تبكى . وعرف أنها غير سعيدة مع الخليفة ، وعادت إلى ابن عمها راعى الغنم ! .

ونابليون فى منفاه فى جزيرة « سانت هيلانة » أحب بنت الحارس الفرنسى وكان عمرها ١٢ سنة ! .

وأخيراً ظهرت الفتيات الجميلات فى أحضان الوزراء البريطانيين وتساقطوا واحداً واحداً . . ومنذ أيام سقط وزير بريطانى وبعده وزير بريطانى . . أما البنت الحلوة فهى أسبانية الأصل ، اسمها «بنفيدة» بنفيدة معناها «مرحبا» . . وتزوجت العجوز الوزير وأحبها الرجل الذى سوف يكون وزيرها ، وكانت جاسوسة لحكومة العراق ! .

وكاد الرئيس كلينتون يسقط فى الانتخابات وبعدها ، والسبب بنت حلوة تعمل مطربة قالت : إنها كانت عشيقته سنوات طويلة وعندها صور وتسجيلات ! .

وقالوا : الرئيس بوش كانت له سكرتيرة عشيقة . . وصدرت لها الأوامر بأن تختفى فى مجاهل أمريكا اللاتينية طوال فترة الانتخابات . . واختفت . . على أن تعود بعد نجاح بوش أو فشله . . ولم تعد ! .

وقالوا : إن هيلارى زوجة الرئيس كلينتون كانت هى الأخرى تلعب بذيلها . . وكان ذيلها طويلاً وقد التف حولها عدد من الناس ، فسقطوا واحداً واحداً . . أول واحد كان أهم شخصية فى البيت الأبيض وقد انتحر . . ولا أحد يعرف لماذا ؟ وقالوا وقالوا حكايات مالها أول ولا آخر ! .

«تشارلز» كانت له عشيقة . . هذه العشيقة هى مصدر تعاسة زوجته «ديانا» ، فهى التى اختارت «ديانا» زوجة له . ولما عرفت «ديانا» ذلك لم تبتلع هذه الإهانة ، ولم تسكت على هذا الخنجر . . ونزعته من صدرها وأغمدته فى صدر «تشارلز» ! .

وظهرت لديانا حكايات ولتشارلز حكايات . . ولأخيه ولزوجته عشيق وعشيق . .

وأخيرًا كان لابد أن يختار «تشارلز» بين العرش وبين هذه العشيقة ، فاختار العرش . .

الله يرحم الأستاذ العقاد ، لقد روى عن نفسه أنه أحب واحدة اسمها سارة . . ولم يكن هذا هو اسمها . . وكانت له علاقات وكانت له ابنة غير شرعية انتحرت يوم وفاته ، وقد حاولت أن أقنعها بالعدول عن الموت ، ولكنها كانت أسرع منى . .

والعقاد هو وحده الذى اعترف ، ولم يعترف توفيق الحكيم ولا طه حسين . .

وقد سمعت من الحكيم أن طه حسين كانت له مغامرات فى باريس . . مغامرات من نار . . وحكى لى نوادر ومواجع . . ولكن واحدًا من الحكيم أو طه حسين لم يتحدث عن غرامياته . . وإنما العقاد فقط . . حتى تخيل الناس أن العقاد هو الاسم الحركى «لروميو» «أوفالنتينو» أو «قيس» . . والرجل لم يكن كذلك ، وإنما جانب من غرامياته خيال والباقى خيبة أمل . . وتجارب الحب عند العقاد أقل كثيرًا عن تجارب أى تلميذ فى أولى ثانوى . . ولكن العقاد حاول وخاف الفضيحة فخصومه كثيرون ! .

لتكن الثالثة من اليابان !

ونظرت إلى يدى زوجته وقلت فى نفسى : إنها سوف تخلع جزمتها وتنهال بها على رأس هذا الزوج . . أبدًا . . لم يحدث شىء . . وإنما ظلت تضحك ، وهو جاد جدًا فى نصيحتى بأن أحسن طريقة لتأديب الزوجة هى أن تتزوج واحدة أخرى ، لاترفع يدك على زوجتك ولاتحرمها من أى شىء ، وإنما كن طبيعيًا جدًا وفى نفس الوقت ابحث لك عن عروس أخرى . .

هذا مايقوله صديقى رجل الأعمال اليمنى . . ومضى يقول : إن الزوجة الثانية سوف تعلم الزوجة الأولى الأدب والذوق وسوف تجعلها تحس أنها ليست الوحيدة فى الدنيا . . ولا فى يدها مفاتيح السعادة . .

وبعملية حسابية بسيطة سوف تجد - هو يقول - سيدتين تقفان على أطراف أصابعهما لخدمتك ليلاً ونهارًا .

ويقول : إنه جرب ذلك وعاش سبع سنوات فى غاية السعادة .

ولكن حدث أن زوجته الثانية قد تفرعنت وتملعنت . فزوجته الأولى قد ولدت له البنات . . والثانية أنجبت له الأولاد . . إذًا فالزوجة الثانية قد أصبحت كالأولى بالضبط . . والحل ؟ .

نصيحته التالية : لابد من زوجة ثالثة ، ويجب أن تكون الزوجة صينية . . وحبذا لو كانت يابانية . . لماذا ؟ .

هو يجيب : المرأة الصينية تجدها ناعمة الملمس . . «محندقة» . . زى العرسة . . تدخل فى حضنك وتلبد ولا تطلع أبداً . .

ثانيًا - هو الذى يقول - تنحنى لك إذا جئت وإذا ذهبت . . فتشعر أنك رجل مهم . . ثم إذا عدت من العمل خلعت لك ملابسك وانحنت . . وغسلت لك رجليك . . وأعدت كل شىء لراحتك . . الطعام والسرير والحمام . . والابتسامة لاتفارق وجهها . . ولاتعرف التعب ولا الملل ولا الكلل . . وأى شىء تعطيه لها تشكرك عليه . . ولا تطلب منك أى شىء لها أو لأهلها . .

ويقول : إن زوجته اليابانية لم تذكر اسم أمها ولا والدها . . ولم أعرف أن والدها أغنى منى إلا بعد سنين من الزواج . . وهنا شعرت بالخجل ، فقد توهمت أننى أتيت بها من الشارع وجعلت منها بنى آدمية . . وبيتها أحسن من بيتى وسيارات والدها أكبر وأكثر من سياراتى . . إنها بنت ناس ومن عائلة . . وأنا ابن كلب نمرود - هو الذى يؤكد لى ذلك - ! .

وسألته : يعنى لن تتزوج مرة رابعة ؟ .

- أنا ؟ أعوذ بالله . . وهل فى الدنيا أحسن من هذه الزوجة . . جمال وأنوثة وإخلاص وطاعة وامتنان . . وامتنان . . وامتنان . .

تعرف زوجتى الأولى - لأنها بنت عمى - جعلتنى أشعر أننى يجب أن أكون خدام سيادتها . . لماذا ؟ لأنها تفضلت وتعطفت وتزوجتنى . . وظنت أن أى واحدة لن ترضى بالزواج منى . . هى فقط ! وقد أثبت لها عكس كل ذلك . . فالثانية أجمل وألطف . . أما الثالثة فهى قمة ! قلت إيه ؟ .

واندهشت قائلاً : قلت إيه فى إيه ؟! .

فرد : عندى لك عروسة من الحبشة .

- من الحبشة ؟ .

- أنت لاتعرف جمال المرأة الحبشية . . إن أخى الأكبر قد تزوج واحدة حبشية . . قطعة من الأبانوس ، سبحان الله على جمالها وعقلها وأخلاقها وحبها الذى لاحد له لزوجها . . تعرف لولا هذه اليابانية لتزوجت واحدة من الحبشة . .

فقلت : يبدو أن هذا بالضبط ماتريد . .

- أنا ينقطع لسانى وإيدى وعينى إذا نظرت إلى غيرها . .

وفى نفس واحد قالت الزوجتان الأولى والثانية : كذاب . . لقد قال لنا ذلك ألف مرة ! .

* * *

اسمها : مرحبا : تأكل الذهب وتخرب البيوت

كل يوم يقع على أسنانه رجل كبير . . والسبب : بنت حلوة .

الوزراء البريطانيون الذين سقطوا من مكانتهم فى هذا العام عددهم خمسة ، وآخر واحد قائد عظيم فى الجيش البريطانى أحب فتاة أسبانية جميلة مجهولة ، وهو معذور فى حبها ، ولكن عندما كان غارقاً فى حبها ، كانت هى غارقة فى حب رجل آخر صديق له ، هو وزير الدفاع البريطانى ، وعندما انتقلت إلى أحضان وزير الدفاع كانت على صلة عميقة بأحد أصحاب الملايين العراقيين اسمه «حكيم چورچ» .

أما الذى أزعج الحكومة البريطانية فليس سقوط وزير ولا قيام وزير آخر ، ولا أن تشب النار بين الأزواج والعشاق ، فقد حدث هذا كثيرًا ، وسوف يحدث عشرات المرات ، تمامًا كما حدث مع وزير الدفاع البريطانى «برفومو» . . وكانت عشيقته صديقة للملحق العسكرى بالسفارة الروسية .

الكارثة : لابد أن تعرف بريطانيا إن كانت هذه البنت الحلوة قد نقلت من جيوب ومكتب سعادة وزير الدفاع كل أسرار حرب الخليج إلى الحكومة العراقية ، ولذلك فهم يستجوبونها ليعرفوا كيف حدث ماحدث :

البنت الحلوة اسمها «بنفيدا» ومعناها : مرحبًا ! .

أما البنات تحت سرير رئيس جمهورية الأرجنتين ، الإحصائيات تقول : إنهن بلغن حتى مارس الماضى - عشرين - ذهابًا وإيابًا .

والصحف والمجلات تنشر : والجميع يصفقون للرئيس كارلوس منعم لجمال الذوق وحُسن إدارة شئون البلاد ! .

أما رئيس البرازيل «اتيمار فرانكو» (٦٣ سنة) وكان واقفًا على المنصة يستقبل عددًا من الوزراء والجماهير تحييه ، ومن بين الجماهير بنت صغيرة حلوة ترددت ثم رفعت يدها وقبلتها وبعثت بقبلة طائرة إلى السيد الرئيس – وهو ذئب قديم – فأشار إليها ، وبسرعة التقطتها أيدى رجال الأمن ، وبسرعة وقفت على المنصة تحيى الجماهير التى راحت تصرخ ، وأعاد الرئيس النظر إليها فوجدها جميلة جداً . .

ولم يعرف السيد الرئيس أن الجماهير كانت تصرخ لأن الفتاة الجميلة قد نسيت ملابسها الداخلية ! .

وكانت حديث الصحف وشبكات التليفزيون . . ونشرت البنت الحلوة ماكان بينها وبين الرئيس . . وضاقت الكنائس بإباحية الرئيس ، ولكن الفتاة لم تضع وقتها فاتجهت إلى رئيس آخر . . تبيع صورها وقصصها ! .

ماذا جرى فى الدنيا ؟! .

والجميلة «ديانا» ظهر لها واحد يقول ويقول . . وتشارلز خيروه بين السيدة التي يحبها وبين العرش . . فاختار العرش . . ونشرت الصحف

أن فتاة صغيرة أخرى جميلة قد ظهرت له من تحت الأرض ! .

وكانت الممثلة الأمريكية النمساوية الأصل «هيدى لامار» ، قد مال عليها الزمن بسبب إدمان المخدرات . . فطلبت من أحد الصحفيين أن يكتب قصة حياتها مع عشاقها المشاهير ، وبعثت بصحفى آخر يقول لهؤلاء المشاهير : كم تدفع لهيدى حتى لاتحكى لامرأتك وأولادك ماكان وماحدث ؟ .

وكانوا يدفعون . .

ولكن فتاة صغيرة من الأرجنتين كان لها صديق يعمل فى التصوير استطاعت أن تجنن الألوف . . فقد كانت لدى صديقها القدرة على أن يقوم بعمل «مونتاج» للصورة - ليجعل هذه الفتاة الجميلة تقف إلى جوار أى رجل . - أو فى أحضانه - وذلك عن طريق خدع فنية . . وتذهب البنت وتقول لأى رجل : ليس أقل من عشرة آلاف دولار . . وإلا . . . ! .

سؤال : هل تحولت المرأة إلى شيطان؟ أو هو الرجل تحول إلى حمار؟! .

من أين جاء هذا النوع الغريب من النساء الصغيرات لايأكلن إلا الذهب ولا يلبسن إلا الماس . . ولا يعشن إلا على خراب البيوت ! .

إن مثل هذا النوع من الشياطين الجميلة ماكان من الممكن أن يظهر على مسرح السلطة والمال إذا لم يكن الرجل عبيطًا . . وكلما تقدم فى السن كان سقوطه أعنف وأسهل . . وقد حدث وسوف يحدث إلى نهاية العالم .

وسقطت الفلسفة في حلة الملوخية !

أحب من يكون طبيعيًا عندما يقوم بأى عمل طبيعى . . يأكل ويشرب ويترك الطعام يقع فى ملابسه . . وإيه يعنى؟ يضحك ويزعق ويهيص ولا يكتم أنفاسه بيده . . فمن الطبيعى أن يفعل الإنسان ذلك . .

رأيت « ديانا » عندما طلبوا إليها أن تأتى بأول طفل لها لكى تراه الأسرة . . أتت به . . جلست . . بكى الطفل ، وبحركة تقوم بها أى أم فى الدنيا لا تريد أن تكشف عن صدرها وتخرج ثديها للطفل ، فوضعت أصبعها فى فمه فسكت الطفل ، وقالوا : جاهلة . . فلاحة . . بدائية ! .

أبدًا بل طبيعية جداً . .

وبالمناسبة أذكر حادثة للكاتب الأمريكى «أمرسون» . . كانت عنده حظيرة للأبقار حاول هو وأولاده أن يخرجوا عجلاً صغيرًا من الحظيرة . . بكل قوتهم لم يستطيعوا . . فطلبوا إلى الخادمة أن تحاول ، وخرج العجل بسهولة ، فقد وضعت أصبعها فى فمه تماما كما وضعت «ديانا» . . ! .

ونظر «امرسون» إلى مكتبته وقال : إن هذه الكتب لم تعلمنى كيف أجرجر عجلاً بهدوء إلى خارج الحظيرة ! .

وكان الرئيس السادات عندما يستغرق فى الكلام يأتى بالبايب . . ويضع فى داخله مطواة مغدنية تقوم بتسليك البايب

من مادة النيكوتين . . وهذا عادى جداً . . ولكنه كان يمسح السكين فى السجاجيد . . ولم يجرؤ أحد أن يقول له : السجادة باظت ياريس . . أو لون النيكوتين الأصفر لن يخرج ولا يوم القيامة ! .

ولكن هذا سلوك طبيعى لواحد يدخن البايب ويستغرقه الكلام! .

وكان السادات إذا وقع منه شيء على الأرض انحنى وأتى به ، ولاينادى أحدًا أن يفعل ذلك بدلاً منه . . وأذكر أننا كنا نتناول طعام العشاء وكانت فتافيت الخبز تقع منى على الأرض ، وكان - لاشعورياً - يميل يجمعها من الأرض . . وأنا فى غاية الحرج . . ولكن لا أعرف كيف أتوقف عن إسقاط الطعام على ملابسى وعلى الأرض .

وفى إحدى المرات قال لى صارخًا : يا أخى غلبتنى ، إمسك إيدك شوية يا أنيس ! .

ولم أستطع أن أقول له أن يدع هذا لمن سينظف الغرفة بعد ذلك ، ولكنه لايطيق أن يرى شيئًا من الطعام على الأرض ! .

وكان الأستاذ العقاد حريصًا فى طعامه . يأكل المسلوق . أما أعظم فلاسفة الدنيا واسمه «كانت» فكان يزن طعامه قبل أن يعرف العالم كله حساب الكالورى فى الطعام . . أما العقاد فكان طوال الأسبوع يأكل المسلوق . . ومرة واحدة من كل أسبوع يأكل كل الممنوعات ، وله عبارة مشهورة : إننا يجب أن نجرب قدرة المعدة من حين إلى حين ! .

ولو رأى الناس الموسيقار محمد عبدالوهاب عندما كان يأكل فإن أحدًا لن يستمع إلى أغنياته وموسيقاه . . إن صورته وهو يظلط الفراخ المسلوقة والكشك ، صورة ليست جميلة ولا راقية . . ولكنه إنسان طبيعى . . يفعل ما يريحه ! .

وأذكر أننى كنت أتمشى مع أستاذنا د . عبدالرحمن بدوى - أبو الفلسفة الوجودية فى مصر - وفجأة قرر أن يدعونى إلى الغداء . . قرار خطير . . فهو رجل بخيل جداً . . ولكنه قرار . . وهو أستاذى وأنا من أشد الناس إعجابا به . . وظللنا نمشى حتى سيدنا الحسين . . ولم يفكر ولا أنا فكرت فى أن نأخذ تاكسى . . وبسرعة دخل مطعم تخرج منه رائحة اللحوم والتقلية والملوخية والفتة . . دخلنا . . وجاء الجرسون الذى يعرفه ، وقال له أستاذى الفيلسوف : اثنين فتة كوارع واثنين كباب وكفتة وطرشى بالشطة . .

وفى هذه اللحظات انهار العرش الفلسفى الذى كان يجلس عليه . . وتبخرت الكلمات الفلسفية التى أمضينا العمر فى فهمها بكل اللغات . . من مثل كلمات : الحرية والفردية والقلق والموت والوجود والعدم . . وهذا الوجود . . هو وجود هذا . . والوجود لذاته . . والوجود بذاته . . والوجود من أجل الموت . . إلى آخر المصطلحات الفلسفية الوجودية . .

وأحسست فعلاً أننى غرقان فى طشت الملوخية والبامية ، والكلاب تنهش اللحم ، وتخطف الكوارع ، وعلى الفلسفة السلام ورحمه الله ! .

* * *

أنت
كم تساوى فى هذا الكون؟

هل تريد أن تعرف كم تساوى فى هذه الدنيا ؟ أنا أقول لك . .

الكرة الأرضية التى تعيش عليها هى أحد تسع كواكب تدور حول الشمس ، والأرض تبعد عن الشمس ٩٣ مليون ميل .

والشمس ليست إلا أحد نجوم مجموعة كبيرة من النجوم اسمها (الطريق اللبنى) - واسمه الطريق اللبنى لأن النجوم كثيرة جداً ، وتراها على البعد كأنها خط أبيض فى السماء . والطريق اللبنى به آلاف ملايين النجوم التى مثل الشمس . . وحول هذه النجوم كواكب كالأرض . . وحول هذه الكواكب أقمار كالذى حول الأرض . .

وفى الكون ألوف الملايين من المجموعات التى مثل (الطريق اللبنى) .

ثم إن هذا الذى نسميه (الكون) - أى مجموعات الطرق اللبنية أوالمجرات والسدم - ليست إلا كونًا واحداً ضمن ألوف ملايين الأكوان الأخرى!

هل تعرف الآن كم تساوى هذه الأرض التى تعيش عليها فى هذا الكون . . أو فى هذه الأكوان ؟! .

هل أضعها لك فى صورة أبسط : نفرض أن الكون الذى نحن جزء منه فى مساحة استاد القاهرة ، فالكرة الأرضية عبارة عن حبة سـمـسـم فى أى مكان من الاسـتـاد . . ونحن بكل تاريخنا وحضاراتنا ومعاركنا وحروبنا ونظرياتنا السياسية والدينية وحروبنا ضد الميكروبات نعيش على ظهر حبة سمسم ! .

حبة السمسم هذه عمرها الآن أربعة آلاف مليون سنة ، والإنسان قد ظهر على سطحها منذ حوالى مليون سنة . . واستطاع هذا الحيوان العاقل أن يتطور بما لديه من قدرة عقلية وحب للاستطلاع والمغامرة ، وكل هذه الإنجازات العظيمة ، وأعظم الاختراعات التى اهتدى إليها الإنسان ترجع إلى المائة عام الماضية . . فياترى ما الذى يستطيع أن يبلغه الإنسان إذا عاش مليون سنة ؟ . . أو عشرين مليوناً ؟! .

هذا إن عاش . . فقد تعرضت الكرة الأرضية إلى أحداث فلكية من ٦٥ مليون سنة ، عندما اقترب أحد الأجسام النارية من الأرض فقضى على معظم الحيوانات التى على ظهرها . وفى مقدمتها الديناصور . . وكان من الممكن أن يتكرر ذلك سنة ١٩٨٩ ، فقد رصد العلماء جسمًا فضائيًا فى طريقه إلى غلاف الأرض ، ولحسن الحظ كان أبعد عنها بعشرين ألف كيلومتر ، ولو نزل إلى أقل من ذلك لسحبته جاذبية الأرض وارتطم بها وقضى علينا ! .

وهل تعلم من أين تجىء الأمراض والميكروبات والفيروسات لجو الأرض ؟ .

تجىء من الفضاء الخارجى ، فلا تزال النيران مشتعلة على مدى ألوف ملايين الكيلو مترات ، فهناك نجوم تولد ومجرات . . وهناك نجوم تبلع نجومًا . . وهناك نجوم تموت ، والعمليات الكيميائية الجبارة والمستمرة من ألوف ملايين السنين تتكون فيها غازات وذرات عضوية وتكوينات ميكروبية وڤيروسية لا أول لها ولا آخر . . وهذه الصور البدائية للحياة تنطلق فى الفضاء وتنقلها الأحجار الكبيرة الهائمة فى الكون ، وبعضها يدخل فى جو الأرض ، وتشده الجاذبية وتتحول إلى ذرات كل يوم ، وفى هذه الذرات تكمن هذه الصورة البدائية للحياة ، وتبدأ معارك الإنسان العبقرى ضد هذه الكائنات الصغيرة التى تتكاثر بلا حدود ، ولذلك فمعاركها بلا نهاية ! .

هل تعرف الآن كم نساوى نحن جميعًا ؟ كم تساوى أنت بالذات ؟! .

إن مثل هذه العملية الحسابية تجعل الإنسان يتضاءل ويتضاءل ويشعر بأنه لاشىء ، وإنما هو طويل اللسان بعيد الخيال ، وإن كان عميق التفكير مغامرًا يريد أن يعرف أكثر مهما كلفته هذه المعرفة ! .

الموضة لاعقل لها

فى كل مرة تظهر موضة يقف الرجال ضدها . . وبعد ذلك يعتادون عليها . . وتصبح السيدة التى لاتمشى وراء الموضة سيدة قديمة متخلفة .

عندما ظهرت موضة «الشوال» . . وهو الفستان الواسع الذى ليس له ملامح سخر منها الرجال فى كل الدنيا . . وقالوا : إن المرأة هى الأخرى لا تحبها ، ولكنها لاتنزل من البيت إلا إذا كان الجو عاصفًا لتقوم العواصف بضغط الفستان عليها . . فيبين معالمها . . أو أنها لا تحب الوقوف إلا على النواصى . . أى عند ملتقى تيارات الهواء . .

وقالوا عن فستان الشوال : إنه الفستان الذى تبدو منه المرأة حاملاً أو تريد ذلك ! .

وقالوا : إن فستان الشوال هو الفستان الذى ترتديه المرأة عندما يهاجمها أحد اللصوص فتخلع المخدة وتدخل فيها ! .

وعندما ظهرت موضة «نيولوك» أوالطلعة الجديدة التى ابتكرها «كريستيان ديور» ، ضاق الناس بها لأنها عبارة عن جلباب فلاحى . . طويل تحت الركبة بزمان ، واعتدنا عليها . .

ثم ظهرت موضة «المينى » «والميكرو» . . أى الفستان الذى فوق الركب بشبر أو بشبرين . . ثم اختفى ذيل الفستان . . وهى

موضة من الصعب تغييرها حتى الآن . . أى بعد مرور ثلاثين عامًا عليها . . وعندما ظهر «المينى» «والميكرو» طالت الأكمام ، أى أن الذى حذفوه من الذيل أضافوه إلى الأكمام . . وعندما طالت الأكمام ارتفعت الجوارب لكى تغطى السيقان . .

وفى نفس الوقت قصر الشعر ، أو طال . . فإذا هبط الذيل قصر شعر الرأس . . وإذا قصر الشعر طالت الأقراط . . وتدلت السلاسل من كل نوع ولون وحجم . .

وكما أن الموضة ليس لها عقل ، فالمرأة أيضًا ليس لها عقل . . فذات الساقين القبيحتين ترتدى «الميني» ! .

والتى فى حجم الفيل ترتدى الفستان الشوال ، مع أن الفساتين مثل زجاجات الأدوية لايصح أن نأخذها إلا بأمر الطبيب . . وكل واحدة ترتدى مايناسبها . . سنها وطولها وعرضها وفلوسها . .

ولا شىء يدل على أن المرأة ضعيفة الشخصية إلا الموضة . . فإذا قرر ملوك الموضة خطاً معينًا أولونًا أوقماشًا ، سارت وراءه كل نساء الدنيا ومن غير تفكير . .

ففى أعقاب الحرب عندما لم تكن هناك فلوس ولم تكن هناك مصانع للغزل والنسيج انتشرت موضة الفساتين الطويلة ، مع أنه لا يوجد قماش ولاتوجد قدرة مالية عند الناس ، ولكن اتفاقًا سريًا بين ملوك الموضة وملوك الصناعة بضرورة تشجيع النساء على شراء المزيد من الأقمشة لتشغيل المصانع والأيدى العاملة . . وقد حدث ! .

وظهرت موضة المرضعة . .

وظهرت موضة العاملات . . وموضة الأراجوز . .

والآن ظهرت موضة الميكانيكى . . بلوزة وعليها مايشبه الحمالة ، وبعد ذلك تستطيع المرأة أن ترتدى الچوب أوالبنطلون ، وهى موضة تناسب البنات الصغيرات ، ولن يمضى وقت طويل حتى تنتقل من البنات فى القاهرة إلى الأمهات فى أسوان ، لماذا ؟ الموضة كده ! وليس لها عقل ولا النساء أيضاً . !

أما التسريحات هذا الموسم فهى مضحكة حقيقية ، إذا كنت تريد أن تراها فى صورتها البسيطة الجميلة فتفرج على مذيعات التليفزيون الأمريكيات أوالأوروبيات . . فالشعر مشدود إلى الوراء أو إلى الجانب من الوجه مع ترك خصلة رقيقة رفيعة تنزل على الجبهة - إذا كانت عريضة - وتفرج عندنا فى الشبكات العربية فسوف تجد أن واحدة رأسها فى حجم البطيخة قد برمت شعرها على شكل ذيل قط . . أو ذيل سنجاب - وهو حيوان مثل القط وله ذيل منفوش الشعر - يتدلى على الوجه . . فإذا نظرت إليها فمن الصعب أن تعرف إن كان الشعر يتدلى على وجهها أوعلى قفاها ! .

الموضة القادمة طبعًا سوف يكون الشعر القصير مع الصيف . . أما الذيل فلم يستقر الحلاقون بعد على أين يضعونه أويدلدلونه . . على الجبهة أوعلى الكتف أوعلى القفا . .

لقد شاهدت هذه التسريحة ، مع اختفاء الذيل من الرأس وظهوره يتدلى من مؤخرة الفستان . . ومعنى ذلك أن المرأة لم يعد لها جسم . . وإنما كل جسمها رأس - عجبى ! .

* * *

قالوا لنا:

احلموا بعيدًا عنا!

سؤال تقليدى : ولما تكبر تحب تبقى إيه ؟ .

سؤال يقال لكل طفل . . وكان الجواب بالنسبة لنا - نحن أبناء الريف - هو أن يكون الواحد منا «عسكرى» . . فلم نكن نرى أشهر منه ولا أقوى منه . .

وعندما نكبر قليلاً نحب أن نكون عمدة . . أوالمأمور ، وعند المأمور تتوقف طموحاتنا جميعًا ، فلسنا أكبر من المأمور ، لأن العسكرى أقوى والمأمور أقوى من الجميع . . ولكن أهالينا كانوا يفسرون سلوكياتنا على أنها دليل على مستقبلنا ، تمامًا كقارئة الفنجان التى تفسر أكوام البن فى جدران وقاع الفنجان . .

فالذى يركب منا عصا ويجرى بها فى الشارع ، يقولون وهم سعداء : سوف يكون فارسًا فى الكلية الحربية . لأن العصا هى حصان المستقبل ! .

وأذكر أن إحدى قريباتى قالت : أقطع ذراعى إن لم يصبح طبيب عيون فى المستقبل ! .

وهى تقصدنى أنا ، والسبب أننى بمساعدة ثلاثة أطفال آخرين كنا نضع التراب فى عينى طفل خامس ! .

وبدلاً من أن تحاول قريبتى هذه إنقاذ الطفل من بين أيدينا ، فإنها اطمأنت فى سعادة إلى مستقبلى ، وراحت تنقل هذه النبوءة

إلى أمى . . وتلقت أمى هذه النبوءة بما يستحقها بالاهتمام فانهالت ضربًا على وجهى ورأسى وظهرى ، وحبستنى ولاطعام ولاشراب حتى اليوم التالى ! .

ومن ضمن المسابقات التى كنا نشترك فيها : من الذى يستطيع أن يأكل أكبر كمية من الفجل ؟ .

ونتسابق فى خلع الفجل من الأرض ، وبسرعة نأكل ونملأ الفم وبسرعة نظلط . . عشرة . عشرين . . ثلاثين . . ويتوقف بعضنا ، أما الذى لم يتوقف ويظل يأكل ويحشر ويظلط فهو الفائز ، ولكن ما الذى يفوز به ؟ ولا حاجة طبعاً ! .

وكان يقال : إن هذا الفائز هو الذى سوف يكون أطول عمرًا - من أين أتينا بهذه النبوءة ؟ لا أحد يعرف ، ولكن هذا ماكان يقال فى ذلك الوقت ! .

أما أغرب المسابقات فهى : من الذى يستطيع أن يتحمل أحجارًا على صدره؟ فينام الواحد منا على الأرض ويجىء زملاؤه بالحجارة والطوب ويكومونها على صدره حتى يقول : كفى . .

وبعد ذلك يجىء واحد من الأطفال ويجلس فوق هذه الحجارة ، وأذكر أن واحدًا كاد يموت ! .

وكانت النبوءة تقول : هذا الطفل هو الذى سوف يملك أكبر بيت فى البلد !! .

أما الآن فأنت تجلس إلى الأطفال وتسمع العجب . .

فالطفل أحمد ابن الدكتور جعفر رجب أستاذ الباطنة والقلب والمناعة فى القصر العينى ، ووالدته سامية سراج الدين مدرسة

الأدب الإنجليزى فى جامعة القاهرة ، فهو طراز آخر من الأطفال ، إنه يحلم بأن يكتب وأن تكون له كتب وهذه الكتب تتحول إلى قصص فى التليفزيون . . ويريد أيضًا أن يكون مخترعًا ، ومعانى هذه الكلمات ليست واضحة عنده ، وإنما هو يريد أن يكون شيئًا هامّاً ، أن يكون فى غاية الأهمية؟ وأكثر الأطفال يريدون أن يكونوا طيارين أو رواد فضاء أومهندسى كمبيوتر ، أما أهل هؤلاء الأطفال فيرون ذلك شيئًا عادياً ، فالجو والبيئة ، والظروف كلها تدعو إلى ذلك ! .

تغيرت الدنيا ، وتغيرت المثل العليا ، وفى زماننا لا كان عندنا راديو ولا تليفزيون ، ولا أحد من أهالينا عنده متسع من الوقت لكى يرى ما الذى تفعله بعيدًا عن البيت ، فقد أطلقونا فى الشوارع كالقطط والكلاب الضالة ، وقالوا : احلموا بعيدًا عنا ! .

* * *

إنه يوم الجنون العالمى !

فجأة تجد الناس كلها تتحدث عن عبدالحليم حافظ . . أو فريد الأطرش . . أو طه حسين . . أو ظاهرة الفئران فى الشرقية أو الديدان فى أسيوط ، ومرة واحدة تجد أن كل الأصوات قد سكتت وكل الأقلام قد جفت ، ماذا جرى ؟ هل ثبت لدى الناس أن عبدالحليم حافظ كفاية عليه كده ؟ هل الفيران ماتت ؟ هل الديدان أكلت نفسها ؟ هل جثث أبناء رواندا أكلها السمك ؟ ثم مات السمك نفسه ولم يعد هناك خطر على مصر من مياه النيل التى تجىء من بحيرة ڤيكتوريا مرورًا بكل فروع نهر النيل فى السودان ؟ .

ففى يوم من الأيام من أربعين سنة شرب الناس فى القاهرة عصير البرسيم ، والبرسيم هو ذلك النبات الذى تأكله الحمير ، وكان الناس يقولون لبعضهم البعض بعد كل كوب برسيم : نهيئًا ! وعدل الناس عن شرب البرسيم إلى شرب الجزر . .

وفجأة قيل : أن البيبسى بها دم خنزير ؟ كيف يدخل الدم هذا الشراب مع أن كل مكوناته معروفة ؟ ولكن قيل وانتشر بين الناس ، وبدأ الناس يصنفون المشروبات الحلال إلى حرام ونصف حرام . . وفجأة سكتت الأصوات ورأى بعضهم أن البيبسى هى أحسن قطرة للعين وأنها تطيل العمر ، كيف ؟ .

وفجأة قالوا : إن فندق هيلتون رمسيس مائل وسوف يقع ، وجاء

الناس من كل أنحاء البلاد يلقون النظرة الأخيرة على الفندق قبل سقوطه ، ولكن الفندق لا مال ولاسقط ! .

وانتشر أيضًا أن برج الجزيرة مال وسوف يقع ، وأنه مختلف عن برج «بيزا» الإيطالى المائل من مئات السنين ولم يسقط ، وسكت الناس بعد ذلك ! .

فما معنى ذلك ؟ معناه أنه من السهل التأثير على الجماهير ، فإذا أمكن التأثير عليها وتأثرت بهذه السرعة فهذه هى «الهيستريا الجماهيرية» ، أى الهوس المفاجئ الذى ينتشر بسرعة .

ومن سنوات أصيبت تلميذات المدارس فى مصر بحالة من الخوف والمغص وتفريغ الطعام بلا سبب معقول ، فقيل كلام كثير ، ولكن التفسير العلمى الوحيد هو «الهيستريا» . .

وحدث فى بلاد كثيرة ماهو أسوأ من ذلك . . ففى لندن سنة ١٩٥٥ أصيبت ٣٠٠ ممرضة فى أحد مستشفيات لندن بالعجز عن الحركة ، بالشلل ، مرة واحدة فوجئ الأطباء والمرضى بأن الممرضات قد سقطن على الأرض واستندن إلى الحائط ولم تعد واحدة منهن ترد على أجراس المرضى . . وتساقط المرضى من الفراش جوعًا وعجزًا عن تناول الدواء فى مواعيده ، وقيل فى تفسير ذلك : إنه مرض شلل الأطفال قد أصاب الممرضات ولم يصب المرضى والأطباء والزوار . . وقامت المستشفى بتحليل دماء الشلل ، إذًا ماهو ؟ إنه الهوس المفاجئ ، ليس مرضًا ولكنها حالة نفسية مباغتة تصيب الجميع ، وتذهب عن الجميع ! .

وفى سنة ١٩٧٧ فوجئ أهل تنزانيا بأنهم يستغرقون فى الضحك بعضهم على بعض ، بدون سبب ، فالمريض يدخل عيادة الطبيب ويجد الطبيب قد تساقط من الضحك ، فيقع المريض فوقه من الضحك . .

رئيس الوزراء يدق الجرس فيدخل الساعى وقد حمل صينية الشاى ويتحزم وهات يارقص وضحك ولعب . . فجأة يلاحظ الوزراء أن السيد رئيس الوزراء قد وقف فوق مكتبه وهات يارقص ! .

تصور لو حدث نفس المنظر فى مصر . . ورقص رئيس الوزراء عاطف صدقى وأمامه الرزاز ومحجوب وعاطف عبيد ، تصور ، ليس مستحيلاً . . وإنما الهوس الجماهيرى ممكن جدًا فى أى وقت وفى أى بلد ولأى إنسان ! .

تصور . . مجرد تصور أن د . عاطف صدقى رئيس الوزراء يلقى بيانا للحكومة فى مجلس الشعب . . وطلب أحد الأعضاء الكلمة وفوجئ الجميع بأنه أمسك الميزانية فى يد والطبلة فى يد وهات يارقص وغناء ويقول : ياميزانية يا . . والأعضاء يقولون : يا . .

وليس غريبًا أن يرقص أعضاء مجلس الشعب ، فقد رقصوا قبل ذلك فى يوم معروف من أيام المجلس والبلد . . إن مجرد أن نتذكر ذلك يجعلنا نضع رءوسنا فى الأرض ! .

ولو حدث فإن أحدًا لن يؤاخذ أحدًا . . فليس على المريض حرج ، والهوس مرض ! .

وإذا حدث ذلك فسوف ينتقل هوس الرقص والطبل إلى الجامعات ومجالس المدن واللجان الشعبية ، ممكن . .

هل رأيت شعبًا من أوله لآخره يرقص؟ أنا رأيت ، وكان ذلك سنة ١٩٦٤ أثناء انعقاد مؤتمر القارات الثلاث فى هافانا عاصمة كوبا .

وقد وقفنا حول الرئيس «كاسترو» نرقص نحن جميعا على إيقاع موسيقى «الروك أند رول» والرقصة كان اسمها «الموزميقية» . . ومن تأليف الموسيقار الكوبى «بيلو الأفريكانو» وكنت أمسك يدى يوسف السباعى - الله يرحمه - وأرقص من غير عقل ، وهو يرقص بالعقل ، وضحك وقال لى : ماتعقل ، قلت : أعقل إزاى . . قل للرئيس «كاسترو» يعقل ، قل لخالد محيى الدين ، قل لسهير القلماوى وأمينة السعيد ورفعت المحجوب . .

وضحك يوسف السباعى : يعنى أنت رأيك كده ؟ . . طيب سيبنى بقى ؟ .

وراح يرقص على الآخر . .

وقلت : الله ، ماتعقل يا أبو حجاج ! .

- أنت مجنون؟ اليوم هو يوم الجنون العالمى ! .

أول من رأى الفرن أمريكي

أحد أبطال حركة التنوير الثقافي في مصر : الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، بعث به محمد علي الكبير مع أولاده إلى باريس ، أولاد محمد علي يدرسون والشيخ الطهطاوي يرافقهم ليصلي بهم . . هم لم يتعلموا ، أما الطهطاوي فهو الذي تعلم اللغة الفرنسية ، وترجم الدستور الفرنسي ، ووصف حال فرنسا وباريس بصفة خاصة ، وراح يقارن بين بلادنا وبلادهم ! .

وعندما جاء نابليون إلى مصر أتى بعدد من الشبان النابهين ، درسوا مصر : أرضًا وجوًا وزراعة وصناعة وعادات وتقاليد . . وأهم من كل ذلك درسوا آثار مصر الفرعونية ورسموها بمنتهى الدقة ، وألفوا كتاب «وصف مصر» في أربعين جزءاً ، وهو أعظم الكتب التي صدرت عن مصر بأقلام العلماء الشبان الذين رأوا مصر لأول مرة . .

أما الطهطاوي فأصدر كتاباً اسمه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) . . أول شيء بهر الشيخ الطهطاوي عندما وصل إلى ميناء «مرسيليا» أن الفرنسيين يأكلون على طبالي مرتفعة - يقصد ترابيزات - وأن كل واحد له طبق خاص ، وكوب خاص . . وأنه يغرف من طبق كبير ، أي أنهم لا يأكلون من طبق واحد مثلنا ويشربون من كوب واحد مثلنا . . وأنهم يغسلون أيديهم قبل وبعد الأكل ، وأن الطعام مناسبة اجتماعية للكلام . . فهم لذلك يأكلون

على مهل ، لأن الأكل ليس عبئًا ثقيلاً يجب التخلص منه بسرعة . .

فلما ذهب إلى باريس . . بهرته النظافة والنظام . . واندهش جداً كيف أن المقاهى واسعة جداً كأنها الميادين العامة . . ولكن اكتشف السبب الحقيقى فى هذا الاتساع . . فالمقاهى بها مرايا كثيرة ، هذه المرايا إذا نظر إليها الإنسان من خارج المقهى وجدها قد عكست صور المشاة . . فيتوهم أن كل هؤلاء فى داخل المقهى . .

وكان الطهطاوى حريصًا على أن يضع يده إلى جانب المرايا . . فيجد أن المرايا لاتغير لون اليد . . كما أنها لاتغير شكل الأصابع . . لأن المرايا فى مصر إما مقعرة و إما محدبة . . ولذلك فأشكال الأصابع فى المرايا مكعبرة ! .

ولاحظ الطهطاوى أن المرأة الفرنسية تضع أسياخًا من الحديد فى فستانها ليظل مرتفعاً وظهرها مشدودًا أيضًا . وقال الطهطاوى - الرجل النمس - : إن المرأة الفرنسية تشد نهديها إلى الوراء . . وليست كل نهود الفرنسيات نافرة كما تبدو . .

أما الشيء الذى بهر الطهطاوى ودوخه ولم يكد يراه حتى توضأ وصلى وطلب من الله - سبحانه وتعالى - أن يهدينا إلى مثل هذا الاختراع . . هذا الشيء رآه فى ميدان الكونكورد . . لقد رأى (عربة رش) . . عربة عبارة عن فنطاس به ماء . . والماء يخرج من بزابيز . . وفى ساعات يتم رش ميدان الكونكورد . . أما فى القاهرة فهم يرشون الميادين بالجرادل . . وتستغرق عملية الرش هذه يوماً من الشروق إلى الغروب ! .

ورغم الانبهار بالفرنسيين ، فإن الشيخ الطهطاوى لم ينس عيوبهم ولم ينشغل عن عظمة الإسلام . .

وكذلك المؤرخ عبدالرحمن الجبرتى الذى أعجب بالفرنسيين الذين يحكمون بالعدل . . فكل من وقف أمام القاضى اختاروا له محاميًا يدافع عنه . . ثم إن الشيخ الجبرتى قد انبهر بالعلوم الفرنسية والمطبعية . . ولكنه فى نفس الوقت كان ساخطاً على الاحتلال وعلى امتهانهم للأزهر الشريف الذى دخلوه بالخيول ! فهو قد أعجب بعلمهم وعدلهم ، وكره قسوتهم وعنفهم . .

أما الذى انبهر به الشيخ الجبرتى فهو أن الفرنسيين كانوا يضعون الورقة البيضاء فى الماء فتخرج حمراء اللون - وهى تجربة يعرفها أصغر التلامذة الآن عندما نضع ورقة عباد الشمس فى أحد المحاليل ! .

وبالمناسبة ذهبت فى أول حياتى الصحفية أجرى حديثًا مع طبيب نفسانى ، وبعد أن فرغت من الحديث دعانى إلى أن أتفرج على بيته . . وبالذات على المطبخ ، وفى المطبخ رأيت فرن البوتاجاز لأول مرة فى حياتى سنة ١٩٥٠- ولم أكن عرفت بوجود شىء كهذا - وظهر المقال الذى كتبته ويتوسط المقال صورة كبيرة مكتوب تحتها : ويرى المحرر أنيس منصور وقد وضع يده على الفرن الأمريكى ! .

وكنت أستأذن الدكتور النفسانى فى أن يتفرج زملائى على هذا الفرن الأمريكى من حين إلى حين ! .

* * *

دعوة إلى المشنقة!

تلقيت دعوات غريبة وعجيبة ، ولم أعتذر .

فى يوم أخذت إحدى الزميلات الصحفيات تطاردنى فى البيت والمكتب . ولم أستطع أن أفهم لماذا ؟ فليست أديبة ولا فنانة ولا عندها أية اهتمامات فلسفية . وكلما سألت عنها قالوا : فى المحافظة . . فى سجن طرة . .

فهى مندوبة الحوادث فى «أخبار اليوم» . وأخيرا وجدتها . . وسألتها : إيه الحكاية ؟ .

- عندى خبر مهم جداً .

- ماذا ؟ .

- غدا سوف ينفذون حكم الإعدام فى أربعة من الرجال وامرأة ، ما رأيك ؟ .

- رأيى فى ماذا ؟ .

- فى الإعدام . .

- ليس لى رأى طبعًا ، ولكن لابد أن الحكم بإعدامهم عادل تمامًا .

- لا أقصد ذلك . . أقصد أن تذهب لكى تتفرج على عملية الشنق!

- أعوذ بالله . . وأنت هل ستذهبين ؟ .

- طبعاً ، إنها متعة .

- متعة أن تجدى بنى آدم يشنقونه ؟ .

- إنه يستحق الشنق .

- ولكن ما متعتك ؟ .

- أنا أقول لك . . فى كل مرة أذهب . . أتخيل واحدًا أكرهه بعد موته . . وأظل أركز فى الذى أمامى حتى أجد الشخص الذى أكرهه يعدمونه بالفعل . . وبعد تنفيذ حكم الإعدام أشعر بسعادة عظيمة ، وبالشكل ده أصفى حساباتى مع الناس الذين أكرههم . .

- آخر واحد شنقوه هل تذكرينه ؟ .

- نعم . . إنه زوجى ! .

- شنقوا زوجك ؟ .

- لا . . شنقوا واحدًا آخر . . ولكنى تخيلته زوجى . .
وأصبحت أتعامل معه على أنه مات . . وأن الذى أراه فى البيت هو عفريت زوجى ! ما رأيك ؟ .

وذهبت . . وتفرجت وتخيلت أنهم يشنقونها وندمت على الذى رأيت ، وظلت الصورة تلاحقنى سنوات ! .

وفى يوم كنت مسافرًا إلى اليابان وكان الجو عاصفا ، وقد عرفنا طوال الرحلة أن هناك إعصارًا يجتاح المحيط الهادى فى اتجاه الصين واليابان ، وقد نبهنا كابتن الطائرة إلى ذلك . . ثم طمأننا

قـائلاً : إننا عند أطراف الإعـصـار ، والخطورة تكون عـادة عندمـا تقترب الطائرة من عين الإعصار .

وقبل أن نصل إلى مطار هونج كونج جاءت المضيفة وأيقظتنى قائلة : الكابتن الشقنقيرى يطلب إليك أن تشرب معه قهوة ! .

قهوة بعد منتصف الليل ؟ إنه معذور ، فهو طائر ليلاً ونهارًا ولا فـرق بين الصبـاح والظهـر . . وذهبت ، وطلب منى الكابتن أن أجلس ، ثم قال لى : إننى دعوتك لترى المطب الهوائى القادم . . وكيف أن الطائرة سوف تنزل هادئة إلى قاع هذا المطب الذى يبلغ بضعة آلاف من الأقدام ! .

ياخبـر أسـود . . إنه يدعونى إلى مشـاهدة مطب هوائى ! هذا طبـيـعى ، فليس لديه إلا العـواصف والمطبـات والصـواعق والأعاصير . . وطلب منى أن أربط الحزام ، وفجأة هبطت الطائرة إلى قرار عميق . . الطائرة نزلت وروحى طلعت . . ثم عادت الطائرة تصعد إلى مكانها . . وتهللت أسارير الكابتن وقال لى : إيه رأيك ؟

- عظيم ياكابتن .

- تفضل سيادتك وأكمل نومك ، شكرًا . .

وفى يوم دعانى صديقى الطبيب ، مصطفى المنيلاوى خبير المناظير التى يدخلها فى المعدة وفى الأمعاء ليصور الأحشاء بالألوان ، وكان ذلك شيئاً جديدًا فى مصر ، ودعانى لكى أتفرج على عـمليـة إدخال المناظيـر . . وفرحت . . وذهبت مـعـه إلى المستشفى ، ودخلت غرفة فوجدت واحدًا ممدًا على وجهه ،

عاريًا تمامًا ، وبسرعة جاء الطبيب الكبير . . وطلب منى أن أقترب . . واقتربت وانزعجت ، فلم أتصور أنه سوف يدخل المنظار فى مؤخرة المريض الذى شعر بخجل عظيم . . وكنت أتصور أنه سوف يضعه فى فمه إلى حلقه إلى معدته . .

ولم أعرف ما الذى يمكن أن أعمله . . ولا أستطيع أن أصف لك ما رأيت ، أنا كنت فى غاية الاستياء والدكتور فى غاية السعادة . . واستغرق الطبيب فى الرؤية ، أما أنا فهربت من غرفة العمليات ولم يشعر الطبيب بأننى اختفيت ، وأننى فى حالة من القرف لازمتنى أيامًا . .

الصورة كانت مؤلمة . . الصورة التى لم أتعود عليها والتى يراها الطبيب ألوف المرات . . ويجدها أروع نجاح وأعظم شىء فى الدنيا ! .

* * *

وحبستى الإنسان الحمار

كان من عادة الأستاذ العقاد أن يقارن بين وجوه الناس ووجوه الحيوانات ، وكان من رأيه أن هناك تشابهًا كبيرًا بين أشكال الناس وأشكال الحيوانات ، وهذا التشابه فى الشكل يقابله تشابه فى السلوك أيضًا ، وكانت عند الأستاذ العقاد حديقة حيوانات . . هذه الحديقة هى كل أصدقائه ، وكان يختار لنفسه حيوانًا يعتقد أنه شبيه به . . فقد اختار لنفسه الزرافة ! .

ونفس الكلام يقال عن الأبراج الفلكية التى ولدنا فيها : برج الأسد والثور والحوت . .

وفى الأبراج الصينية : برج الفأر والكلب والحصان . .

ولا توجد قصة من قصص الأطفال وليس فيها كلام عن الذئب والأرانب . . وكذلك الكارتون : حكايات ومعارك بين القط والفأر . .

وشىء عجيب أن تجد الأطفال الصغار يهربون من الإنسان ويعيشون مع الحيوان ، وأكثر هؤلاء الأطفال يختارون الذئاب ، أو تختارهم الذئاب . .

وفى التاريخ الحديث أكثر من مائة حادثة لأطفال عاشوا مع الذئاب . . هربًا من أمهاتهم . . واحتضنتهم الذئاب وأرضعتهم . .

طفلة واحدة وجدوها تعيش مع البقر فى سيريلانكا . .

وطفل واحد عاش بين القرود فى بوروندى . .

وفى سنة ١٩٢٠ وجد الهنود طفلتين صغيرتين هما : «أمالا» «وكمالا» تعيشان فى أحد أوكار الذئاب ، الطفلتان تمشيان على أربع ، ولاتعرفان كلمة واحدة ، والطفلتان تلعبان مع الكلاب ولا تلعبان مع الأطفال ، وتتفاهمان بالنباح والعواء . .

وكانت أصغرهما فى الرابعة من عمرها ، وأختها الكبرى فى السادسة ، وقد عاشت الصغيرة عامًا واحدًا ، ثم ماتت . . وأختها عاشت بعدها بسنة وماتت ، ولم يفلح أحد أن يجعلهما تأكلان أكل الإنسان ، فقد كانتا تفضلان اللحم النيئ والجيف ؟! .

وفى الأردن ظهر الإنسان الغزال ، إنسان يعيش مع الغزلان ، وقد أرضعته غزالة . . وكان يجرى بسرعة هائلة . . وكان يجرى على يديه ورجليه ، فإذا وقف فإنه يحنى ظهره ، وأمسكوه ، وفشلت جميع المحاولات فى تعليمه اللغة العربية ، ولم يستطع أن يعيش فى بيئة إنسانية ، وبعد وقت قصير مات . .

مرة واحدة فى تاريخ الإنسان عثروا على طفل فى باريس سنة ١٧٩٩ ، الطفل أسموه «ڤيكتور» ، إنه إنسان حيوان . . لايعرف كلمة واحدة ، ولا يأكل إلا اللحوم بشرط أن تلقى له على الأرض . . رفض الخبز ورفض اللحم المطبوخ ، ورفض النوم إلا تحت السرير !

ولكن عكف عدد من العلماء على دراسة هذا الإنسان الذى وصفوه بأنه أبله تمامًا ، ولكن انتهز العلماء هذه الفرصة النادرة لتعليم (إنسان حيوان) مبادئ اللغة والتفكير ، وكل هذه

المحاولات والتجارب الفاشلة الناجحة للعلماء الفرنسيين هى التى أصبحت بعد ذلك أساسًا لتعليم الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وعاش «ڤيكتور» هذا على نفقة الدولة أربعين عامًا ، ولم يتقدم كثيرًا ، ثم مات ، ولكنه كان كنزًا علمياً وأساسًا لتربية الأطفال الصغار تربية صحيحة ! .

وعندما كنا ندرس علم النفس ونحن طلبة ، كان من نصيبى أن أتخصص فى دراسة شاب أرمنى يعيش فى البيت المجاور للأستاذ العقاد فى شارع السلطان سليم بمصر الجديدة ، الشاب يعيش فى غرفة فوق السطوح ، ولم يخرج منها منذ ولد ، والشاب فى الخامسة والعشرين من عمره ، وأمه مسكينة تتركه فى الغرفة وتذهب للعمل ، وحار الأطباء فى أمر هذا الشاب ، وطبيعى أن أحتار أنا أيضًا ، فلست إلا طالبًا مبتدئًا فى كلية الآداب قسم الفلسفة ، وتصورت فى ذلك الوقت - أنا الذى تصورت - أننى لو زحزحت هذا الشاب من حجرته الصغيرة التى يعتقد أنها بطن أمه وأنه لم يولد ، لو أخرجته من هذه الغرفة فسوف يعتقد أنه قد ولد ، وحاولت بكل قوتى أن أشده إلى خارج الغرفة ، فلم أستطع ، فاتفقت مع أحد الزملاء ، وذهبنا فى غياب أمه وتعاونًا على إخراجه من الغرفة ، وكان قوياً . . وكان يصرخ . . وحالته مؤلمة جداً ونحن طلبة جهلة ، ولا أحد يساعدنا على تصحيح هذا السلوك غير العلمى ، وأخرجناه بالقوة وحاولنا أن نتفاهم معه ، وفجأة هجم على زميلى وكاد يصيبه فى رأسه ، فهرب الزميل . . وفجأة دفعنى إلى داخل الغرفة وأغلق الباب بالمفتاح ! .

الغرفة فوضى ورائحتها كريهة ، وكنت فى حالة من الخوف لا أعرف ما الذى يمكن أن يفعله هذا المجنون ! وشاء القدر أن تجىء أمه على غير عادتها مبكرة ، وقد كان ذلك يوم عيد ميلاده ، وبسرعة فهمت الأم أن كارثة قد وقعت . . المصيبة أنها أخرجتنى ولكن ابنهـــا رفض أن يخـــرج . . وراحت الأم تناديني لكى تشكرنى ، ولكنى اختفيت ، ولم أعرف ماذا حدث لهذا الإنسان الحمار ، فأذناه طويلتان ورأسه طويلة وممدود إلى الأمام ، وإذا أراد ضرب أحد فإنه يقف على يديه ويرفسه بقدميه ! .

* * *

عندك فكرة عن مايانمار

نشرت كل الصحف وأذاع الراديو والتليفزيون أن وفدًا رفيع المستوى قابل الرئيس مبارك ، هذا الوفد «مايانمارى» . .

وانتظرت أن يشرح أحد فى الصحف أو التليفزيون معنى «مايانمار» . . أو أين هذه البلاد ، إن منظر أعضاء الوفد آسيوى . . فهم صفر الوجوه ، سود الشعر وقصار القامة وعيونهم منحرفة ، ولكن أين هذه المايانمار ؟ ! .

ونسيت أن أسأل ، ويبدو أن غيرى من القراء تحرجوا أن يسألوا ، لأن السؤال معناه أنك لا تعرف . . بينما كل الناس يعرفون ، ومضى يوم وثلاثة وأربعة ولكن أحدًا لم ينشر فى الصحف أين «مايانمار» . . وحمدوا ربنا على أن الوفد خرج من مصر وليس هناك داع لأن نعرف من هؤلاء الذين كانوا فى مصر ، لقد خرجوا ولن يعودوا .

وسألت - فى تردد - أحد الزملاء العلماء فى مجلس الشورى :

أين «مايانمار» هذه ؟ ! .

- بالمناسبة أنا كنت عاوز أسألك . .

وعدت إلى دوائر المعارف فوجدت أن هذه البلاد مساحتها نصف مساحة مصر ، أى حوالى ٥٠٠ ألف كيلومتر مربع . . أى أنها بلاد كبيرة ، وعدد سكانها ٤٢ مليوناً ، تصور كبيرة إلى هذه الدرجة

ولكن أحدًا منا لا يعرف ماهى وأين هى ! ولم أسمع بها طوال عمرى . . وديانتها البوذية ، وأنها مكونة من سبعة أقاليم . .

هل تعرف اسم هذه الدولة ، اسمها : بورما ! ولكنها اختارت اسمًا وطنياً مثل كثير من الدول التى اختارت أسماء وطنية أخرى . . نحن فى مصر اخترنا يومًا ما اسم : الجمهورية العربية المتحدة ، وأخفينا اسم مصر تمامًا - كان ذلك أيام الوحدة الملعونة مع سوريا - ملعونة من سوريا ومن مصر . .

وجزيرة «سيلان» كان تسمى فى الكتب القديمة : «سرنديب» . . ثم اختارت اسم : «سرى لانكا» ، والاتحاد السوفيتى أصبح اسمه «روسيا» ، و «يوغوسلافيا » أصبح اسمها : الصرب والبوسنة والهرسك وكرواتيا والجبل الأسود ومقدونيا . .

وهذه الحكاية تذكرنى بما يفعله البدائيون فى أواسط أفريقيا ، فبعض القبائل البدائية تلجأ إلى أن يغير الإنسان اسمه بينه وبين نفسه دون إبلاغ أحد . . طبعاً دون نشر اسمه فى الصحف ، فلا صحف وسط الغابات . . فمثلاً يكون الواحد منهم اسمه جردل . . فيقرر بينه وبين نفسه بأن يجعل اسمه : طشت ، والناس حين ينادونه ياجردل! فلا يرد ، لأن هذا لم يعد اسمه ، ولابد أن يسألوه عن اسمه الجديد فيقول : طشت . . وينادونه فيرد . . وفى اليوم التالى يغير اسمه مرة أومرتين!

فكأن هذه الدول قد غيرت اسمها دون إخطار لنا !! والحقيقة أنها غيرته رسميّاً ، وأخطرت الأمم المتحدة وكل الدول التى

اعترفت بها وأوفدت السفراء إليها ، ولكننا - نحن فى مصر - لم نعلم ، فقد انتشر الخبر فى الدنيا وتوقف عند حدودنا . . أو دخل وزارة الخارجية المصرية ولم يخرج ! .

وفى اليوم التالى عدت إلى مجلس الشورى وقلت للزميل الذى سألنى : لقد عرفت الاسم الأصلى لمايانمار . .

- ما أنا كنت حاقولها ! .

- كده ؟ .

- طبعًا . . وهل يفوتنى ذلك ؟ !

* * *

قال الباقورى فى حذائى المسروق؟!

كان الهدف من زيارة القدس هو إجراء انتخابات تؤدى إلى إسقاط المليونير اللبنانى «إميل البستانى» الذى مات فى حادث سقوط طائرته . . ولذلك ذهب وفد مصرى كبير . وقبل سفرنا التقى بنا الرئيس جمال عبدالناصر .

وكان معنا المذيع الفظيع أحمد سعيد مدير (صوت العرب) آنذاك ، وفى سينما الحمراء بالقدس العربية سنة ١٩٥٥ اجتمعنا واستمعنا إلى خطاب الملك حسين . . وكانت هذه أول مرة نرى فيها إسرائيل ، فالمسافة بين القدس العربية والقدس اليهودية أمتار وأحيانا حائط واحد . . وكنانندهش كيف أن اليهود يقفون فوق الأسطح وإذا نظرنا إليهم أخرجوا ألسنتهم . . مع حركات باليد وأصابع اليد - شتيمة يعنى ! .

وسقط «إميل البستانى» فى انتخابات رياسة مؤتمر الخريجين . . وأسعدنا ذلك . .

وقيل لنا : إن الشيخ الباقورى سوف يلقى خطبة الجمعة فى المسجد الأقصى . . طبيعى أن نذهب للصلاة . . وكان زميلى فى الغرفة هو د . حسين مؤنس ، سألته : نركب التاكسى أو نمشى سيرًا على الأقدام ؟ .

اختار هو التاكسى وذهبت أنا على قدمى أتفرج وأسأل . .

وكان المسجد الأقصى قد امتلأ وفاض . . وكانت المسافة بين المسجد الأقصى ومسجد الصخرة قد تغطت بالمصلين . . وماتبقى قد تغطى بالأحذية والشباشب . . وخشيت من البرد أو لفحة الهواء ، فتركت حذائى ودخلت مع د . عزيز صدقى ، وأيامها كان ما زال مدرسًا بكلية الهندسة . . ود . راشد البراوى الأستاذ بكلية التجارة .

وكانت خطبة الباقورى ممتعة ، فهو عالم جليل ، ولديه قدرة فريدة على استخراج المعانى والحكمة الموعظة دون مجهود . .

وبعد الصلاة لم أجد حذائى ، ضاع بين مئات الأحذية . . ونصحنى بعض الأصدقاء بأن آخذ أى شبشب بدلاً من المشى حافياً والأرض قد بللتها أمطار الشتاء ، ورفضت أن أكون سببًا في إصابة واحد آخر بالتهاب رئوى أو نزلة شعبية . . ولم أجد محلاً واحدًا مفتوحًا يبيع الأحذية . .

وكان لابد أن أمشى حافيًا من المسجد الأقصى إلى فندق «إمباسادور» . . وصار حذائى المفقود نكتة المؤتمر ، وأصبح كل الأعضاء يتمسكون بأحذيتهم خوفًا من أن تضيع - مع أن هذا الاحتمال بعيد جداً - وسألنى الأستاذ الباقورى إن كان حذائى من النوع (الزاجل) أى الذى إذا تركته عاد إلى صاحبه ؟ ! .

ونظم الأستاذ الباقورى شعرًا فى ذلك . . وقد نسيت هذه الأبيات التى نظمها ، وبعد عشرين سنة سألت الأستاذ الباقورى إن كان لا يزال يذكر تلك الأبيات ، فأدهشنى أنه لايزال يذكرها :

الأبيات تقول :

نقـــول - رعـــاك الله - إنك شـــفـتـــه
يمـاشى وفـود العـرب فى القـدس حـافـيـا
أنيس فـــتى مـــصـــر وزينة وفـــدها
إلى القـدس يمشى فى ربى القـدس حافيا
ولـيـس بـصـــــوفـى ولـيـس بزاهـد
ولا كـان فى الوادى المـقـدس سـاعـيـا
ولـكـن مـأفـــونـــا أراد دعـــــابـة
فـغـــال حـــذاء متقـن الصنـــع غـالـيـا

وانتشرت النكت ، فواحد يقول :

إن الرجل الذى سرق الحذاء قد أعاده . . فقد وجده قديما ! .

وهاجمتنى إحدى الصحف . ولم أفهم لماذا ؟ هل أنا الذى سرقت الحذاء ؟ هل لايصح أن أقول : إن حذائى سرقوه دون أن أتهم أحدًا ؟! .

هل لو رآنى واحد فى الشارع حافيًا وسألنى ، هل لايصح أن أقول له : إنهم سرقونى . . أو إن المشى بالشراب موضة ؟ .

وكانت أبيات الطبيب الجراح د . أحمد عبدالقادر دفاعًا عنى تقول :

أنيس أنت فى الدنيا كتاب
وأنت لفكرنا الجدب السحاب
وما ضر الشموس ولا ضياها
إذا نبحت على الشمس الكلاب
لقد غذيتنا بالفكر دهرًا
ومن يأتى الطعام فلا عتاب !

وشكرًا . .

***

أنت حمار ٤ مرات يوميًا!

مثل هذه التعبيرات غير علمية : أحبك من قلبى . .

فالحب والكراهية والخوف والجبن والغيظ والحقد والحسد كلها من فوق كتفيك . . من عقلك . .

أما هذه الحالات النفسية فيكون لها أثر فى القلب الذى يدق بالقوى أوي دق بانتظام ، فلا شىء فى القلب ، القلب مجرد مضخة غرقانة فى الدم ، ورغم هذه الدماء فإن القلب هو مصدر الرحمة والحب - آسف ليس مصدر أى شىء - وإنما تظهر عليه هذه المشاعر التى تؤدى إلى انقباض النفس أو ارتياحها وبهجتها . .

صحيح كلمة القلب أروع وأجمل ، ولكن مع الأسف هو ليس كذلك ، فالقلب مضخة «كابسة ماصة» أى تكبس الدم إلى الجسم ثم تمتصه لتقوم بغسله وتطهيره وإعادته إلى ستين ألف كيلو متر من الشرايين والعروق والشعيرات . . ولو وضعت عشر شعيرات إلى جوار بعضها البعض فإنها تكون فى سمك شعرة الرأس .

وهذا القلب لايتوقف عن الخفقان منذ الميلاد وحتى الموت . . وأنت نائم يدق وأنت نائم يصلح نفسه بنفسه ويعالج نفسه بنفسه ويضبط نفسه . . ولا يعرف القلب السليم أى خلل ، والفارق فى انتظام دقاته بنسبة واحد فى المليون - تصور ! - ولا أية ساعة سويسرية ! .

وكمية الدم التى يضخها القلب فى عمر أى إنسان عاش حتى الستين تعادل كمية الوقود التى نضعها فى ألفى طائرة چامبو !! .

وعلماء النفس يقولون لنا : إن فى القفص الصدرى للإنسان غابة من الحيوانات . . فالإنسان فيه شر وفيه وحشية وحقد . . واستعداد لقتل الأبرياء ودفنهم والسعادة بذلك ، فالإنسان ليس إنساناً دائمًا . . وإنما هو إنسان أحياناً ، ولكنه حيوان معظم الوقت ! .

والعلم والتربية والدين هى التى تهذب الإنسان وتجعله أقل ضررًا . . أو هى التى تقوم بتطهير حديقة الحيوانات ذوات الناب والمخلب وتستبقى الإنسان فقط . . وإذا بقى الإنسان فإنه هو وحده الذى يستعدى هذه الحيوانات ويحاول أن يقلدها . . فكأننا فتحنا أبواب الحديقة فخرجت الحيوانات كلها ولكن الإنسان هو الذى عاد فأدخلها إلى القفص الصدرى ! .

ويقال أيضًا : إن حضرتك لست حيوانا فى قفصه الصدرى حيوانات أخرى . . بل أنت وأنا مثل حديقة الأسماك . . لأن ٧٠٪ من السوائل الموجودة فى جسم الإنسان من الماء . .

فليس الدم فقط هو الذى فى جسمك ، وإنما أكثر الدم ماء ، يعنى كل واحد منا عشرة جالونات من الماء . . وهذا الماء به ألوف ملايين الكائنات الحية . . من الخلايا والميكروبات والبكتيريا . . التى تعيش علينا . . ونعيش عليها أيضًا . .

وفى الجسم الإنسانى كمية من الكبريت تكفى لصناعة ٣٠٠ عود كبريت . . وفى الجسم الإنسانى كمية من الحديد تكفى لصناعة مسمار قلاووظ . .

وفى الجسم الإنسانى كمية من الدهون تكفى لصناعة عشر صابونات . . وفيه أيضًا كمية من الفحم تعادل ٢٨ كيلو من فحم الكوك . .

وكل إنسان تمر عليه أربع لحظات فى كل يوم يكون فيها حمارًا ! فتكون تصرفاته غاية فى الغباء . .

والإنسان المتوسط الذكاء هو الذى يكون حمارًا أربع مرات فقط . . ولكن الأذكياء جداً يصبحون حميرًا لفترات أكثر ، لماذا ؟ لأن الإنسان الذكى يخدعه ذكاؤه . . فهو يعتمد عليه أكثر من اعتماده على الواقع أو المنطق ، فيجد نفسه حمارًا أو أكثر من حمار . . والعالم العظيم «نيوتن» كان عنده عدد كبير من القطط وكانت تضايقه ، ولذلك صنع لها فتحة فى الجدار لتدخل وتخرج دون أن تشغله . . وجعل فتحة صغيرة للقطط الصغيرة . . وفتحة كبيرة للقطط الكبيرة . . ولم ينتبه إلى أن الفتحة الكبيرة من الممكن أن تدخلها القطط الصغيرة !

رأيت فى إحدى زياراتى لمستشفى الأمراض العقلية . . سيدة تمشى على أربع ووراءها رجل يمشى على أربع . .

- وسألت : ما هذا ؟

قيل لنا : إن الذى يمشى وراءها حمار أما هى فأنثى الحصان . .

ولكن لماذا يمشى الحمار وراء أنثى الحصان ؟

فقال لنا الأطباء : إن المفروض أن يمشى حصان وراء هذه المهرة . . ولكن هذه المهرة «خائنة» ولذلك اختارت الحمار

وفضلته على الحصان . .

أما من الذى قال : إنها خائنة ، فهى التى اعترفت بذلك ! .

فليس الإنسان فى حاجة إلى أن يصاب بالجنون لكى يكون حمارًا أوحصاناً ، وإنما هذا يحدث كل يوم برغم عقل الناس وذكائهم . .

هات ورقة وقلمًا واحسبها ابتداء من اليوم : كم عدد المرات التى وجدت نفسك فيها تمشى على أربع دون أن تدرى ؟! .

* * *

إنى نظرت إلى المرآة ..!

أنا أحب الشاعر العربى الرقيق البديع الذكى : البحترى . .

وأحب أيضًا الحريرى والجاحظ وأبو حيان التوحيدى ، والغريب أنهم جميعًا من أقذر خلق الله . . إذ كانوا لا يستخدمون الماء إلا نادرًا . . شىء عجيب . . أن تجد الواحد منهم يقترب من الماء ولا يمد يده . . ويقترب من النهر ولا ينزل فيه . . ولا يهم كثيرًا بأن يضيق الناس برائحته . . رائحة فمه وملابسه . .

ومنذ أيام صدر كتاب عن العبقرى الفيزيائى «أينشتين» . . وأهم ماجاء فى هذا الكتاب أنه رجل قذر جداً . . وأنه لا يستحم إلا نادرًا . . وكان يقول : إن الاستحمام يغير درجة حرارة جسدى . . وأنا أريد أن أحتفظ بثبات درجات الحرارة ! .

اقرأ هذه الأبيات للشاعر البحترى وهو يتحدث عن أهل زمانه وكان سيئ الظن بالناس ، فلم يعطه زمانه إلا القليل من كل شىء . .

فلقد بليت بعصبة

ما إن يرون العار عارا

لا مسلمين ولا يهود

ولا مجوس ولا نصارى ! .

ثم اقرأ هذا الكلام البديع واللوم الرقيق واليأس العميق :

ملّنا أم نَبا بنا أم جفانا

أم قلانا ، فاعتاض منا سوانا

ساخطٌ نبتغى رضاه ولا يسأل

عن سخطنا ولا عن رضانا

ما لنا نعبد العباد ، إذا كان

الله فقرنا وغنانا ؟! .

وكان البحترى إذا قال شعرًا جميلاً يقول لنفسه : الله . . الله ! .

وكذلك كانت أم كلثوم عندما تستمع إلى تسجيل أغانيها تقول : الله يا أم كلثوم الله ! .

إنه الفنان دائما الملىء بنفسه المعجب العاشق لها ! .

وعندما كنت أقرأ فى الشعر الأندلسى صادفت شاعرًا لطيفًا . . ابن نكتة . . ولكن أحدًا لم يلتفت إليه كثيرًا . . وكان يعيب على الناس أنهم يجلسون ساعات طويلة يتجملون ويتعطرون . . وأنهم بذلك أقرب إلى النساء . .

وكانوا يقولون له : يا أخى ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يدعو إلى النظافة . . وكان يتعطر وله حديث شريف يقول : «حُبِّبَ إلىّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجُعِلَت قرة عينى فى الصلاة» .

وكان يرد على ذلك : إنه الرسول . . إنه القدوة الحسنة . . إنه المثل الأعلى . . إنه صاحب الرسالة . . أما أنا فلا أنا صاحب رسالة ولا قدوة لأى أحد . . ولذلك أفعل بنفسى ما أشاء عندما أشاء . .

وكان لايغسل ملابسه . . وإنما إذا اتسخت فإنه يقلبها فإذ اتسخ الوجهان غسل الثوب برفق حتى لايذيبه الصابون !! .

وكان شاعرنا حافظ إبراهيم لايغير ملابسه كثيرًا . . لم يكن قذرًا كهؤلاء النابهين . . ولكنه كان لايملك إلا القليل . . ولما سئل فى إحدى المرات : ولماذا لاتغير هذه البدلة التى أبليتها ؟ .

فكان يضحك ويقول : إن لتلك البدلة صفتين فهى وحدانية وقديمة ! .

هذا الشاعر الأندلسى الذى لايغير ملابسه اسمه ابن زهر . .اقرأ أبياته وهو ينظر إلى صورته فى المرآة ثم يسأل المرآة عن هذا التغير الذى طرأ على وجهه وترد عليه المرآة :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جُليت
فأنكرت مقلتاى كل مَا رأتا
رأيت فيها شُييخًا لست أعرفه
وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت : أين الذى كان مثواه هنا ؟
متى ترحَّل عن هذا المكان متى ؟
فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت :
قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هوِّن عليك فهذا لا بقاء له
أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا
كان الغوانى يقلن : يا أُخىَّ وقد
صار الغوانى يقلن اليوم : يا أبتا !

أنت في حجم السمسمة

اجلس وتراجع فى مقعدك وانفخ كرشك وارفع رأسك ، وإذا أردت أن تدخن فافعل ، ثم ضع ساقًا على ساق وانفخ فى الهواء حتى تضيف إلى حرارة الجو حرارة رئتيك . .

الصورة الآن : تبدو أكبر من حجمك . .

الحيوانات تفعل ذلك عند الخوف ، فهناك أنواع من الضفادع إذا اقترب منها ثعبان فإنها بسرعة تتحول إلى كرة متعددة الألوان . . ويكون صوتها أغلظ ، وبدلاً من أن تتراجع فإنها تهدد بالهجوم ، هذه الضفدعة تتخذ حجم كرة القدم وشكلها . . وهى وفى الأصل فى حجم الليمونة . . لماذا ؟ لأنها تريد أن تخيف عدوها ، ولكن العدو الذى اعتاد على هذا المنظر يتقدم ناحيتها ويلدغها ، وبسرعة تتحول كرة القدم إلى ليمونة يبتلعها الثعبان ويبحث عن غيرها . .

ونحن أيضاً نفعل ذلك . . ولكن عند الخوف يتحول الواحد إلى شيء صغير . . فهو بدلاً من أن يجلس منفوخًا فإنه ينكمش وينطوى ويجلس فى ركن من المكان ، ما المعنى ؟ المعنى أن الإنسان عندما يشعر بالخطر فإنه يقوم بتقليل المسافة المعرضة من جسمه للخطر فيبدو أقل وأصغر . . فعند الخوف فإننا نكش وننكمش ! .

ويحدث لنا ذلك عندما تكون لنا حاجة . . عندما نرغب في شيء هام بالنسبة لنا . . نكون صغارًا عيالاً بريالة وأحيانًا تافهين جداً . .

فى ثلاث حالات يكون هذا حجمنا . .

الحالة الأولى : أمام الفلوس . . عندما نريد فلوسا . . عندما نريد سلعة . . عندما نريد أن نكسب مليمًا أو ألفًا . . يتحول الإنسان إلى ضئيل يفعل كل ما لايليق لكى يحصل على قرش زيادة ، فإذا حل عليه انتفخ وملأ المكان وزيادة ! .

وحالة ثانية : عندما يكون فى حضور امرأة جميلة ، فما هذه الرقة والنعومة والشهامة وحلاوة الكلام . . ويكاد يجعل من خده مداسًا للسيدة الجميلة ، فإذا حصل على الذى يريد تحول إلى ثعلب وهرب . . أو إلى ذئب ينقض متوحشًا ويعود له حجمه الطبيعى وأسلوبه الخشن . .

والحالة الثالثة : أمام المركز الوظيفى . . أو الدرجة الوظيفية أو أن يحصل على قدر من السلطة والقوة ، يا سلام على الموظف الذى يطلب درجة . . أو يطلب أن يتحقق له العدل الوظيفى . . إنه متسول وأقل من متسول . . يا سلام على الكلام الحلو الذى يكيله لرئيسه . . ياسلام على ذاكرته الجبارة التى تحفظ عيد ميلاد رئيسه وعيد ميلاد زوجته وأولاده . . يا سلام على الورد وزجاجات الكولونيا والدعوات له بطول العمر . . كل ذلك يخرج بسهوله من الموظف الذى يريد الدرجة ويكاد يموت أمامها . .

أحسن صورة لكل ذلك : صورة الذين يلعبون القمار فى حضور النساء الجميلات وبعض الرؤساء فى العمل : هنا المال والجنس والمركز . .

وأمام هذه القوى الثلاث يذوب الحديد ، وينكسر ظهر أقوى الرجال ، وبقدرة قادر يصبح هذا الإنسان شيئًا هزيلاً تافهًا حقيرًا

يرضى بالهوان ومادون الهوان ، لماذا ؟ لأنه لابد أن يبدو جذابًا أمام المرأة وأن ينحنى أمام الفلوس حتى تتدحرج إلى جيبه ، وأن يبدو سجادة تحت قدمى رئيسه . .

وإذا كان الإنسان يمكن شفاؤه من أى مرض ، فإن مرض القمار لاشفاء منه . . وإذا أردت دليلاً على ذلك فاقرأ مذكرات سعد زغلول - وهو صادق تمامًا فى كل الذى قال - كيف أنه حاول وحاول وفشل وفشل فى أن يكف عن لعب القمار . . ثم استسلم لهذا الإدمان الذى هو أقوى من إرادة الإنسان . . وسعد زغلول كان فى السلطة ويريد البقاء فيها ويلعب القمار لأنه يريد الفلوس . . وقد أشار عابرًا أيضًا إلى أن هناك جميلات أو جميلة واحدة . . فكل القوى الثلاث قد دوخت الزعيم الكبير : المال والسلطة والجنس . . ومن المؤكد أن سعد كان أصغر من السمسمة فى جلسات القمار . .

و«تشرشل» السياسى البريطانى الكبير ، لم ينهزم فى الحرب . . ولكنه انهزم فى الحب . . حاول كثيرًا ولكن المحبوبة لم تره كبيرًا وإنما رأته صغيرًا . . ولأنه صغير فقد استحق إهمالها ، وأهملته ، ولم ينس ذلك . .

ولكن ليس كل الناس فى قوة تشرشل أو سعد زغلول ، فهما قد قاوما واستطاعا . . ولكن أكثر الناس لايقوى ولا يستطيع . . فإذا كان المال يجعله قطًا صغيرًا ، فإن الجنس يجعله فأرًا أصغر ، والسلطة تجعله نملة فى حجم السمسمة ، فالإنسان يظل كبيرًا منفوخًا على الآخر وإلى أن يتعرض لنيران : المال والجنس والسلطة ! .

معذوه من زمان !

ألم يحدث أن وقعت فى مطب مثل هذا المطب الصحفى . . أن تجرى حديثًا مع واحدة كل مؤهلاتها أنها جميلة جداً . . فلا الفلسفة ولا الأدب ولا السياسة ولا أى شىء فى الدنيا يهمها إلا الاطمئنان على مسار الحمل من شعرها حتى طلاء أظافرها ، وكان لابد أن أجرى حديثاً ، ولجأت إلى هذه الحيلة : أن أتحدث عن جسمها فقط . .

أنا : من أين جمال عينيك ؟ .

هى : من ماما .

– ووجهك ونظرتك اللاسعة؟

– من جدتى . . فهى إيطالية فرنسية . .

– وتمارسين أية رياضة ؟ .

– لا .

– وكيف صار لك هذا القوام البديع ؟ .

– لا أعرف .

– لابد أن ماما ترددت كثيرا على حديقة الحيوانات ووقفت طويلاً أمام حديقة الغزلان . . طبعًا عندك كل أفلام «مارلين مونرو» . .

- لماذا ؟ .

- لأن طريقتك فى الكلام . . طريقة أنثى مدللة . . لا هى سيدة فاضحة ولا هى فتاة دلوعة . . وسط . . بالضبط مثل «مارلين مونرو» . .

- أبدًا . . رأيت صورها فقط .

- لابد أن يكون طائرك المفضل هو الطاوس .

- لا ، طائرى المفضل هو اليمامة ، ولماذا اخترت الطاوس ؟ .

- لأن كل فساتينك عبارة عن ألوان فوق ألوان . . وأنت تحركين الألوان كما يحرك الطاوس جناحيه وريشه . . كأن عاصفة تهب عليه . . هو الذى يفتعل العاصفة لكى يغرقنا فى ألوانه . . من قال لك إننى ذئب ؟ .

- أنت ؟ أنت ذئب ؟ هاها . .

- أبدًا . .

- أنا أقول : إنك ذئب . .

- أنت لم تقولى . . ولكن استخدامك لكل هذه الذخيرة الحية ضدي . . نظراتك . . لمساتك . . همساتك . . ريشك . . عطرك . . كل هذه أسلحة قادرة على أن تقتل أى حيوان ابتداء من الذئب حتى الأسد . . مع أننى أضعف من هذا بكثير جداً . .

- أنا أعرف أن نظرة واحدة تكفى للقضاء عليك .

- صح ! .

- وحركة واحدة من ساقى ! .

- صح ! .

- وهفهفة من عطرى ؟ .

- صح ! أُمال سيادتك قد شهرت وشحذت كل هذه الأسلحة ضدى لماذا ؟ .

- فى وجهك أنت ؟ .

- نعم .

- أبدًا . . إننى أنظر إلى نفسى فى المرآة وأجرب أسلحتى على نفسى . . وكلها أسلحة مرتدة . . فأنا كالذى يجلو سلاحه . . ويتفقد الرصاصات ويهدد بإطلاقها يمينًا وشمالاً . . إننى أجرب أسلحتى . . هل تعلم أن المرأة عندما تذهب إلى أى حفلة فهى مشغولة بالنساء الأخريات . . وهى تحاول أن تتفوق عليهن بالتدريبات والهجمات على الرجل . . كل هذا من أجل الفوز برجل . . والمرأة ليس فى نيتها أن تقتل رجلاً معينًا . . ولكن يسعدنا أن يكون لنا ضحايا . . صرعى . . هنا وهناك . . فهل تصورت لحظة واحدة أنك أنت المقصود ؟ .

- غلطة منى ! ولكن أحب أن أقول لك : ولا نظراتك ولا همساتك ولا فساتينك . . ولا شىء من هذا كله قد هز شعرة من رأسى . . وأحب أن أقول لك : إن أية فلاحة أبرع منك . . الفتاة الفلاحة تذهب إلى الترعة وقد ارتدت فستانًا أسود . . ورفعت طرف الفستان لينكشف جانب من الساق . . والبلاص على

دماغها يجعلها ترفع صدرها إلى السماء . . ثم تتعمد سقوط الماء على صدرها ليلتصق الثوب بصدرها ويقوم الماء بدور السوتيان . . وهذه هى الفتنة البريئة الطبيعية . . وهى أروع وأبدع من الفبركة والصبغة واللون . .

- إيه يا جدع اللى انت بتقوله ده ؟ .

- كلام . .

- والذى قلته لى فى البداية كان كذبًا ؟ ! .

- ليس كله . . والذى قلته أنت أيضا فى البداية كان كذباً . . لا أنا كاذب ولا أنت صادقة ! .

- نحن كاذبان .

- أو نحن صادقان .

- كاذب إلا قليلا .

- وصادقة إلا قليلا ! .

- تعرف إيه أجمل حاجة فيك .

- لا . .

- عيناك ! .

- «هاها . . هاها» عيناى . . عيناى اللتان أرى بهما بصعوبة شديدة . .

- نعم ، هذا الضعف فى عينيك . . أنا أحب الضعف فى الرجال . .

- وأنا لا أحب المرأة الضعيفة .

- أنت كنت تشكو من الأسلحة . . ومن الذخيرة الحية التى أحملها . . أنت تريد المرأة المتحررة من السلاح . . وهذا منطق الرجل الضعيف . . ولو كنت قوياً لما أخافتك هذه الأسلحة عند المرأة . . أنت إنسان ضعيف ولكنك لا تعرف . . وهذا هو الذى يعجبنى فيك . . وأنت تعجبنى لأننى من السهل أن أتغلب عليك . . وأن أرفعك إلى الباب وأقفله . . وراءك . .

- أنت تطردينى ؟ .

- أنا طردتك من زمان يا أستاذ . .

- كيف ؟ .

- من أول لحظة .

- كيف ؟ .

- إننى لا أتحدث إليك ، إننى أسجل حديثًا بيننا . . فأنا لا أتوجه بالكلام إليك . . وإنما أتوجه إلى المستمعين والمشاهدين الذين لا تراهم . . انظر وراءك . .

- هاها . . هاها . . إنها الكاميرا الخفية ! .

- هاها . . هاها . .

* * *

مبروك .. جالك خنزير!

فى طوكيو أقيم مهرجان دولى للطباخين .. فكل طباخ يقدم أحسن أطعمة بلاده ويعرضها على الطريقة الوطنية .. وقد اشترك فى هذا المهرجان أكثر من خمسين دولة من بينها مصر .

ومن نجوم السينما جاءت الفرنسية «كاترين دى نيف» والسويدية «كانديس برجن» والإيطالية «سيلفانا بمبانينى» ، والأمريكية «ناتالى وود» والإنجليزية «چين كولنز» ..

ووزعوا علينا استمارات تقول : بعد أن تكون قد تذوقت كل ما فى المهرجان اكتب رأيك ، ولك جائزة لاتخطر على بالك .. لاتتردد .. واكتب وصارحنا بالحقيقة ، فرأيك مهم جداً ..

مررت بسرعة على المائدة المصرية ، تتصدرها الطعمية والفول وأم على وفتة الكوارع وورق العنب .. واثنان من الطهاة المصريين ..

وأمام المائدة الفرنسية مددت يدى أتذوق الجبنة .. مائة نوع من الجبن ..

والمائدة الإيطالية تتصدرها المكرونة بكل أنواعها وأشكالها ..

والمائدة المكسيكية طعام «والع نار ..»

ثم الموائد الآسيوية وكلها من أعشاب وكائنات بحرية .. وهذه الكائنات لاهى سمك ولاهى جمبري ولاهى حيتان .. ثم إن

اللحوم مثل الخضروات ومن الصعب أن تميز بينها . . أما الأسماء فهى متشابهة وصعبة جداً . .

ورأيت من الواجب أن أجلس على المائدة اليابانية . . لابد أن أذوق وأستطعم وأجامل الدولة المضيفة وأقول : إن طعامها إن لم يكن أحسن طعام فهو من أجمل وألذ الأطعمة فى الدنيا ، وأمسكت القلم ووضعت علامات أمام الذى أعجبنى من الخضروات والحلويات . .

وعند نهاية الدوران على الموائد وتذوق كل مايقدم لنا الطهاة ، جلست ، أما هذا الذى أشعر به فى بطنى فهو شىء غريب . . ليس مغصًا بالضبط ولا رغبة فى أن أتخلص من كل الذى تذوقت . . ولكنه شىء وسط بين الإحساس بالحمل واقتراب الولادة والوهم والرغبة القوية فى الاعتداء على الذين حولى . . كما تفعل معظم السيدات قبل الولادة بساعة ، فتشتم الدكتور وتلعن آباء الممرضات . . ولكن ليس هذا بالضبط . . وإنما شعورى هو أن نهضة قامت فى بطنى . . وأنه نفخ فى الصور فقامت قيامة كل الكائنات التى أكلتها . . مع أننى كنت حريصا على عدم أكل اللحوم لأنى نباتى . .ولكن فى الشرق الأوسط من الصعب أن تفرق بين النباتات والديدان البحرية . . فقد «هرسوا» كل شىء ، حتى أصبح من الصعب جداً أن تفرق بين أعواد البرسيم وشرائح الجمبري . . أو أحد أرجل المقعد الذى نجلس

عليه والعمود الفقرى لأحد الحيتان الصغيرة . . فكلها قد حطموها وأغرقوها فى الصلصة ودهن الخنزير !! .

وفى الصباح الباكر جداً فتحت عينى فوجدت كل شىء حولى أبيض فى أبيض . . يانهار أسود . . هل أنا مت ؟ قرصت نفسى صفعت خدى . . إننى أشعر بكل لمسة . . إذًا أنا حى فى أحد المستشفيات ، كيف ؟ لماذا ؟ منذ متى ؟ ، وضربت الجرس . . أسأل؟ الممرضة لاتعرف كلمة واحدة أجنبية . . إنها فى غاية النضارة والأدب . . تضحك وتنحنى وتقول كم كلمة يابانية وأنا أرد عليها قائلا : «أريحاتو» . . «أريحاتو جوزاى» . . «ماسا» . . أى : أشكرك شكرا جزيلا . . فتنحنى ضاحكة وتخرج . . لا قالت ولا أنا قلت ولا فهمت شيئا ! .

وليس هناك تليفون أطلب السفارة أسأل عن الذى جرى لى . .

وأخيرًا جاءنى مدير المستشفى يهنئنى بالإنجليزية على سلامتى . . وأننى كسبت الجائزة الثالثة . . وأن المهرجان قد أرسل لى هدية مع تحيات شركات الأطعمة الفرنسية . .

أما الهدية فقطعة من اللحم على شكل خنزير ! والهدية تدل على أننى أكلت الخنزير الفرنسى وأعجبنى جداً فبعثوا بكمية أكبر لكى أتمتع بها وحدى . .

لم أفهم . . وبعد أن خرجت من المستشفى اكتشفت أننى أخذت - خطأ - استمارة السفير الفرنسى الجالس إلى جوارى

دون أن أدرى وكتبت عليها اسمى فكسبت وخسر السفير الفرنسى . .

وفجأة وجدتنى فى مهب رياح عطرية ، فقد جاءت المضيفات الفرنسيات يشكرننى على دقة وحسن اختيارى للأطعمة الفرنسية . . وقبلة من هنا وعشرون من هنا . . هذه هى المكافأة الحقيقية . . وقدمت الخنزير للمضيفات هدية منى . . فجئن المضيفات اليابانيات يشكرننى بالانحناء والابتسام . .

ولما جاءتنى دعوة إلى المهرجان التالى اعتذرت لمرضى الذى لم أُشف منه منذ ذلك اليوم .

* * *

اعلن توبتك.. يا أستاذ

أعطانى السفير المصرى فى «أندونيسيا »خطاب توصية إلى إحدى الجماعات الإسلامية فى جزيرة (بالى) ، والجزيرة تؤمن بالديانات البوذية ، فيما عدا بضع مئات من المسلمين جاءوا من حضرموت . .

والجزيرة ليست لها أهمية خاصة ، إلا أن المرأة تمشى فيها عارية الصدر تماما ، والنساء صغيرات الحجم وأجسامهن لامعة ، لا فيها لحم ولا شحم زيادة عن اللزوم . . ويسمى هذا النوع من النساء فى مصر : المرأة العرسى - أى التى كالعرسة (أم عرس) التى أكثرها لحم وأقلها عظم . .

ومن يقل لك : إنه ذهب إلى هذه الجزيرة لأسباب أخرى . . فلا تصدقه ، فليست فيها أية معالم طبيعية تختلف عن بقية الثلاثة آلاف جزيرة الأندونيسية . . فالناس يذهبون إلى (جزيرة الهنود العارية) - عيب هذه الجزيرة : أن البنات الصغيرات والسيدات العواجيز يعرين صدورهن . . ولو سارت العواجيز بالقرب من البحر ، وتركن مدينة «دنباسر» العاصمة للفتيات الصغيرات لكان أفضل . . ولكن الشوارع فى الجزيرة مثل دكاكين الفاكهة . . على الوجه الفاكهة الحلوة الناشفة . . وتحتها مباشرة الفواكه العجوزة الفاسدة ! .

وكان وصولى إلى جزيرة «بالى» التى أطلقت أنا عليها اسم جزيرة (بالى بالك) يوم الخميس ليلا . . والتقيت مباشرة بالجالية الإسلامية . . وكان لقاءً ظريفًا ، ولم أكن أعرف أن السفير قدمنى على أننى من شباب الأزهر الشريف ، فهم لايعرفون معنى أن يكون الإنسان جامعيّاً أوصحفيّاً . . ولا يعرفون إلا جامعة واحدة هى الأزهر الشريف ، فأنا إذن من رجال الدين ، فليكن . . وأنا لم ألاحظ هناك أحدًا من رجال الدين الإسلامى ، وفى جميع الأحوال سوف أقول : إن رجال الدين عندنا متحررون ، وكل واحد حر فى أن يضع على رأسه عمامة أو طاقية أو يتركها للشمس . . فليس الدين زيّاً للرأس نخلعه ونضعه . . وإنما الدين فى القلب ! .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحًا وجدت من ينادينى لأن وفدًا من العلماء قد حضر ، وخرجت بسرعة . . وتحركوا . . وسألت إلى أين ؟ قالوا : إلى المسجد - إن شاء الله - . .

فقلت : ولكنى لم أتوضأ .

قالوا : ادخل وننتظرك . .

واتجهت إلى المسجد . . وتقدمت جميع الضيوف ، وكان فى المسجد حوالى مائتين من البشر . . وقدمنى واحد منهم لكى ألقى خطبة الجمعة . . فقد كنت أفعل ذلك عندما كنت عضوًا فى جماعة الإخوان المسلمين فى إمبابة . . وكان ذلك أيام الدراسة ، ومن يومها لم أصعد منبرًا ، ولا تقدمت الناس للصلاة إمامًا لهم .

ولكن هذه المرة المفاجئة يجب أن أخطب وأن أتقدم الناس . . وتلخبطت تماماً ، فأنا لم أعرف بالضبط ما الذى يمكن أن أقوله . . ومن شدة ارتباكى نسيت إن كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها ، وحاولت إنقاذاً لنفسى أن أسأل واحدًا من الإخوة المسلمين : يا أخى عندنا معلومات فى مصر أنكم تختلفون عنا فى صلاة الجمعة . .

- أبدًا ، كيف ؟ .

- متى تكون خطبة الجمعة . . قبل الصلاة أوبعدها ؟! .

- أعوذ بالله . . طبعًا قبل الصلاة ، لا خلاف بيننا على أى شىء ! .

إنها شائعات مغرضة تريد تمزيق شمل المسلمين . . نحن الذين نقلنا الإسلام إلى كل قارة آسيا . . إلى الهند وباكستان والصين وأندونيسيا . . نحن أبناء حضرموت ! .

ولا أعرف كيف استطردت فى الكلام على المنبر إلى الكلام عن أن الروس قد أسقطوا سفينة فضاء صغيرة فوق القمر . . وأن الإنسان يحاول بكل ما أعطاه الله من علم قليل أن يسرف الكثير من علم الله . .

ولا أعرف كيف انتهت الخطبة . . وصليت ، وصافحنى الناس ، وجاءنى واحد يقول لى : أحسنت يا أستاذ .

- شكرًا .

- ولكنك كفرت يا أستاذ . .

– أعوذ بالله ، كيف ؟

– كيف تشجع الروس على أن يسقطوا أجسامًا غريبة فوق القمر . . إن القمر ليس إلا طبقًا من الزجاج يضىء لنا – إنه مرآة ، فلو أسقطوا عليه جسمًا آخر . . فسوف يحطمون القمر الذى خلقه الله لكى يضىء لنا . . إنهم كفرة يريدون أن يقولوا لنا : إن الله الذى صنع لكم القمر . . فنحن قادرون على إطفاء نوره . . والله يقول فى كتابه العزيز : إن أحدًا لا يستطيع أن يطفئ نوره ! والإخوان كان فى نيتهم أن يدعوك إلى الغداء . . ولن يفعلوا حتى تعلن توبتك . .

– ومن قال : إننى كفرت . . إنما قلت : إنهم يحاولون . . ولم ينجحوا فالقمر بعيد . . ثم إنهم ينصبون علينا ويدعون كذبًا أنهم وصلوا . . ولن يصلوا . .

– إذن أنت لم تكفر ؟ .

– طبعاً . . لم أكفر . .

– بارك الله فيك . . فهيا بنا نتناول غداءنا . . ونصلى لله ركعتى شكر . .

وبعدها حزمت حقائبى واتجهت إلى المطار وسافرت قبل أن يكتشفوا أننى كذبت عليهم . . وأننى مصر على رأيى ، وهو أن أُعجب بالذين وصلوا إلى القمر ، والذين سوف يعيشون على سطحه غدًا ! .

* * *

الموسيقار من غير بنطلون!

قرأت عن الموسيقار الروسى «برودين» . . هذا الرجل له غرام عجيب . . إنه يحب السكك الحديدية . . يحب صوت القطار . . يحب رائحة الفحم . . يحب منظر القطار وقد تربع بكبرياء على طريق حديدى . . يحب النظر إلى صدره العالى . . إلى عظمته . . إلى حركته . . واتجاهه . . وثقته بنفسه فهو يعرف إلى أين يذهب . . وإلى أين يتوقف . . ثم إن القطار مثل هذه الدنيا . . فالناس جميعًا مسافرون . . هذا يركب وهذا ينزل . . والقطار لايتوقف عن الانطلاق من محطة إلى محطة . . تماما كما أن الناس يموتون ، والقطار . . أوالحياة لاتتوقف لموت أحد . .

وكان حريصًا أيضًا على معرفة مواعيد القطارات . . ففى بيته كان يجلس ويقول : آه . . إن هذا القطار قد تأخر عن موعده . . دقيقة . . دقيقتين . .

وفى إحدى المرات لاحظ أن القطار المتجه من موسكو إلى ليننجراد قد تأخر عشر دقائق . . فخرج من البيت مسرعًا ليعرف ماذا حدث . .

لقد وقع حادثان عجيبان . .

أحدهما : أن القطار قد صدم قطيعًا من الخيول . . فمات بعضها والبعض الآخر جرى سالمًا . . أما الحادث الثانى فهو أن

الموسيقار «برودين» نسى أن يلبس البنطلون وملابسه الداخلية . . ولم ينتبه إلى صراخ الرجال والنساء فى المحطة . . فقد ظن أنهم يبكون على موتاهم ! .

واندهشت جداً عندما قرأت عن حياة «برودين» هذا فأنا أحب القطارات . . ولا أسافر إلا بها فى أوروبا . . فأنت تجلس فى عربة واسعة نظيفة والناس والموسيقى حواليك . . والتليفون أمامك تطلب أى مكان فى الدنيا . . ومن النافذة ترى الجبال والوديان . . والقطار يدخل الأنفاق ويخرج منها . . وتنظر إلى الوراء فتجده طويلاً منساباً ناعم الصوت والحركة . . وإلى الأمام أيضًا . . كأنه ثعبان مضىء ركبوا له عجلات من حرير . . وهو لايزحف على حديد . . وإنما على سطح السحاب . .

وأحب محطات السكك الحديدية . . ففيها كل وسائل الراحة : المطاعم والحمامات ودورات المياه والحلاق وباعة الصحف والمقاهى ، وكلها لاتغلق أبوابها ليلاً ولا نهارًا . . فأنا مشكلتى أننى أصحو مبكرًا ولا أجد أحدًا فى مثل حالتى . . ولذلك فمن السهل أن أرتدى ملابسى وأذهب إلى محطة السكك الحديدية فأجد كل شىء جاهزًا هناك فى انتظارى . . وكل واحد يرانى فى المحطة فإنه يشعر أن هناك كثيرين فى الدنيا مثله . . قد ألقوا بالفراش وبدءوا فى نشاطهم فى الساعات الأخيرة من الليل . . وتظهر الفرحة والسعادة على وجوههم . . ثم أجلس أشرب القهوة وأقلب فى الصحف وأتفرج على الناس وقد ظهر عليهم الاهتمام

الشديد . . والقطارات فى انتظار الجميع . . هذا قد تحرك وهذا قد سبقه وهذا سيكون بعده حياة . . حيوية . . متعة مؤكدة . .

لقد أمضيت أيامًا فى محطة سكك حديد روما . . وسكك حديد برلين وباريس ولندن . . سعادة لاحدود لها . .

ويوم أعلنت الحكومة الإيطالية عن استخدام قطارات جديدة تختصر الوقت من روما إلى ڤينا لم أشعر بالسعادة . . فلماذا السرعة ؟ . وإيه يعنى لو قطع القطار المسافة فى عشرين ساعة بدلا من عشر ساعات . . إيه يعنى ؟ ! .

وذهبت مبكراً إلى محطة روما لأشاهد جمال القطارات ، وأقفز من عربة إلى عربة ، وأدخل دورات المياه والمطاعم ، كل شىء جميل لامع . . ومع أن القطارات الجديدة متشابهة ، فإننى دخلتها وجددت متعتى . .

وقفت على محطة روما أتفرج على القطار الجديد وقد تحرك بلا صوت . . كأنه حزمة ضوئية تنطلق إلى ڤينا دون أن نسمعها . . ومن وراء النوافذ تتحرك الأيدى بالتحية والوداع . . وظللت واقفًا أشاهد القطار الجديد حتى اختفى . .

وقررت أن أحتفل وحدى بهذه المناسبة السعيدة وأن أجلس أتناول طعامًا ساخنًا وأن أقلب فى الصحف والمجلات الإيطالية . . عندما اهتز الكوب فى يدى وسقط ما بداخله على ملابسى وأنا أصرخ وأقول : يانهار أسود . . مصيبة ! .

لقد نسيت حقائبى فى إحدى عربات القطار الذى انطلق إلى ڤينا . . لقد نسيت أنى أحد المسافرين وانشغلت بالفرجة على القطار . . وفى شنطتى كل ملابسى . . إن الموسيقار «برودين» قد نسى بنطلوناً واحداً أما أنا فكل ما أملكه من قديم وجديد . . وأنا فى آخر الرحلة والفلوس لم يبق منها إلا القليل . .

وسألنى الجرسون : ما لك ؟ .

حكيت له ، سألنى : معك التذكرة ؟ .

قلت : نعم .

قال : سوف يبعثون إليك بحقيبتك مع القطار القادم من أقرب محطة ، وأبلغت ناظر المحطة وظللت جالسًا مكانى . . وبعدها بساعة جاءت الحقيبة وتجددت سعادتى بمنظر القطارات . . ولا أزال حتى اليوم ! .

* * *

الله يكرمك ياصدام

تسببت الحشود الجديدة للجيش العراقى على الحدود مع الكويت فى استنفار معظم دول العالم خوفًا من أن يعملها صدام مرة أخرى . . وما يتبع ذلك من بهدلة لكل العالمين فى أرض المنطقة . . أنيس منصور يتذكر هنا موقفا كوميدياً لمغترب مصرى اسمه عوضين . .

عند مدينة العقبة الأردنية مئات من المصريين عائدون من العراق ومن الكويت . . ولا أحد يعرف أحدًا . . ولكن آمالهم جميعًا أن يصلوا إلى مصر . . أكثرهم بلا بطاقات شخصية . . ولا فلوس . . هربوا بملابسهم . . وفى أيديهم أطفالهم الصغار . . وزوجاتهم يبكين . . مثل يوم القيامة . . لا أحد يدرى بأحد . . والجميع يتكلمون ويصرخون ويلعنون ولا أحد يستمع إلى أحد . . ولكن كلهم يستعدون للعبور إلى الشاطئ المصرى . .

وقفز سائق مصرى اسمه عوضين من الأتوبيس الذى أتى به من العراق . . وتقدم إلى رجال الأمن المصريين . .

الضابط المصرى : إنت جاى منين ؟ .

عوضين : بعيد عنك ياسعادة البيه . .

الضابط : جاى منين . . واسمك إيه ؟ .

عوضين : من العراق . . اسمى عضوين ياسعادة البيه . . والله ياسعادة البيه . . أخدونا من الدار للنار . .

الضابط : النار فين والدار فين ؟ .

عوضين : الدار اللى احنا فيها دلوقت . . اللى فيها وجهك السمح ياسعادة البيه . .

الضابط : إنت قلت إن هنا النار . . وهناك الدار ؟ .

عوضين : أى والله ياسعادة البيه . . ماتصدقش اللى بيقولوه الناس دول . . إحنا كنا فى نعيم ياسعادة البيه . . الله يجازى اللى كان السبب . .

الضابط : إنت مش كنت فى العراق ؟ .

– أيوه يا بيه . .

– والعراق كانت نعيم ؟ .

– أيوه يابيه ، إحنا كنا عايشين آخر سعادة . . وآخر فرفشة . .

– فى العراق ؟ .

– أيوه يابيه . .

– والناس دول كلها كذابين ؟ .

– أيوه ياسعادة البيه . .

– وانت بس اللى صادق ! .

– العيش والملح يابيه . .

– إنت بس اللى أكلت عيش وملح فى العراق ؟ .

– لأ طبعًا . . ولكن الناس درجات يابيه . . ناس عندهم أصل وناس قليلة الأصل . . والله يابيه ! .

- ياراجل يامجنون ، إنت بتقول إيه ؟ .

- الله الله ليه بس كده يابيه . . هو اللى يقول الحق يكفر؟ .

الضابط - يلتفت إلى مصريين آخرين - : انتو سامعين اللى بيقوله الراجل ده . .

مصريون : ده راجل مخرف يابيه . .

عوضين : ليه الغلط ده يااخوانا ، ليه الغلط ده . . كل واحد يحكم بأصله . .

مصريون : إنت كذاب . . كلب . . جبان . .

عوضين : بس يا اخوانا صلوا على النبى . . ياناس نورونا . . إحنا فين دلوقت . . إحنا فى العراق ولا فى الأردن ؟ .

مصريون : إحنا فى مصر .

عوضين : مصر . . مصر إزاى . . دى مصر ؟! .

مصريون : أيوه . .

عوضين : الله يخرب بيته . . يحرقه . .

الضابط : مين يا راجل ؟ .

عوضين : إحنا فى مصر يابيه ؟ .

الضابط : أيوه .

عوضين : ياناس ارحمونى . . إحنا فين ؟ .

المصريون : أيوه .

عوضين : كده الله يخرب بيت صدام حسين . . والله يابيه شفنا المر أشكال وألوان . . والله ياسعادة البيه أنا فاكر إن إحنا

لسه على الحدود العراقية . . الواحد متلخبط يابيه . . أهالينا ماعلموناش ياسعادة البيه . . الجاهل أعمى ياناس . . عمار يامصر . . ربنا يخلى الرئيس مبارك . . الله يكرمك يامبارك ! .

المصريون يضحكون . .

الضابط : وانت جاى معاك إيه ؟ .

عوضين : كل تحويشة العمر اشتريت بيها الأتوبيس ده ياسعادة البيه . . أهو آكل منه عيش . . أنا عندى كوم لحم : أولادى وأولاد إخوتى . . كلهم فى رقبتى . . وربنا سترها معايا وحطيت كل مليم فى العربة دى . .

الضابط : فين هىّ ؟ .

– اللى هناك دى ياسعادة البيه .

الضابط : الأتوبيس المرسيدس ؟ .

عوضين : أيوه المرسيدس ياسعادة البيه .

الضابط : بتعرف تقرأ ؟ .

عوضين : أهالينا فقرا ماعلموناش حاجة ياسعادة البيه . . هما كانوا حايكلو ولّايعلمونا . . الحمد لله على كل ده ! .

الضابط – يضحك – : فعلاً أهلك ماعلموكش حاجة أبدًا . . ما هو انت لو كنت بتعرف تقرأ كنت تعرف إن الأتوبيس اللى جايبه ملك للسفارة الأمريكية فى بغداد ! .

عوضين : إيه ؟! أمريكانى ؟! يانهار أسود . . دول بدلوه . . سرقوا الأتوبيس بتاعى . . وسيادتك بتقول : إن احنا فى مصر . .

واحنا مالنا ومال الأمريكان ياسعادة البيه . . وهو الأمريكان حيحاربونا فى رزقنا . .

الضابط -يضحك - :سيب الأتوبيس واركب المركب وارجع مصر . .

عوضين (يبكى) : شفت اللى حصل لما رجعت مصر . . أخذوا كل اللى حيلتى . . مش يبقى العراق أحسن . . الكويت أحسن . . انت فين ياريس مبارك تشوف العساكر عاملين فينا إيه . .

- ربنا يكرمك ياصدام ياراجل ياجدع ! .

المصريون : اخرس ياكلب ياابن . . ياابن . .

عوضين : شايف الاستقبال ياسعادة البيه . . شايف أحضان مصر . . بالأحضان يابلادنا ياحلوة بالأحضان . . مين كلب ابن كلب اللى قال الكلام ده . . بالجزم والشلاليت . . عمار يابغداد عمار يابغداد . . الله يكرمك ياواد ياصدام . . عمار يا أى مكان فى الدنيا . . استريحت ياسعادة البيه . . الله يخرب بيت الرئيس بغاشة . .

المصريون - يضحكون - اسمه بوش . .

عوضين : اسمه زفت على دماغى ودماغ اللى خلفونى . . عاوز أرجع الأتوبيس لأصحابه ياسعادة البيه . .

الضابط : اسكت ياعوضين حمد لله على سلامتك . . صحتك بالدنيا . .

عوضين : هيه دى بقى اللى اسمها السلامة . . دى اسمها الندامة يابيه . . ورجعنا وكأننا يابدر لارحنا ولاجينا . . قفاى يقمر عيش . . إيد ورا وإيد قدام . .

عوضين يلقى بنفسه فى خليج العقبة . . والناس يصرخون . .

يطبعون القبلات ثم ينشرونها!

طوفان من المذكرات والاعترافات الصريحة والوقحة ملأت المكتبات فى أوروبا وأمريكا وفى لندن أكثر من أية عاصمة أخرى . .

وفى مصر ظهرت هذه الكتب عن علاقة الفنانات بالمخابرات المصرية . . وفى بيروت اعترفت فنانات بأنهن حكمن مصر عن طريق عدد من الحكام الرجال ـ فما علينا الآن ؟ ! .

ولكن فى بريطانيا ظهرت مذكرات البنت الحلوة التى كانت عشيقة وزير الدفاع البريطانى «بروفومو» وفى نفس الوقت عشيقة الملحق العسكرى السوفيتى ، واستقال الوزير البريطانى فورًا ! .

ثم ظهرت مذكرات البنت الحلوة التى كانت عشيقة رئيس حزب المحافظين الحليوة أيضًا ، واستقال وتوارى فى الظل حتى الموت ! .

ولكن أمراء وأميرات الأسرة المالكة البريطانية احتكروا صناعة طبع القبلات ولكن الناشرين لها كانوا آخرين ! .

الصحف البريطانية رصدت الأميرة «ديانا» ذهابًا وإيابًا وفى كل مكان . . وفى أول الأمر عندما كانت الأميرة مخطوبة لولى العهد ، ذهبت أمها إلى مجلس الصحافة تشكو من أن الصحافة قد اعتدت على الحياة الخاصة لابنتها ، واجتمع المجلس الأعلى

للصحافة وشربوا البيرة والقهوة ودخنوا عشرات السجائر ، ثم انفض الاجتماع الذى انعقد لأول مرة من ٢٥ عاما ولم يصدروا أى قرار ، وإنما قالوا لأم الأميرة : قولى لبنتك تتلم شوية ! .

فالصور قد التقطت لها فى القطار مع الأمير وفى الشارع - وليس هذه أماكن خاصة ! .

وتابعت الصحف نشر صور الأميرة . . إذا قصر فستانها . . وإذا رفعه الهواء يمينًا أو شمالاً . . وعندما جعلت ظهرها عاريًا إلى مادون الخصر . . نشروا صورًا لذلك . . وعندما جلست ترضع طفلها الأول . . وكشفت عن صدرها ، طبيعى جدًا . . واعتادت الأميرة على أن تتصدر الصحف والمجلات ، واعتاد القراء على ذلك . . وراحوا يطلبون المزيد . . فذهبت الكاميرات وراءها فى الشواطئ . . وهى نصف عارية . . وفى السفارة البريطانية فى القاهرة وهى عارية . . قال لى المصور الذى التقط صورتها عارية تمامًا فى حمام السفارة البريطانية : أنها رأته من وراء الأشجار ، ولما تأكدت من وجوده تعرت تمامًا وأدارت له وجهها وصدرها ؟! .

وفجأة ظهرت مذكرات الذين عرفتهم الأميرة . . واللاتى عرفهن الأمير . . وفى أسبوع واحد صدر كتابان فى بريطانيا : واحد للشاب الحليوة الذى كان يدربها على ركوب الخيل . . إنها قصة حب كاملة الأوصاف استغرقت خمس سنوات . . فى بيتها وفى القصر الملكى وفى بيت والدها وفى بيته هو . . وبالصور التى عنده والتى عند المخابرات البريطانية ، لاتنس أن على رأس المخابرات البريطانية سيدة وسيمة رشيقة مخيفة الذكاء ! .

والصحف البريطانية لم تعترض على أن للأميرة غراميات . . ولا للأمير غراميات . . ولكن اعترضت على نذالة الرجل الذى استغل تعاسة الأميرة فى زواجها ونشر غرامياته فى أحضان الأميرة ! .

أما هذا الرجل فهرب قبل صدور الكتاب الذى كسب من ورائه نصف مليون جنيه . . هرب من الصحف وهرب من القانون القديم الذى يعاقب بالإعدام من اعتدى أوكانت له علاقة بأميرة سوف تكون ملكة . . أما التى صاغت مذكرات هذا الشاب فهى صحفية يهودية شابة اسمها « آنا باسترناك » (٢٦ سنة) حفيدة الكاتب الروسى « باسترناك » الذى هاجم الشيوعية ومنعته روسيا من أن يتسلم جائزة نوبل عن روايته الشهيرة المسماة (د . زيفاجو) بطولة عمر الشريف ! .

هذه الصحفية الشابة لها قصة حب فاشلة ، وقد وصفت شقاوتها وبراعتها ومرارتها فى كل عبارة من هذه القصة الغرامية الكاملة الشروط . .

وفى هذا الشهر يظهر كتاب آخر عن عشاق الأميرة ديانا . . فليسوا واحدًا ولاعشرة ، فالأميرة انتقامًا من زوجها الخائن لم تضيع وقتها . . وإنما كانت حريصة على أن توجعه كما أوجعها ! .

أما هو فقد أوجعها منذ البداية . . فهو كان ولايزال على علاقة بسيدة زوجها ضابط كبير . . اعترف بذلك فى التليفزيون . . وأنه سوف يبقى على هذه العلاقة . . وقال لزوجته : إنه لم يكن فى نيته أن يتزوجها وإنما التى نصحته بذلك عشيقته ! ولم تنس ديانا

أن العشيقة هى التى اختارتها . . وأن العشيقة لاتزال تستولى على زوجها ! .

ثم زوجة الأمير «أندرو» شقيق الأمير «تشارلز» ولى العهد ، كانت لها علاقة غرامية . . فقد هربت مع مليونير أمريكى . . ونشرت الصحف صورها العارية تمامًا ، وظهرت صور لزوجها مع جميلات من أمركيا وبريطانيا وأستراليا . .

والناس يتساءلون : لماذا لايكون طلاق ؟ لماذا يحرصون على هدم النظام الملكى فى بريطانيا ؟ .

وكتاب غريب جداً سوف يصدر فى الأسبوع القادم يعترف فيه ولى العهد بأن والده رجل ذئب قاس جاف لا قلب له ، وإن كان واسع الأحضان لكثير من النساء . . وأن قسوة والده وإهماله له ولأمه هى التى جعلته يفتش عن الحنان فى الأحضان الأكثر نعومة ودفئاً ! .

وعلى الجانب الآخر من المحيط الأطلسى فضائحاً الرئيس «كلينتون» ، فالفتيات اللاتى عرفهن الرئيس أيام كان محافظا ينشرن مذكراتهن فى الصحف ويهددن الرئيس الأمريكى . . خمس جميلات . . عشر جميلات . . وواحدة قد نشرت مذكراتها ووصفت ملامح جسم الرئيس كلينتون ، ثم طلبت تعويضًا أو اعتذارًا واضحًا من الرئيس . . ولكن القانون الأمريكى يعصم الرئيس من الوقوف أمام المحاكم . . ولكنها الفضائح المتوالية التى تريد إسقاط الرئيس قبل المعركة الانتخابية القادمة . .

ثم انتحار رجل فى البيت الأبيض كان حبيبًا للسيدة الأولى فى أمريكا . . ويقال . . ويقال ولكن الرجال أكثر أدبا من النساء . . فالرجل مات ولم يقل شيئًا ، ولكن الفتيات يقلن متى وكيف . . وماذا يرون من جسم الرئيس بمنتهى الوضوح . .

وكانت للرئيس «بوش» فتاة تعمل سكرتيرته عندما كان رئيسًا للمخابرات ثم عندما كان نائبًا للرئيس ، وقد طلبوا إليها أن تختفى فى أمريكا اللاتينية ولاتظهر أثناء المعركة الانتخابية حتى لايستخدمها خصومه ضده ، وهو رجل مخابرات تدرب على هذه الألاعيب فى إظهار الناس ضد «كلينتون» ، وإخفائهن إذا كن ضده ، وظهرت مذكرات ضد الرئيس الفرنسى ميتران . . وظهر كتاب بعنوان «ميتران والأربعون لصاً» . .

وظهرت واحدة تقول : إنها كانت عشيقة الرئيس . . وإن مذكراتها فى الطريق إلى المطابع . .

إنها أعظم تجارة قذرة فى العالم اليوم : طباعة من يطبع القبلة وبعد ذلك ينشرها بالألوان وبكل اللغات ! .

* * *

أقول لك من هذه السيدة ؟!

قررت بينى وبين نفسى أن أتناول العشاء مبكرًا مثل أهل باريس . . وبعد ذلك أتمشى فى شارع «الشانزلزيه» الذى أصبح بديعاً . . اختفت الشموس والنجوم التى تعلقت فيه وأصبح الشارع خافت الأضواء والألوان . . فالمصابيح الخضراء انعكست على الأشجار الخضراء . . فصار الشارع ظلالاً خضراء يمشى تحتها أناس سعداء جداً . . ففى كل مكان اثنان يتعانقان بعمق وحرارة . . إنها باريس ! .

وقررت أن أذهب فى تلك الليلة إلى مقهى «دى فلور» الذى كان يجلس إليه الفيلسوف الوجودى «سارتر» ومن حوله تلامذته . . وهو لا يكف عن أربعة أشياء : الكلام وشرب النبيذ والتدخين والنظر إلى السقف . .

أو إذا لم أذهب إلى هذا المقهى أن أتجه إلى مقهى آخر كان يجلس فيه «بيكاسو» والبنات الجميلات حوله . . مبهورات بذكائه وعبقريته ورجولته وقبلاته العميقة الساخنة فهو أشهر وأقدر من يعانق ويقبل ويعد الجميلات بالزواج فى لحظة واحدة . .

ولكننى قررت ألا أذهب إلى مقهى «ديماجو» الذى كان يجلس فيه «بيكاسو» . . ثم عدلت عن فكرة الذهاب إلى المقاهى . . فما عيب المشى والفرجة على خلق الله - البنات فقط - والجميلات

فقط ووجع القلب - قلبى أنا طبعًا - وأنا لا أعرف كيف أمشى . . إننى دائما أتخبط فى الناس يميناً وشمالاً . . لأننى أدور حول نفسى ، أتجه إلى الجمال أينما يكن . .

وجاءت شوربة السمك . . نسيت أن أقول إننى أجلس فى مطعم فندق «البريستول» أشيك وأحلى وأقدم فنادق باريس . . وهو يقع فى شارع هو أغنى وأغلى شارع فى الدنيا . . الشارع يكرهه الرجال وتعبده النساء : «فوبور دى سانت أونوريه» . . ففى هذا الشارع الصغير كل دور الأزياء الفرنسية : «إيف سان لوران» . . و«كارتييه» . . و«بلمان جافنتشى» . . و«ديور» . . و«اسكادا» . . «ريڤلون» . . «ڤيرساتش» . . و«ليليان رومى» . . و«لوى فيرو» . . وغيرها . . والأسعار من نار وإن كانت المحلات لاتضع الأسعار على بضائعها لأنه عيب . . وإنما الذين يدخلون هذه المحلات لايسألون عن الأسعار لأنها لاتهمهم فهم من أغنى أغنياء الدنيا . . أعرف مصريين يذهبون إلى هذه المحلات ويشترون بمئات الألوف . . وإذا لبسوا هذه الفساتين كانوا مثل القرود التى تسللت إلى أحد بيوت الأزياء ووضعت على أكتافها كل ماوجدته ! .

وبعد شوربة السمك جاء السمك وبعد السمك جاء الآيس كريم . . إنهم فى هذا المطعم يقدمون الآيس كريم بعد كل طبق لكى يتغير طعم فمك ورائحته . . وعندما رن جرس التليفون . . آلو . . من ؟ إن الوزير المفوض قد دعانى إلى العشاء ونسيت ، والحقيقة أننى تناسيت ولا أريد أن أحشر نفسى وسط عدد من

المصريين نقول كلامًا واحدًا ونلعن الأيام والأشخاص وكل من يجلس على مقعد الوزير فى مصر من أيام الملك مينا . . كلام ممل وسخيف ويسد النفس عن الطعام والمشى فى الشارع . .

وأمام إصرار الوزير المفوض وخفة دمه وافقت على الذهاب بشرط أن أكمل طعامى فى الفندق ، وآكل الحلو عنده وطلبت منه أن يملى العنوان إلى الجرسون . . وأملى العنوان . . وجلست أكمل طعامى وشرابى وذهبت إلى غرفتى أغير ملابسى . . وقد تذكرت أننى نسيت أن أحدث بعض الأصدقاء فى برلين والرياض وتل أبيب ولندن . . وجلست أتكلم على راحتى . . ونزلت فوجدت التاكسى فى انتظارى . . عظيم . . أعطيت الورقة بالعنوان للسائق ، فنظر فيها وابتسم . . وسألته : مالذى يضحكك ؟ قال : المسافة قريبة ، قلت : ولكن المطر ياسيدى . .

قال : المطر خفيف سوف يكون غزيرًا جداً بعد ذلك . . وتوقفت السيارة ، قلت له : ماذا جرى لسيارتك الجميلة ؟ .

- لا شىء ، لقد وصلنا إلى العنوان ! .

- هكذا وبهذه السرعة . .

ونظرت إلى العداد . . ومسحت عينى . . ونظرت ومسحت عينى . . وسألت : كم ياسيدى ؟ .

قال : ١٥٠ فرنكًا .

يانهار أسود ومنيل - قلتها فى نفسى - أدفع هذا المبلغ الكبير . . أى مايعادل ٩٠ جنيهًا مصريًا لكيلو متر واحدًا ؟! .

دفعت ولم أسأل . . ولكن عرفت السبب ، هو أن الجرسون استدعى التاكسى وظل التاكسى واقفًا أمام باب الفندق والعداد شغال . . فالعداد هنا بالدقيقة وليس بالكيلو متر . .

ثم إن الفندق لأنه استدعى التاكسى قد تقاضى عشرة فرنكات أى حوالى ستة جنيهات ؟! .

وأمام باب بيت الوزير المفوض وجدت نفسى فى مشكلة كبيرة . . فالباب الخارجى مغلق والدنيا مظلمة تمامًا ، ولا أعرف أين يسكن الوزير ، وعلى الباب زراير وأسماء الشقق وأرقامها السرية ولن ينفتح الباب إلا إذا عرفت الرقم السرى لشقة الوزير . . والعمارة كبيرة . . والنوافذ كلها مغلقة ، ولا أستطيع أن أنادى الوزير فى الشارع ، ولو فعلت لالتف حولى الناس يتهموننى بالسكر والجنون . . لأن أحدًا لن يصدق أننى مدعو إلى العشاء فى بيت واحد صاحبى ولا أعرف لا رقم تليفونه ولارقم شقته . .

والمصيبة الأكبر أننى لو عملت قردًا ودبًا – كما يقول المثل الشعبى – فلن يقف أى تاكسى . . فالتاكسيات لاتطارد الزبائن فى باريس . . وإنما هم ينادونها بالتليفون ، فكل تاكسى ذاهب إلى كل مكان . . ولايلتقط الزبائن من الشارع إلا بأمر المركز الرئيسى . . ولو حاولت أن أوقف التاكسيات فسوف أتعرض لكل السيارات لأننى لا أرى بوضوح إن كان التاكسى خاليًا أو مشغولاً . . إذن لابد أن أعود إلى الفندق ، وكان هذا قرارى الأخير . . وهو نفس قرار السماء أن تسقط مطرًا غزيرًا يجب أن أتحمله على رأسى وقميصى الصيفى الخفيف . . أو أظل واقفًا

أمام الباب لعل أحد المدعوين يجىء وندخل معًا . . ولم يجئ أحد فى نصف ساعة . .

وفجأة توقف التاكسى بالقرب منى وأسعدنى ذلك ، وإذا بى أفاجأ بنفس السائق يقدم لى الورقة التى عليها العنوان ورقم الشقة . . وشكرته وحاولت فى الظلام أن أدق أرقام الشقة . . ولكن الباب لاينفتح . . وأحاول مرة أخرى على ضوء السيارات الخاطف . . ولكن الباب لاينفتح . .

وأخيرًا جاءت خادمة شقراء وفتحت لى الباب وقالت كلامًا لم أفهمه ولكن فهمت أن الباب لاينفتح بسهولة . . إنها بولندية لاتعرف أية لغة أخرى . . ولذلك كان التفاهم بالإشارة والابتسام – وهى التى تبتسم . .

وعلى العشاء حكيت لجارتى أننى لكى أجئ إلى هنا دفعت كذا وكذا . .

وحكيت لها الحكاية التى قرأتها أنت الآن . . وكأننى تحدثت إلى الباب الخارجى للعمارة فلم يظهر عليها أى أثر أو مشاركة وجدانية . . وسألت جارتى الأخرى : من هذه ؟ .

قالت لى : تحب أقول لك من هذه السيدة . . إن هذه السيدة قررت أن تجىء إلى هذا العشاء بشيئين جديدين : سيارتها الشبح الواقفة على الباب وثمنها مليون . . والفستان الذى تراه عليها وثمنه تسعون ألف فرنك ، ما رأيك ؟ .

طبعًا ليس لى رأى . . ولم أعد أحكى حكاية السائق الذى أتى بى إلى هذا المكان ! .

اختبر ذكاءك أيها الحمار ؟!

السفرجى الذى فى بيتنا اسمه عبده ، وهو إنسان طيب ومن الصعب احتماله ، ولكن لأنه من أسوان بلد أستاذنا العقاد فإننى أراه تحفة أثرية . .

وهو لايعرف لماذا أحتمل سذاجته وأحيانًا غباوته . . وهو إنسان سعيد لأنه راض بنصيبه من الدنيا ، وإن لم أكن أنا راضيًا بأن يكون عبده هذا هو نصيبى من الدنيا . .

والخلاف بيننا حول نظافة مكتبى وترك كل شىء فى مكانه دون أن يلمسه ، ومكتبى ليس مثل المكتبات العامة منظمًا لامعًا . . وإنما المكتب منظم بالشكل الذى يهمنى ويعجبنى ، وقد تراه ملخبطًا ولكن هذه لخبطة منظمة . . أى أنا الذى جعلتها كذلك . . حتى يخيل إلى من يدخل مكتبى أن كلبًا كان يطارد قطاً وأن القط كان يطارد فأرًا . . وهذه هى المحصلة النهائية لمعركة الحياة والموت بينهم جميعاً .

أنا أقول لعبده : لاترتب هذه الكتب ! .

عبده يقول : أنت عاوزها كده ملخبطة . .

– أيوه .

– والأطباق على السفرة كمان .

– ماليش دعوة بالأطباق . .

– مش بتاكل منها .

– أيوه .

– خلاص .

– لأ مش خلاص . . الأطباق دى بتاعة الست . . الكتب دى بتاعتى وأنا أحبها ملخبطة زى ما انت شايفها .

– يعنى أعمل إيه .

– يعنى سيبها كما هى . .

– وإزاى أنفضها . .

– من بعيد . . اسمع ياعبده هل أنت تعرف الإنجليزية ؟ . .

– لا .

– ولا الفرنسية والألمانية والإيطالية .

– لا . .

– يعنى أنت حمار .

– أيوه .

– أنا لا أحب أن يدخل مكتبى حمار . . وإذا دخل يدوس الكتب ويرفسها برجليه . . تمام .

– تمام ياسعادة البيه .

– طيب واذا ضبطتك فى مكتبى .

– إرمينى من الشباك ياسعادة البيه . .

– بس إنت بتنسى ياعبده . .

- خلاص مش حانسى . .

- أنا سأكتب لك ورقة على باب المكتب : ممنوع دخول الحمير .

- وأنا حافضل طول عمرى حمار ؟ .

- ممكن . .

- يعنى مش حابقى بنى آدم أبدًا ؟ .

- ممكن .

- إزاى ؟ .

- إذا دخلت مكتبى وتركت الكتب كما هى . .

- يعنى البنى آدم هو اللى يلخبط والحمار هو اللى يرتب . . يعنى أنا بنى آدم فى المكتبة وحمار فى أوضة السفرة . .

- تمام كده . . أنت حمار ذكى .

- فيه حمار ذكى وحمار غبى ؟ .

- أيوه . . الحصان ده أصله حمار . . ولما بقى ذكى أصبح حصانًا . . والحصان بيرقص على المزيكا . . هل شفت حمار بيرقص ؟ .

- لا ! .

- ليه ؟ .

- علشان غبى ! نفرض إن فيه حريقة فى المكتب أعمل إيه .

- سيبها .

– أسيها تحرق المكتب ؟ .

– أيوه . .

– طيب ده حرام ولا حلال ؟ .

– حلال .

– طيب نقسم البلد نصين . . أنا أرتب الكتب وسيادتك تطفى الحريقة . .

– موافق ياعبده ! .

– طيب سيادتك تعرف تطفى الحريقة ؟ .

– أيوه .

– إزاى ؟ . .

– أطفيها بالماء . .

– غلط ياسعادة البيه . . الحريقة فى الكتب لازم ترمى عليها المراتب والمخدات . . علشان الميه حتبوظ الكتب اللى لسه ماتحرقتش . . أنا طفيت حريقة عندنا فى أسوان . . طفيتها لوحدى . . سؤال ياسعادة البيه : هل سيادتك تعرف تغسل الأطباق والكبايات ؟ .

– لا .

– هل سيادتك تعرف تلمع الجزمة ؟ .

– لا .

– خلاص . .

– خلاص إيه؟ .

– مادام سيادتك مش عارف حاجة فى البيت . . ليه ماتسيبش الحاجات دى كلها للناس اللى بتفهم .

– لك أنت يعنى ؟

– أيوه . . سيادتك شايف أننى بافهم فى كل حاجة . . وسيادتك مش فاهم أى حاجة ! .

– حمار يعنى ؟ .

– . . . .

– متشكر ياعبده ! .

– العفو ياسعادة البيه . . أنا مش قصدى . . لكن الكلام هو اللى جاب بعضه . .

– يعنى مش انت الحمار الوحيد فى البيت .

– حاجة زى كده – لا مؤاخذة ! .

– . . . .

– أنت زعلان ياسعادة البيه؟ والله أنا مش عارف الكلام جه كده إزاى . . كلام زى الكتب ملخبط على الآخر . . لا مؤاخذة ياسعادة البيه . . أنت مش داخل المكتب . .

– أمال مين اللى حينظف المكتب .

– أنا ياسعادة البيه . . لكن إزاى أدخل المكتب ومكتوب عليه ممنوع دخول الحمير . . أعمل إيه . . والا أقول لك ياسعادة البيه : أنا لقيت أحسن حل .

- إيه ؟ .
- أقدم استقالتى لحد سعادتك ماتلاقى حمار أحسن منى .
- أنا مايخلصنيش ياعبده . . أنا مالقيش أحسن منك حمار . .
- وبعدين يابيه ؟ .
- ادخل المكتب بس ماتلخبطوش قوى . .
- وما انصفوش قوى .
- تمام .
- وما ادخلوش قوى .
- تمام .
- وابقى شوية بنى آدم وشوية حمار .
- تمام . .
- ولسه رأى سيادتك أننى حمار ؟ .
- لا .
- أمال إيه ؟ .
- أحياناً كده وأحياناً كده . .
- يعنى أنا دلوقت اترقيت وبقيت بنى آدم؟ .
- مش كلك بنى آدم . .
- يعنى جزء منى بنى آدم وجزء منى حمار . .
طيب قل لى ياسعادة البيه . . ماهو الجزء الحمار والجزء البنى آدم . . علشان البنى آدم يدخل والحمار مايدخلش . .

- مخك هو الحمار . .

- يعنى أدخل المكتب بجسمى وأخلّى راسى بره المكتب ؟ .

- أيوه . .

- قل لى إزاى ياسعادة البيه ؟

- تدخل المكتب من أولك لآخرك . . لأنه مـاعندكش مخ يا عبده . .

- آه كده فهمت . . شكرًا ياسعادة البيه . .

- الله يخرب بيتك ياعبده ، وجعت لى دماغى ! .

- سلام عليكم .

- رايح فين ؟ .

- راجع أسوان ! .

* * *

إنهم يخطفون الشقراوات

أنا رأيت شوارع موسكو . . ورأيت شوارع تل أبيب ، إن الروسيات الجميلات جداً يعترضن المشاة الأجانب فى الشوارع ليلاً ونهارًا . .

ولا تكاد تدخل لوكاندة وتذهب إلى غرفتك حتى يرن جرس التليفون وتسمع بلغة إنجليزية مكسرة : أنا اسمى «تينا» ، طولى ١٧٨سم . . شقراء ، وزنى ٦٨ كيلو جرامًا . . وشفتاى وساقاى ونهداى وردفاى ، وعندى حكايات بالإضافة إلى جمالى . . وأفهم كل أنواع المتعة فى هذه الدنيا . . وأتقاضى مائة دولار . . ما رأيك؟ هل أجىء وترانى ؟ . فإن أعجبتك أبيت الليلة معك . .

وقبل أن تستوعب كل هذا الذى قالته الجميلة «تينا» تسمع دقات على الباب . . وتذهب وتكون «تينا» بسم الله ماشاء الله . . جمال وجمال وجمال . .

ولا يوجد أى أجنبى ذهب إلى موسكو ولايعود إليك بعشرات القصص من الفنادق والشوارع والمطاعم . .

إنها تجارة الدعارة هى التى تأتى بالفلوس .

وتندهش كيف أن خادمات الغرف يدخنَّ السجائر الأمريكية ، وهذه السجائر دليل على أنها غير كل الفتيات وأن لها أصدقاء . . وأنها تستطيع أن تأتى بصديقات . .

وفى المطاعم تجد معظم المناضد قد شغلتها فتيات جميلات ينظرن إلى كل الناس ، فلو تقدمت من واحدة منهن وتحدثت إليها ، تحركت عيون بعيدة تراقب كل الحركات . . فالفتيات يعملن ضمن شبكة منظمة يديرها عدد من الرجال كانوا قبل ذلك جواسيس ، أى كانوا فى المخابرات الروسية . . وهم على صلة وثيقة جداً بإدارة الفندق والمطعم والبوليس . .

أذكر أننى كنت فى موسكو وقد اشتريت طعامًا من السوبر ماركت بالدولار . . أما الذى اشتريته فهو مياه معدنية وخبز وجبن وطماطم . . وتشاء الصدفة أن أتناول غذائى وعشائى خارج الفندق . . فلم أذق كل هذا الذى اشتريت ، ويوم سفرى إلى باريس حاولت أن أعثر على خادمة لكى أعطيها هذا الطعام ، وأنا أفهم أنها لو باعته فسوف تحصل على مبلغ كبير جدًا من العملات الروسية ، ولم أجد خادمة واحدة ، وتركت الخبز والفاكهة والطعام والمياه فى الغرفة ، ولم أفهم ، ولكن عندما ذهبت إلى باريس وفتحت حقائبى فهمت ماذا حدث ، فقد سرقت الخادمة نصف القمصان وكل ماكان عندى من علب الشاى وعسل النحل والصابون وأمواس الحلاقة ! .

وقد انتقل عدد كبير من جميلات روسيا إلى العمل فى جميع العواصم بما فى ذلك القاهرة ، فالفنان سمير صبرى قد زود فرقته الغنائية الراقصة بعدد من الروسيات اللاتى تعلمن الرقص الشرقى النظيف بسرعة عجيبة . . وانتقلن إلى العمل سكرتيرات فى كثير من الشركات العربية أيضًا .

ورأيت الروسيات المهاجرات إلى إسرائيل يتسكعن بالعشرات فى شوارع تل أبيب ، والمعنى مفهوم طبعًا . .

وبسرعة نشطت تجارة الدعارة فى أوروبا ، واتجه تجار الدعارة والشطارة إلى الدول الشيوعية يستدرجون الفتيات الجميلات اللاتى كن فى قيادات الأحزاب الشيوعية إلى العمل فى الفنادق . . فإذا وصلن إلى العواصم الأوروبية فوجئن بأن المطلوب ليس العمل فى الفنادق وإنما فى بيوت الدعارة . . ولا تستطيع الفتاة مهما كان مؤهلها العلمى أوالسياسى أن تقاوم ، فقد استولى تجار الدعارة على كل أوراقها الرسمية وأغرقوها فى الديون لكى تشترى أجمل الفساتين ، انتهى . .

وفى الصحف والمجلات العارية تقرأ مثل هذا الإعلان : فيلسوفة اللجنة الفرعية للحزب الشيوعى فى مدينة كذا تستطيع بجمالها ودلالها أن تملأ حضنك بالدفء والمتعة الغامرة بمائتى دولار . . يابلاش . . كيف تجلس إلى فيلسوفة ولا تندم على ذلك . . ادفع مبلغ كذا . . ومن الذى كان يحلم بأن يجد «كارل ماركس» جميل الساقين والشفتين بمائتى دولار . . ادفع ولا تتردد سوف تندم . . فالعمر قصير ! .

* * *

يوم احترقت الحضارة الإنسانية !

سنة ١٩٥٢ كنت أعمل فى جريدة الأهرام ، وفى نفس السنة تركت الأهرام لأعمل فى جريدة الأخبار التى سوف تصدر بعد أيام . .

وفى نفس السنة احترقت مدينة القاهرة احتجاجًا على الفساد الملكى وفساد السياسيين الخاضعين له ولسلطاته . . أى ثورة على الفساد العام . . وقام المتظاهرون بإحراق كل شىء أجنبى . . فى شارع فؤاد (٢٦ يوليو) وفى شارع سليمان وقصر النيل . . ولكن الذى أوجع عقلى وقلبى هو إحراق مكتبة (د . هـ . سميث) . . أعظم مكتبة فى مصر . . هنا العلم والنور . . هنا خلاصة العقول الإنسانية . . أعظم مكان وأروع مكان ! .

وكان لى أصدقاء فى هذه المكتبة . . من بينهم واحد من كبار المثقفين والمثاليين والذى كان يتمنى أن تنقلب الدنيا لكى تتحقق الشيوعية بكل مفرداتها . . ولم يحدث . . ولكنه ظل حالمًا . . ولما زرته فى باريس فى بيته وجدت فى مكتبه نموذجًا للكرة الأرضية يديرها بين أصابعه . . إذن مايزال يحلم . . رغم أنه فقير كادح ، إنه الصديق «لطف الله سليمان» . . بلدياتى . . ولم تكن لنا متعة ونحن تلامذة فى الجامعة إلا مكتبة لطف الله سليمان فى شارع ثروت . . وكان من عادة لطف الله عندما يفتحون طرود الكتب المصدرة من لندن أن يستدعينى للحضور . . لماذا ؟ .

لأن عملية شحن الكتب وتفريغها من موانئ الإسكندرية . . التفريغ العنيف يؤدى إلى تحطيم الكتب فتصبح غير صالحة للبيع . . ولكنها صالحة لأن يعطيها لأصدقائه من الطلبة الغلابة ـ لى ولغيرى ـ وكنا سعداء ولاننسى له هذا الفضل . . ونظل نتردد على المكتبة ونروح ونجىء . . ونسمع صوت الطرود وهم يفكونها . . ويدعونا لطف الله لحمل مانريد من الكتب وكان من أسعد أيام حياتنا أن نخرج وقد حملنا الكتب على الكتفين وفوق الدماغ . .

ونأتى بالمقاطف ونحملها سعداء ، بل كنت أسعد الناس فى الدنيا . .

ويوم احترقت القاهرة ، كان أتعس أيام العمر أن ترى هذه المكتبة قد احترقت . . وكانت الكتب تتحول إلى كتل من الفحم . . كل الفلاسفة . . كل الشعراء كل الأدباء . . كل ماهو حضارى فى هذه الدنيا يسقط أسود هزيلاً أمام الهجمات الوحشية الجاهلة . .

وفى ذلك اليوم هجمنا على النيران ننقذ الكتب . . بعض الكتب . . وكنا نضع الكتب إلى جانب من الشارع والدموع فى عيوننا . . وكنا أربعة من الأصدقاء : واحد يونانى وواحدة أرمنية ونحن اثنان مصريان . .

ولم نعد قادرين على أن نفعل شيئًا ، لقد احترقت عشرات الألوف من الكتب وأقلام الحبر الجاف والمساطر وغيرها من أدوات الكتابة . . والمقاعد والمناضد ! .

كان الحزن عظيمًا والخجل أعظم . . منتهى الوحشية . . والجهل . . إن هذه الكتب مؤكدة الفائدة . . إنها تحمل خلاصة العظمة والصدق والإبداع . . إن كل ورقة تدفعنا إلى الأمام وإلى أعلى . . فكيف هكذا نحرق كل السلالم إلى أعلى وإلى الأمام ! .

ووقفنا ننظر إلى الكتب ليختار كل واحد منا مايريده . . لم نتزاحم عليها . . وإنما الحزن والخجل والشعور بالعار قد أخرسنا تمامًا ، ووجدنا بين هذه الكتب التى كومناها قواميس وكتبًا فنية . . وكتبًا فلسفية ودواوين من الشعر . . وكتبًا أخرى لاتهمنا فى الهندسة والطب . .

وبينما نحن واقفون نقتسم هذه التركة فى هدوء تام اقتحم هدوءنا واحد يقول : خير البر عاجله ! .

وهو حديث نبوى شريف . .

وقبل أن نفهم ما الذى يقصده من الحديث وجدناه قد صب على الكتب زجاجة جاز وعودًا من الكبريت ! .

إخص . . الله يلعنك ! .

فالرسول لم يقصد بحديثه الكريم هذا العمل الوحشى الإجرامى ! .

وقلت له غاضبًا : لم يكن الرسول يقصد إحراق الكتب ! .

فقال متحمسًا كاذبًا : بل قال ذلك . . قال : خير البر عاجله ، أى أن نُعجل بالقضاء على الفساد ! .

لم يكن للاعتراض على هذا المجنون أى معنى بعد أن تفحّمت الكتب ! .

أعطني عمرًا وارمني في جهنم !

إن شاء الله سوف تعرف معالم الجنة ـ بعد عمر طويل ـ هذا إذا دخلتها ! .

ولكننى رأيت جنات كثيرة فى هذه الدنيا . . رأيت الجنة فى شواطئ أمريكا . . رأيتها فى «الريفيرا» الإيطالية التى تبدأ من مدينة «چنوة »إلى «سورنتو» فى الجنوب مرورًا بهذه المدن الصغيرة البديعة : «سانتا مرجريتا» . . «بورتوفينو» . . «رايالوا فورتوريزو» . . رأيت الجنة فى جزيرتى «مايوركا »و«مينوركا» . . رأيتها فى جزر «الأزورس» . . رأيتها فى الغابة السوداء فى ألمانيا . . فى الريف الإنجليزى . . فى منطقة «شمبانيا» بفرنسا . .

ثم رأيتها فى جزر «هاواى» . . التى هى الجمال والفتنة والسحر وراحة البال ـ إذا كان جيبك ثقيلاً بالدولارات من فئة المائة . .

فقد عشت فيها ولم يكن هكذا جيبى مليئًا . . ولكن القليل الذى كان معى والرغبة القوية فى أن أكون سعيدًا بأى شىء جعلنى أتناول الإفطار قبل موعد الغداء بنصف ساعة ، ويكون إفطارى هو غدائى أيضًا . .

أما عندما قررت أن أبقى فلم أجد إلا وسيلة واحدة وهى أن أقوم أنا والمرحوم أحمد يوسف كبير مصورى أخبار اليوم بقراءة كف السياح الأمريكان ـ السائحات الأمريكيات – . وكان أحمد يوسف نحيفًا مثل غاندى الزعيم الهندى . . وكان يمسك بذراعيه المرفوعتين غطاء إحدى المخدات مكتوب عليها : قارئ كف فرعونى ! .

وأنا قارئ الكف وكنت أقول . . وأقول وأنظر إلى أظافر السيدات ولون الأظافر ولون بياض العين وأقول . . وجمعنا مبلغًا من المال جعلنا نطيل الإقامة فى جزر هاواى ! .

وفجأة اهتزت الأرض وانعقدت سحب الدخان الأسود . . وارتفعت النيران ، إنه بركان كان نائمًا أكثرمن قرنين وصحا فجأة وكأنه عفريت قد خرج من الأرض . . فكانت له أذرع من النار ورأس من السحب وشعر أسود . . وكان يدبدب فى الأرض بقدميه . . وفجأة أخرج مافى جوفه من الكتل الملتهبة . . وتحولت المياه إلى نار . . والهواء إلى دخان سام . . لقد تعكر صفو الجنة . . وفجأة انفتحت الأبواب التى تفصل بين الجنة والنار ، وفى يوم واحد رأيت الجنة والنار فى لحظة واحدة ! .

وذهبت للفرجة على جهنم . . وكان الناس يقتربون من النار أكثر وأكثر . . وسرت وراء أهل الجزيرة فهم أكثر الناس دراية ببلدهم . . وفجأة رأيت النار وراءنا أيضًا . . فالنار أمامى وخلفى . . يانهار أسود وبعدين ؟ .

وتلفت إلى العواجيز الأمريكان وبعضهم كنت قد قرأت له الكف ، واحدة قالت لى : كلامك مضبوط يافرعون ! .

ولم أعرف ما الذى قلته لها . . ولم يكن عندى أى استعداد لسماع أى أنواع من الإطراء . . ولكنها اقتربت فى هدوء وقالت لى : أنت قلت : إن الأيام القادمة سوف تكون نقطة تحوّل فى حياتك . . تعرف أننا هنا محصورون . . وأننا سوف نموت معا . . كلامك لاينزل الأرض ! .

إن السيدة سعيدة بأنها سوف تموت ولكنى لست سعيدًا بهذه النهاية . . ثم إننى لم أكن أقصد هذا المعنى عندما قلت لها ذاك . . فأنا لا أفهم الكف وأنا أضحك وأتسلى ! .

ولمحت أطفالاً من بعيد . . والأطفال يهرولون . . وكان من الطبيعى أن ألحق بهم . . فهم يتابعون آباءهم إلى النجاة . . وفعلا وجدت طريق النجاة . . ومن الغريب أن السيدة العجوز قد صدقتنى وانتظرت نهايتها ، ولم ينجح أحد فى أن يقنعها بالعودة . . لقد حاول كثيرون ، ولكن السيدة رفضت وانصرفنا ونحن نحكى حكايتها ! .

وجلست فى تلك الليلة على الشاطئ الجميل لمدينة «هونولولو» . . وكان الدخان يبدو من بعيد لوحة فنية رسمها الموت والعفاريت ولكننا نحن جلسنا هادئين على المحيط الهادى . . نأكل الأناناس ونشرب عصير التفاح . . ورائحة الشواء تجىء من كل مكان . . وبنات «الهول»ا يرقصن حول المشاعل والموسيقى كأنها قلوب عاشقة . . تدق بقوة وعنف . . وأسندت ظهرى إلى شجرة جوز هند ونمت لا أعرف كم ساعة . . وعندما نهضت لكى أتجه إلى غرفتى سمعت صوتًا يقول لى : خد يدى يافرعون ! .

لقد كان السيدة إياها . وقبل أن أسألها : كيف جاءت . . كيف عاشت . . كيف وصلت إلى هنا ؟ .

قالت : لقد هدأت النيران فجأة ووجدت طريقى إلى السيارات . .

فعلاً : اعطنى عمرًا وارمنى فى جهنم ! .

وسددت أيضًا فاتورة الغربان !

كـانت مظاهرة ضـخـمـة والناس يقـولون : «سندباد» . . «سندباد» . . «سنداباد» وهى كلمة معناها : الحرية . . إذن هؤلاء المتظاهرون يطلبون المزيد من الحرية .

إنهم أبناء ولاية «كيرال»ا فى أقصى جنوب الهند . . وهذه هى العـاصـمـة «ترافندروم» . . والشـوارع تصب بعضـهـا فى بعضـهـا جماهير غفيرة تهتف بأعلى صوتها . . وفجأة انفتحت ألف نافذة فى السـحـاب ونزل المطر كأن أسقف السـمـاء قـد انهـدم . . كأن سقفًا من الجليد . . ثم ذاب مرة واحدة . . فنزلت السيول بمنتهى العنف . . واستقبلتها الشوارع بإصرار على أن لاتفتح البالوعات . . وتحـولت الشـوارع إلى قنوات . . ترع . . أنهـار . . مـرة واحـدة . . والناس الذين غـرقـوا فى الـسـيل مـازالوا يهـتـفـون : سنداباد . . سنداباد . .

ولم أعـرف كيف أعود إلى الفندق ولا أجرؤ أن أضع يدي على فم واحد منهم وأقول له : ماتعرفش وحياة أبوك أين يوجد الفندق الكبـير ؟ . . ووجـدت طفلة فى حالة تشنج شـديد . . واقـتـربت منهـا . . ومـددت لها يدى لكى أساعدها على الخوض فى المـياه وقلت لها : تعرفين أين الفندق الكبير ؟ .

قالت : نحن فى الطريق إليه لأن الاجتماع الحزبى هناك . .

- وأنت لمَ نزلت إلى الشارع ؟ .

- أبى وأمى فى مقدمة المتظاهرين .

- وماذا يريدون ؟ .

- الحرية .

- الحرية من ماذا ؟ .

وكانت لها نظرة معناها : أما أنت رجل لاتفهم . . ألا تعرف أننا نطلب الحرية من الجوع والمرض ؟ .

ولم تشأ هذه الصغيرة الملعونة أن ترد . . واكتفت بأن تركتنى مشغولاً بترجمة نظرتها القاتلة . . ولم تترك يدى كأنها قررت أن تظل متمسكة بيدى حتى أسقط أمامها من الكسوف . . ولو حدث لتركتنى تحت الماء . . إيه يعنى واحد أجنبى يموت فى بلد بها ٨٠٠ مليون نسمة - فى ذلك الوقت من سنة ١٩٥٩ ! .

أما هذا الذى رأيته أمامى وخلفى وحولى فهو الذى جعلنى أتخلص من أصابعها الرقيقة الباردة . . فقد وجدت على سطح الماء فى كل الاتجاهات : عدد هائل من الثعابين وكأنها ديدان . . أو كأنها قطع من الجبال وليست ثعابين قاتلة . .

ولا أعرف كم مضى من الوقت المخيف حتى وصلت إلى الفندق . . المهم أننى وصلت . . ودخلت غرفتى بسرعة ووقفت طويلاً تحت الدش . . وغيرت ملابسى . .

وذهبت إلى المطعم . . وطلبت الشاى الهندى البديع الطعم والرائحة . . وطلبت كمية كبيرة من الأناناس . . وطلبت بيضًا وجبنة . . وخبزًا ساخناً . . إننى أستحق هذه المكافأة ، فقد أرهقنى الشارع والثعابين والسيول وخوفى من الزكام فى أية لحظة . .

وجاء الإفطار جميلاً نظيفًا شهيّاً . . واقتربت بمقعدى من المائدة . . وفجأة تذكرت أننى لم أقرأ الصحف . . وتركت المائدة وذهبت لكى أشترى الصحف . . ورحت أقلبها عائدًا إلى مكانى من المطعم لكى أجد الأطباق نظيفة تمامًا . . فقد هبطت الغربان وخطفتها . . ولم تترك لى إلا الشاى . . وذهبت إلى الجرسون ، وكان يعرف . . ولم يقل شيئًا ، فقد اعتادوا ذلك . . وفى نفس الوقت لم يفعلوا شيئًا ، فنحن فى ولاية لايقتلون فيها النمل لأنه حرام ، بل إنهم فى بعض الأحيان يضعون السكر فى أركان البيت ليأكلها النمل فكيف يقتلون الغربان ، لقد اعتادت الغربان خطف الطعام واعتادت أن أحدًا لايقاومها . . فهم يضعون الطعام والغربان تنقض عليه . . وهذا يحدث كل يوم . . إذن سوف يجىء الطعام مرة أخرى . . وأنا الذى يجب أن أقوم بدور (خيال المماتة) - أى الشخص الذى يخيف الغربان . . ففى الريف المصرى فى حقول الخيار والبطيخ والذرة يضع الفلاحون جلباب فوق فرع شجرة . . حتى يبدو كأنه إنسان ، تخاف منه الغربان والعصافير فلا تأكل الخيار أو القثاء أو الحبوب .

ولم أجد وسيلة إلا أن أقف وفى يدى فوطة أهدد بها الغربان . . فإن تمكنت من حراسة الأناناس خطفوا الجبنة ، وإن حرست

البيض خطفوا الجبنة . . ولما حاولت أن أخفى الطعام كله بمفرش المائدة انقضت الغربان وهددت بالوقوف فوق دماغى وكتفى وخطف عينى ! .

ولما التفت إلى الجرسون أسأله ما الحل ؟ .

أجاب بمنتهى البرود الهندى الشهير : أن تدخل المطعم ولا داعى لأن تفطر فى الحديقة ! .

وأفطرت فى هدوء . . ولكن دفعت فاتورة إفطارى وإفطار الغربان أيضًا ! .

* * *

لأسباب غامضة
يخافون القطط!

لأسباب نفسية غير معروفة ، هناك أناس يخافون من القطة والكلب ومن العصافير ومن الثعابين والصراصير . .

أذكر وأنا صغير ، فوجئت بأن ثعباناً قد تكوم إلى جوارى يستدفئ بحرارة جسمى لأن الشتاء كان قارسًا . . ولما أحسست بالثعبان تسمرت فى مكانى . . وفجأة قفزت قطة تتربص بالثعبان وتضربه بمخالبها فى جسمه . . والثعبان قد اعتدل رافعًا رأسه ، وصرخت . . ولحسن حظى جاء أخى الأكبر وهو شهير فى قدرته الغريبة على مطاردة الثعابين ثم يمسكها من ذيلها وبسرعة يطوحها فى الهواء ثم تهبط بدماغها على أحد الأحجار فيموت الثعبان . .

وأشرت إلى أخى أن يفعل شيئًا ولم يفعل ، ولكن بسرعة قفز الثعبان إلى الأرض والقطة فوق دماغه . . ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك ، ولما عاتبت أخى كيف وقف متفرجًا وهو الذى يدعى أنه لايخاف الثعابين . .

فقال لى : أنا لا أخاف ! .

ـ ولكنك كنت ميتا فى جلدك ! .

قال : بل أخاف من القطط ! .

* * *

ومن الغريب أن ثلاثة ملوك من ملوك فرنسا كانوا يخافون منظر القطة من بعيد أو من قريب ، إنهم الملك «هنرى الثالث» و«لويس الـ١٣» و«نابليـون» ، ونابليـون هو الذى دوخ الدنيـا وجـعل أعظم القوى والملوك يركعون ، كان يخاف من القطط . . وكان يخجل من هذا الخوف . . وفى نفس الوقت لم يساعده أحد من العلماء الذين حوله فى تفسير أساس هذا الخوف . .

وتقول «ماريه فلفسكا» عشيقة نابليون البولندية : إنه كان من الممكن أن يقتلنى نابليون عندما دخل إلى فراشى . . فوجد قطتى قد سبقته إلى النوم فى حضنى عندما امتدت يد نابليون إلى السيف يقطع به رقبة القطة ورقبتى ! .

وعندما ذهب نابليون إلى منفاه الأخير فى جزيرة «سانت هيلانة» لاحظ أن بها عددًا كبيرًا من القطط . . فطلب إلى حاكم الجزيرة ومدير السجن إخلاء الجزيرة من القطط ، فسألوه : ومن الذى سوف يأكل الفئران ؟ .

وفى يوم أغمى على نابليون وظل فى فراشه أسبوعًا . . فابنة مدير السجن فتاة دون العشرين أحبها نابليون وأحبته ، ودفعها الحب إلى قتل أربعين قطاً ، فأتت بالقطط لنابليون دليلاً على حبها ، فلم يكد يرى نتائج المذبحة حتى سقط مغشياً عليه ! .

وكان زميلنا الناقد الساخر «جليل البندارى» . . سليط اللسان . . وكان كثير الشتم لكل الناس . . وكانوا يتهيبونه ، وقد حاولت (أخبار اليوم) أن تدبر له مكتبًا خاصًا يليق به ويكون واسعًا لاستقبال ضيوفه ، ولكنه رفض وأصر على أن يجلس بين

عدد من المحررين الصغار يناقشهم بعنف ويشتمهم ويطيل لسانه وهم يضحكون وهو يضحك أيضاً ! .

وفى أحد أيام عيد الفطر المبارك ذهب جليل البندارى إلى مكتبه ولم يكن بالغرفة أحد من المحررين . . وأقفل الباب بالمفتاح حتى يفرغ من عمله . . ثم فتحه ليتغير هواء الغرفة ، وعندما عاد إلى مكتبه بعد دقائق سمعوه يصرخ وينادى ويصرخ ويشتم المحررين والسعاة ويقول : ياولاد الـ . .

ـ ماذا حدث ؟ .

لقد تسلل إلى مكتبه عدد من القطط التى امتلأت بها المطابع والمخازن . .

إنه يخاف من القطة ولذلك رفض أن يكون له مكتب خاص خوفًا من أن تنفرد به قطة ! .

ولم نصدق هذه المبالغة إلى أن ذهبنا مع المرحوم الشاعر الرقيق «كامل الشناوى» فى ساعة متأخرة من الليل إلى شقة المطرب اللبنانى «جمال» وزوجته المطربة «طروب» . . وطلب إليهما كامل الشناوى أن يتركانا وحدنا فى غرفة الطعام ، فقد حملنا طعامنا وجلسنا نأكل ونفتح الثلاجة . . وكان طعامنا من السمك الجمبرى . . وكانت الساعة الثالثة صباحًا وفجأة فوجئنا بجليل البندارى يكاد يلقى بنفسه من البلكونة وينادى بأعلى صوته : الحقونى . حيموتنى . . الحقونى ياناس . . ياهووه ! .

وأسرعنا إليه . . فوجدنا قطة قد انحنت على بقايا جمبرى كان فى فمه ، وسقط على الأرض ! .

وكـان لنا زمـيل فى جـريدة الأهرام كـان يتحـدث إلى القطط ، ويؤكـد لنا أن هذه القطط هى أرواح طيـبـة قـد تحـولت إلى قطط لمساعدة المساكين ولم نكن نصدق . .

وفى إحدى المرات كنا فى أحد فنادق بورسعيد فوجدنا عنده قطة سوداء كبيرة جميلة . .

وكان يحدثها وكانت تطيع ، وفى إحدى الليالى سمعت صراخًا فى الغرفة المجاورة وأسرعنا نرى . . فوجدنا القطة قد تعلقت من الكرافتة وتحاول أن تجرجر صاحبها إلى خارج الغرفة وهو منظر غريب ، فالكلاب فقط هى التى تفعل ذلك ، ولكن القطط لم نرها تشد أحدًا من ملابسه . . وذهبنا نسأل الزميل : ماذا جرى ؟ وكان رده : إن جارنا قد ارتكب معصية !! .

كلام غير مفهوم ولكن زميلنا قد درب القطة على أن تشم رائحة السمك وأن يؤدى ذلك إلى هياجها وصراخها . . وعرفنا فيما بعد أنه قد تسلل إلى غرفة جارنا ومسح الكرافتة فى قطعة سمك . . ثم إنه لم يطعم القطة يومًا كاملاً . . وبعد ذلك أطلقها على جارنا فكادت تفتك به ! .

الغريب أن زميلنا هذا لم يعد يطيق أن يرى أويسمع كلمة : قطة ! .

فقد هاجمت ابنه الصغير إحدى القطط وأكلت أصبعًا من أصابعه !! .

زواج "أنور" من "جولدا" هو الحل !!

فى العالم الغربى لايملون عمل استفتاءات للرأى العام فى كل قضية . .

إن زادت الجريمة سألوا . . إن نقصت سألوا . . إن نجحت سياسة الحكومة فى خفض الأسعار سألوا الناس . . إن لم تفعل سألوا الناس . .

فهم يضعون أيديهم على نبض الشارع ، لأنه من الضرورى أن يعرفوا كيف أحسّ الناس . . أو كيف كان رضاؤهم أو غضبهم ، لأن الدولة خادم الشعب . . والشعب هو الذى يقول وهو الذى يختار وهو الذى يعانى ، ومن أجله كل ماتفعله الدولة بجميع مؤسساتها . .

نفرض أننا أردنا أن نفعل ذلك فى مصر ، فلابد من إجراء استفتاء عن الأطعمة الفاسدة . . وعن مياه النيل . . وعن تغيير برامج التعليم . . وعن أسعار الأدوية . . وعن أوبرا عايدة . . وعن الطريق الدائرى الذى يهدد الآثار الفرعونية . . وعن موضوع الختان وكذلك ليلة الدخلة بصورتها البدائية الريفية العنيفة . .

وأيام مبادرة السادات بالسلام مع إسرائيل ، الذى أصبح سياسة وأملاً عامّاً لكل العرب الذين أدانوا السادات واتهموه واتهمونى

بالخيانة والعمالة لصالح العدو . . وما يحدث فى العالم العربى الآن اعتذار لنا على أعلى المستويات . . فى ذلك الوقت كان الصحفيون الإسرائيليون يحضرون إلى القاهرة ويسألون رجل الشارع وسائقى التاكسى عن رأيهم فى السلام . . وهل الناس مستعدون لذلك . . أو أن السادات فرضه عليهم أو أن السادات كان أسبق من زمانه . . وما هى النتائج التى يتوقعونها بعد السلام . . بعد خمس سنوات . . بعد عشر سنوات ! .

ومن النادر أن تجد واحدًا منا يقول : ما الذى سوف يفعله بعد خمس سنوات أو عشر سنوات ؟ . . لأننا عادة نعيش من يوم إلى يوم . . على الله ! ولكن المجتمعات العلمية هى التى تفكر فى الغد وما بعد الغد . . وفى القرن الواحد والعشرين . .

وقد اتجه الباحثون الإسرائيليون إلى أهداف بعيدة . . فاستأذنوا فى أن يسألوا أطفال المدارس عن رأيهم فى السلام وكيف يتصورونه . .

وكان أكثر التلامذة المصريين الصغار يرسمون حمام السلام وأغصان الزيتون . . وهى رسومات تدل على الطبيعة المصرية الهادئة البسيطة . .

وجاءتنى الصور التى رسمها أطفال المدارس فى تل أبيب وحيفا . . وهؤلاء الأطفال لأنهم ولدوا فى الحروب وسمعوا كل أنواع العذاب عن الأب والجد . . فهم يعرفون معنى الحرب والدمار والخراب ويعرفون معنى السلام . . ولذلك جاءت كل

رسوماتهم قنابل وانفجارات وحقول ألغام . . أما السلام فهو أن تجئ صقور السلام تلتقط الألغام . . والسحاب يمطر لكى تنطفئ القنال والحرائق . . أو تتحول الطائرات إلى جرارات . . والأطفال يضحكون والكبار يرقصون . .

ومن بين الصور الغريبة : صورة طفل عمره سبع سنوات يرى أن السلام هو أن يشرب بيرة ويضحك ! .

وطفل آخر رأى أن السلام هو أن يجلس فى طائرة ومنها تتدلى «سنارة» لصيد السمك . .

ولوحة غريبة عجيبة لطفل عمره ست سنوات قد جلس تحت شجرة والشجرة فيها كل أنواع الفواكه . . تفاح وبرتقال وخبز وجبنة وبيض . . ثم أن الشجرة نفسها تضحك ! .

وصورة لطفلة جعلت رجال الدين المسلمين يرتدون مسوح رجال الدين اليهود ، والحاخامات وضعوا العمامة . . وهم جميعًا يضحكون ويتعانقون . .

أما الصورة التى عرضتها على الرئيس أنور السادات وجعلته يضحك حتى نزلت الدموع من عينيه فهى التى رسمتها طفلة عمرها تسع سنوات . . فقد جعلت أنور السادات عريسًا «لجولدا مائير» . . والاثنان قد ارتديا ملابس الزفاف . . أما التى زفت العروسين فهى الراقصة المصرية «نجوى فؤاد» ، والتى رأتها الطفلة فى التليفزيون الإسرائيلى ! .

وكـان السـادات كلمـا جـاءه زائر أطلعـه على هذه اللوحـة . . ويضـحكان . . وقـد نشـرت هذه اللوحـة الصـغيـرة فى كـثيـر من الصحف العالمية عن مفهوم (المرأة الصغيرة) للسلام وكيف يكون بين الشعوب ! .

ولكن أجمل اللوحات هى التى رسمتها طفلة عمرها ١١ سنة من القدس ، وهى فلسطينية ، الصورة هى أن أنور السادات جالس على عـرش . . ثم جلست هذه الطفلة على كـتف السـادات وقـد وضعت تاجًا على رأسها . . والتاج من أغصان الزيتون . .

أما السادات فقد كتبت على صدره كلمتين : بطل السلام ! .

* * *

جاء البوليس ولم نهرب!

دعانا إلى العشاء «محمد فريد خميس» رئيس اتحاد الصناعات فى مصر وصاحب شركة (النساجون الشرقيون) . . وهو رجل ثعلب نافذ العينين كالسيف : من ناحية قاطع ومن الناحية الأخرى ناعم . . وإذا تحدثت إليه فأنت لاتعرف إن كان خميس الناعم أم خميس القاطع هو الذى يتحدث إليك ، ولكنك تستطيع أن تقول دون خطأ : إنه العسل السام ، أو السم الشافى ، ولكنه ناعم فى كل الأحيان لدرجة أنه لو فكر أن يقتلك لقال لك : أرجو أن تجلس هادئا آمنًا مطمئناً حتى أتمكن من قطع رقبتك ! .

ليس هذا رأيى ولكن رأى الذين يعملون تحت قيادته الصارمة ، على كل حال هو صديقى ، فلا يملك إلا أن يكون وأن أكون ناعمًا رقيقًا .

وكان عددنا مائة جاءوا فى أربعين تاكسيًا ، وإذا رجعوا فمثل هذا العدد أيضًا ، أما المطعم الألمانى فقد جعل موائده متراصة موصولة بعضها ببعض لكى نجلس على مسمع ومرأى من بعضنا . .

ولم تكد تستقر أطباق الطعام أمامنا حتى بدأت الهمهمة . . ثم السكوت ، فالطعام قليل جداً . . كما أن الأطباق واسعة وكبيرة ، وقيل : إنها عينة ، فإذا أعجبنا أتوا بالطعام ، وفوجئنا بأن هذه

العينة هى الطعام . وأن الألمان يفعلون كذلك ، وجاءت الشوربة العينة أقل بكثير جداً من الطعام السابق . . ولم يطق المدعوون صبرًا على ذلك فأوفدوا واحدًا يراجع إدارة الطعام وكان الحوار هكذا :

- أنتم فاكرين إن إحنا عيال ؟ .

- لماذا ؟ .

- لأن الأكل لايشبع حتى الأطفال ! .

- ولكنكم كنتم تعرفون ذلك .

- لم نعرف أن الطعام هكذا ضئيل . . أنتم عرضتم علينا قائمة بالطعام أعجبتنا الأسماء ولم نتصور أن تكون الكميات قليلة نادرة ! .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى . . زودوا الكميات وانزلوا بالأسعار لأن الوجبة غالية . . ٨٣ ماركا . . وهى لاتساوى إلا خمسين ماركا ! .

- وهو كذلك ! .

- يعنى إيه ؟ .

- فى المرة القادمة .

- ومن هو المغفل الذى سوف يجىء هنا مرة أخرى ؟ . .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى إما التخفيض أو زيادة الكمية . . وحتى لو زادت فإنكم سوف تزيدون فى كمية الطبق الواحد المتبقى . . وهذا لايساوى وحده خمسين أو ستين ماركاً . .

– يعنى إيه ؟ .

– لم يبق إلا التخفيض . .

– وهو كذلك ! .

وعاد المتعارضون سعداء . . وصفقنا لبراعتهم فى الوصول إلى هذه النتائج . . ودارت موضوعات كثيرة معناها أن الألمان ليسوا مغرضين . . ومعناها أن الألمان مخيفون ولكن إذا أظهرت لهم العين الحمراء فسوف يتحولون من أسود إلى أرانب . . المصريين أهمه . . المصريين أهمه . . أنا المصرى كريم العنصرين . . أنا الذى خرم التعريفة . . ودهن الهوا دوكو ! .

وانتهينا من الطعام وطلب من إدارة الفندق أن تأتى لنا بأربعين تاكسيًا . . وجاءت التاكسيات فى طابور واحد مخيف وكانت العربة الأولى للبوليس حتى لايفلت الزمام . . وحتى لاينزعج الناس . . ووقفت التاكسيات وتقدمت سيارة البوليس . . ونزل اثنان من رجال البوليس وفوجئنا بصاحب بالمطعم يقول : ياسيدى إن بيننا عقدًا وهذا العقد كما ترى وقد وقعنا جميعًا عليه . . وقدمنا الطعام المنصوص عليه فى العقد ، وهم يريدون أن يتراجعوا عن العقد .

وقال البوليس : يا الدفع . . يا الحبس ! .

ووافقنا على الدفع فمن الغلطان ؟ نحن طبعًا . . واعتذرنا وتصافحنا . . ودفعنا البقشيش ! .

وحاولنا أن نداري كسوفنا فتطوعت قائلاً : إنني مؤلف سينمائي أريد أن أعرف ما الذي يحدث في ألمانيا لو حاول أي إنسان في هذه الساعة من الليل أن يرجع في كلامه ! .

وتهامس رجال البوليس . . ثم ضحكوا وقالوا : كل هؤلاء من الممكن أن يعودوا إلى بيوتهم إلا أنت .

قلت : ليه ؟ .

قال : لأنك أزعجت السلطات ! .

قلت : ولكني لست الذي وقع العقد .

قال صاحب المطعم : ليس هو ! .

وخرجنا من المطعم والجليد تحت أقدامنا وفوقنا ، وحمدنا الله على سلامة الوصول لولا أن أحدنا بدأ يشكو من مغص . . وقال : الطعام فاسد . . مسموم ! .

وقفز من بين موظفي الفندق واحد يقول : إن خالي أكبر محام في هذا البلد . . ومن الممكن استدعاؤه ، وفي هذه الحالة نهدد صاحب المطعم إن لم يدفع كذا وكذا ذهبنا إلى القضاء . . وابن خالتي الآخر صحفي في أكبر مجلات المدينة وتخصصه : الحوادث والجرائم . . ما رأيكم ؟ المكسب مضمون والتعويضات مضمونة ! .

وبعد دقائق جاء البوليس يسأل : ماذا حدث ؟ .

قلنا : ولا حاجة !! .

لقد ضاعت محفظته وفيها فلوسه وجواز سفره وأوراق هامة ! .

وأخرج البوليس حافظة الصديق فشكرناه ، وعندما أعطينا حافظة النقود لأحد الزملاء أصيب بمغص شديد لهذه المفاجأة ، وبعد دقائق جاء طبيب الفندق هو الآخر : ما الذى جرى ؟ .

قلنا : ولا حاجة . . إن زميلنا هذا قد سمع نبأ سعيدًا فقد أنجبت زوجته ولدًا بعد عشرين بنتًا .

- تقولون : عشيرن بنتا ؟

- نعم ، لأنه تزوج من أربع .

- فى وقت واحد ؟! .

- نعم ! .

وسقط الطبيب . . وبعدها بدقائق جاء البوليس يسأل عن الذى حدث ! .

وجاء سائق التاكسى ينقذنا من هذه المسلسلات المزعجة حتى لاتفوتنا الطائرة إلى القاهرة ! .

* * *

نعم دفنته حيا

كان لى صديق اسمه «عبدالله بن يحيى العلوى» ، شاعر يمنى . . والله يعلم إن كان حياً ، وكان رجلا ظريفًا ، وكان إذا وجد الصحف قد أخطأت فى النحو فإنه يبعث لى خطابًا يعدد فيه الأخطاء التى جاءت فى المانشيتات أو فى مقالات كبار الكتاب ، ولايفهم أنه من الممكن أن تقع أخطاء مطبعية . . إن هذه الأخطاء يعلقها فى رقبة الكُتاب ثم يبكى على أيام سيبويه والمتنبى والعقاد ود . طه حسين ! .

ومن حقه أن يبكى على هذه الأيام ، وعلى أيام غيرها سبقت ذلك بألوف السنين ، أيام كان الكاتب المصرى الجالس القرفصاء يمتنع عن الكتابة حتى لايقع فى الخطأ ويكتفى بتنفيذ حكم الحبس أوالشنق ثم الاعتذار بعد ذلك ! .

ولم يكن يكتفى بالنثر فكان يبعث بقصائد من الشعر ، لا مؤاخذة كان شعرًا سخيفًا ، ولكنه كان الشاعر الرسمى للإمام «أحمد» ملك اليمن ، وكان مندوب اليمن فى الجامعة العربية ، وكان الملك أحمد يشترط أن تجىء إليه تقارير الجامعة شعرًا ، ولكنها لأول وآخر مرة شعرًا ، وكان هذا التقرير يتضمن كل شىء يحدث . . حتى تلك الأصوات فى دورة المياه ، فله قصيدة عنوانها :

ياهول ما رأيت . . شيخ ماشى يفرط كالرشاش !! .

وله قصيدة فى البراغيث . . وقصيدة أخرى فى انتفاخ البطن وماذا يحدث للإنسان بعد ذلك . .

ولا أعرف كم عدد القصائد التى كتبها والتى اعتذرت ولم أعتذر عن نشرها ، وكنت أتصور أن الأستاذ عبدالله العلوى يدرك بذوقه إن مثل تلك القصائد المتعلقة بالمغص والانتفاخ والصرف الصحى ، لاتنشرها الصحف . . وإنما تكتب على جدران دورات المياه فقط ، ولم أفلح فى إقناعه بأن الذى يبعث به ليس شعرًا ، وإنما هو كلام منظوم وموزون ، ولايساوى وزنه تراباً ، ولكنه مضى يبعث القصائد ، وقبلها وبعدها يلعن الصداقة والوفاء والإخلاص ، أى يلعننى أنا . . فليكن ! .

وترك الأستاذ العلوى كل ماتنشره الصحف ولاحقنى أنا ، فهو يعلق على كل ما أكتب ، ويكون التعليق شتيمة ، ولا أمل عنده فى النشر ، وإنما هو يكتفى بشتيمتى أنا ، بينى وبينه ، واعتدت ذلك ولم أحاول أن أتصل لكى يكتفى ، ونتعاتب . . فأنا أعرف - مقدماً - إن الذى سأقوله له سيصبح موضوعا لكل فارغ منظوم ، لايضحكنى وليس صالحًا للنشر ، وتضايق وجاءنى ، وقال لى : لماذا لاتنشر هذا النقد لك ؟! .

وقلت له : ليس نقدًا ، وحتى لو كان نقدًا لى ، فليس كل مايقال ينشر . . وهذه المنظومات كلام شخصى بايخ . .

فقال : إذن هذه القصيدة يمكن نشرها . .

ومددت يدى وقرأت قصيدته هذه ولكنها فوضى ، فقلت : جيدة جداً ، ولكن لأنها فوضى فلا أستطيع نشرها ، وإنما ينشرها غيرى ! .

وضاق بى الأستاذ عبدالله بن يحيى العلوى . . وسكت طويلاً وفوجئت بإعلانات فى الصحف عن كتاب له عنوانه :

أنيس منصور

آه منه وآه عليه

أكلنى نيًا ودفننى حياً

ولم أنتظر أن يهدينى الكتاب ، فاشتريته وقرأته ، فقد جمع كل الذى بعث به نثرًا وشعرًا ورأى أننى أكلته نيّاً وأننى دفنته حيّاً - فأنا قاتل الشعر والشاعر وقد استعدى الملايين على جريمتى ! .

واتصلت به ودعوته إلى غداء ، وضحكنا ، ثم دعوته إلى أن يكون ضيفًا فى برنامج كان فى (صوت العرب) اسمه : «شىء من الفكر» وكانت المذيعة هى السيدة «سهام صبرى» ، صاحبة برنامج (شموع) فى التليفزيون . . ودخلت الاستديو ومعى الأستاذ العلوى . . وأشارت إلىَّ المذيعة أن أتكلم - وفى ذلك الوقت كانت كل البرامج (على الهوا) - فقلت : توفى اليوم الشاعر اليمنى عبدالله بن يحيى العلوى عن سبعين عامًا . . وهو آخر من نظم ندوات الجامعة العربية وجلساتها شعرًا . . وله قصيدة فى الصراصير تقول . . وقرأت أبياتًا منها . . وله قصيدة فى البراغيت يقول فيها . . وله قصيدة عن عضو فى الجامعة العربية كان مصابًا

بإمساك شديد فتابعه حتى دورة المياه وقال . . قرأت بعض ماجاء فى هذه القصيدة الملعونة . .

ورأيت المذيعة تشير من النافذة التى بينى وبينها إلى أن الوقت أشرف على النهاية والضيف الجالس إلى جوارى لم يتحدث ، فهززت رأسى ، ثم عادت تشير متسائلة إن كان سيتحدث . . فأشرت بيدى ورأسى إلى أنه لن يتحدث ، ولم تفهم . .

ولاحظت أن الأستاذ العلوى لم يبد أى قلق ولا شعر بأى حرج . . ولابد أن الدهشة قد أفقدته القدرة على الكلام . . وانتهى البرنامج ، وانفتح باب الاستديو ، وسألتنى المذيعة : من هو ؟ .

فقلت لها : إنه الفقيد ! .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى إننى حكمت عليه بالموت حيّاً ! .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى لامن شاف ولا من درى . . ولن يسألك أحد ، فأنا وحدى المسئول ! .

ولم تنته دهشة المذيعة ، ولم تفهم خلفية الحكم بإعدام الشاعر وهو جالس إلى جوارى . . ثم اصطحبته إلى خارج مبنى الإذاعة والتليفزيون دون كلمة واحدة منا . .

وبدأ مسلسل من الأحداث ، فالبرقيات جاءت من كل البلاد العربية تعزى فيه . . أهله وأقاربه ، وجاء إلى القاهرة عدد من أقاربه وأصدقائه يمشون فى جنازته ويتساءلون عن أسباب الوفاة

المفاجئة ، رجل فى صحة جيدة مقبل على الزواج للمرة الثالثة أو الرابعة لا أعرف . .

وبدأ يتصل بأقاربه ليؤكد لهم أنه حى يرزق . . وأن الذى حدث هو خطأ وقعت فيه أنا . . وكان يشكرنى على أننى قد جعلته يعرف من هم أصدقاؤه ومن هم أعداؤه . . وبعد أيام جاء يلعننى لأننى كشفت له أن عددًا كبيرًا من الذين كان يظن أنهم أصدقاء كانوا أعداءً سعداء بوفاته . .

وفى يوم جاء يتنفس وفى يده باقة من سيقان الورد . . أما الورد نفسه فقد نزعه وألقاه فى الزبالة وقدمها لى قائلاً : هذه حياتى الآن :شوك ورد وليس فيها ورد ، فقد فضحت أنت أمر كل الناس ، فلا الأصدقاء أصدقاء ولا الأعداء أعداء . . وإنما أصبحت الحياة أسوأ كثيرًا جداً مما تصورت . . فليتك كنت جاداً وأعدتنى حتى لا أرى ما رأيت ؟ .

قلت له : ما رأيك هل تحب أن أنشر خبرًا أنه تم تنفيذ حكم الإعدام فيك . .

- أين ؟ .

- فى اليمن ! .

- أعوذ بالله . . قل فى أمريكا . . فى ألمانيا ! .

ولم أستطع أن أعرف الآن إن كان حيا فكيف يعيش ؟ ، وإن كان ميتًا فكيف فعلها دون مساعدة منى ؟! .

جحيم في كفي !

كنا عشرين فنانًا وكاتبًا . . شبابنا صغارًا في سنة ١٩٥٠ عندما سافرنا على ظهر الباخرة الإيطالية «إسبيريا» ، أذكر لك بعض هذه الأسماء : «صلاح طاهر» وزوجته و«حسين بيكار» وزوجته و«أبوصالح الألفى» و«عبدالسلام الشريف» و«جمال كامل» و«عبدالغنى أبوالعينين» و«حسن فؤاد» و«كمال الملاخ» و«لبنى عبدالعزيز» والأخوان «أدهم وانلى» و«سيف وانلى» . .

وعندما قلت على (ظهر) الباخرة لم يكن هذا التعبير مجازاً ، وإنما على ظهر الباخرة فعلا ، وكنا نقيم فى إحدى الخيام ، هذه الخيمة يفكها البحارة عند الفجر لكى يغسلوا ظهر السفينة بخراطيم المياه التى تصيبنا أيضًا فيزداد الشعور بالبرودة ـ أنا أكثر الناس شعورًا بالبرودة فى هذه الدنيا ، وأول من يعطس فى جو من البحر الأبيض المتوسط ووادى النيل ، ويكون عطسى هذا مثل صياح الديك تصريحًا للمؤذن أن ينادى لصلاة الفجر ! وأنا أعطس معلناً بداية الشتاء تمامًا كالدقات التقليدية لبدء رفع الستار عن المسرحية . .

وبعد أن يقوم البحارة بربط الخيمة من جديد ، كنا نأوى إليها ونستأنف النوم أو نحاول ذلك ، فليس هناك مانفعله سوى الانتظار أو التسلل غير المشروع إلى الدرجة الأولى حيث الموسيقى والرقص والغناء وحمام السباحة . .

وطلب منى الزملاء أن أسعى لدى إدارة السفينة أن نساهم بشىء من الترفيه عن ركاب الدرجة الأولى ، وكانت الفكرة أن نحكى لهم نكتاً أونقوم بعمل مسابقة لاستعراض جمال السيقان نشارك نحن فيها ، فلا أحد يعرفنا . . إننا فقط نريد أن نهرب من بهدلة ظهر المركب ليلاً ونهارًا ، وكنت الوحيد الذى يعرف الإيطالية . . وكانت لبنى عبدالعزيز ممثلة على مسارح الجامعة الأمريكية ، ولم تكن قد ظهرت على الشاشة بعد . . ولكن عندها قدرة هائلة على الضحك المفاجئ الطويل والبكاء بالدموع وبغزارة فجأة ، وكنا ندفعها أن تفعل ذلك لأتفه الأسباب ، كأن تقرب من أحد الركاب ثم تبكى بكاءً مراً والرجل فى حرج شديد ، فهو لم يفعل أى شىء ، ويظل يعتذر ويعتذر ونطلب إليه أن يشرح ما الذى حدث ولم يشعر به هو ، وفجأة تتحول إلى الضحك والبكاء أيضا ، ويسأل الناس عن معنى هذا ، فنقول لهم : ممثلة قادرة على البكاء والضحك فى أى لحظة وبلا سبب ! .

وكان الأستاذ «عبدالسلام الشريف» الذى حصل أخيرًا على جائزة الدولة التقديرية قد حمل معه بعض الكعك ، ليأكله أثناء الطريق كأنه ذاهب إلى مولد سيدى السيد البدوى ، ودعانى إلى مشاركته فى التخلص من الكعك ، وأكثرنا رفض ذلك . . فراح يلقيه فى البحر . .

وكنا نقول إنه فى كل مرة يلقى بالكعك فإن السمك يقف على حيله ويعيده إليه ! حتى عندما ذهبنا نتفرج على حلقة السمك فى ميناء نابلى وقف السمك بعضه فوق بعض وقال : هذا هو

الراجل بتاع الكعك ! وكان دورى فى هذه الرحلة أن أحصل لهم على الطعام المناسب والآيس كريم . . فقد تصادقت مع عامل المطبخ الوحيد فى الباخرة ، هذا الرجل يكره الصحفيين جميعًا لأن ابنته تزوجت صحفياً طلع عينها وهما يعيشان فى جحيم ليلاً ونهارًا ، ولكى أنفرد بهذا الرجل وأحصل أنا وكمال الملاخ على أكبر نصيب من المكرونة الإسباجتى والآيس كريم قلت له : إن كل هؤلاء الناس صحفيون . .

فكان يصرخ : لا أريد أن أرى واحدًا منهم ، وإذا جاءنى واحد منهم فسوف ألقى به فى البحر ، قل لهم ذلك . .

وذهبت أقول لهم : إن أشياء قد اختفت من غرفته وهو يتهم المصريين فلا تذهبوا إليه ! .

وعندما مرت الباخرة من جزيرة صقلية والأرض الإيطالية فى مضيق اسمه «مسينا» واقتربت من جزيرة «استرمبولى» وجدنا البركان قد ثار أخيرًا . . بركان «استرمبولى» يقذف بالنار والدخان ، والبحر قد تحول إلى بحيرة من الدم المشتعل . . والليل أسود والنار كأنها جرح فى قلب الليل ينزف دماً من نار ، ووجدت إلى جوارى الأخوين سيف وأدهم وانلى يقولان كلاما إسكندرانيًا غير مفهوم ، لا أعرف ماذا يقولان ولكنهما فى حالة نفسية مضطربة ، ويسألانى إن كان من الممكن أن تتوقف السفينة بعض الوقت . . وقلت : مستحيل . .

وبسرعة ذهب الاثنان إلى الخيمة التى ننام تحتها . . وبعد لحظات عاد كل منهما ومعه بعض الورق ، ومن شدة الانفعال تطاير الورق ، وبحركة لاشعورية سألنى سيف : هات إيدك . . افتح . .

وجعل يستخدم الفرشاة الدموية ويرسم على يدى صورة البركان ، وغرقت يدى اليمنى فى الدم ، وعاد يطلب يدى اليسرى وراح يرسم بصورة عصبية على يده هو ، وفجأة نزع البالطو الذى كان يرتديه وطلب أن أقف عليه حتى لايطير وانكفأ يرسم الذى يراه . .

وابتعدت السفينة . . ونزلنا نعرض على الزملاء هذه اللوحات العجيبة التى رسمها ! .

ثم نقل اللوحات التى على أيدينا إلى الورق ! .

ولما رفضت إدارة الباخرة أن نصعد إلى الدرجة الأولى ، تسللت ووزعت ورقة على ركاب الدرجة الأولى تقول : إن زلزالاً وقع فى مصر وهذه أسماء الضحايا ، وكتبت عدداً من الأسماء التى لا أعرفها ، وما هى إلا لحظات حتى تعالت الأصوات والصويت فى الدرجة الأولى ، فبعض الأسماء صحيحة ، وبعد دقائق سمعنا فى الميكروفون قبطان السفينة يقول : هذا هو القبطان «أنجلو مركانى» يتحدث إليكم ، الأخبار التى وزعها الصحفيون الشياطين ليست صحيحة ، فلم يقع زلزال فى مصر ولا فى أى مكان فى البحر الأبيض ، وقد سألنا كل السفن القريبة منا ، والإسكندرية وتركيا ، وفى هذه الحالة يجب تطبيق قوانين الأمن الملاحى ، وهى وضع الصحفيين فى سجن المركب وتسليمهم لرجال الأمن فى الإسكندرية ، ليس كل الصحفيين ، ولكن أعرف منهم واحدًا بالذات . .

ودخلت إحدى الغرف ونمت تحت السرير خمس ساعات حتى وصلنا إلى الإسكندرية . . ونزلت هاربًا بجلدى ! .

أسود x أسود: يكسب!

فى سنة ١٩٦٣ انعقد المؤتمر المسيحى العالمى فى «الفاتيكان» ، وقد جاء المسيحيون من كل لون وركن ، وأمامهم عدة موضوعات أهمها : وثيقة تقدم بها أسقف ألمانى يهودى الأصل ، وموضوعها : أن اليهود لم يصلبوا المسيح ، وإنما هم الرومان ، وحكاية صلب المسيح هذه عمرها ١٩٦١ عامًا ، فقد ارتفع المسيح إلى السماء وهو فى الثانية والثلاثين أوالثالثة والثلاثين من عمره ! .

وأهمية هذه القضية أن الكاثوليك يلعنون اليهود فى صلواتهم لأنهم هم الذين صلبوا المسيح وعذبوه . .

القرآن الكريم يقول : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ . .

والقرآن الكريم يقول : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ .

وحاولت أن أحضر المؤتمر فلم أستطع ، فأنا مسلم ، ثم إننى لست قسيسًا ، ولكن لابد أن أحضر هذا المؤتمر !! ولم أجد إلا حيلة واحدة وهى أن أرتدى ملابس رجال الدين ، وقد شاءت الصدفة البحتة أن أحكى لصديق حلاق إيطالى ، فقال : إن أخاه قسيس ، وإنه سوف يحضر المؤتمر ويمكن الحصول على عباءة سوداء .

وارتديت العباءة السوداء بعد افتتاح المؤتمر بدقائق ، وحاول أحد القساوسة أن يسألنى عن هويتى ، ولكنى دفعته جانبًا وبمنتهى الرفق وقد نطقت بالعربية : ابعد عنى ياجاهل ! .

وسألنى بالإيطالية ماذا أقول ؟ فرددت عليه كذا : أنا سأدخل!! يعنى : سأدخل ولو على رقبتك ! .

قلتها بشىء كثير من الغضب ومن الجدية ، ولم يفهم الرجل طبعاً ، المهم هو أن أدخل ، ودخلت واخترت لى مكانًا بعيدًا عن الباب وعن كل الأبواب وجلست أستمع إلى المناقشة ، وشاء حظى السيئ أن أكون على مقربة من الوفد الأرثوذكسى المصرى ، وكان من بينهم قس مصرى أعرفه ، وكانت له عينا صقر ، فنظر ناحيتى وابتسم كأنه على يقين من أننى لست قسيساً ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك ، وقد أغاظنى جداً ، فقام من مكانه وصافحنى ومددت يدى بمنتهى السذاجة وقلت له : تفتكر أعمل إيه إذا كان لابد أن أحضر المؤتمر ؟ .!

وتضايقت من نفسى ، إذ كيف أستسلم بهذه السرعة وأكشف نفسى !! فقد كان من الواجب أن أستنكر ابتسامته وأرفض تمامًا أنه عرفنى ، ولم أفلح .

ولولا هذه الملابس السوداء مادخلت ، ولولا هذا القس المصرى الماكر مانزل العرق على وجهى خجلاً وحرجًا أيضًا !! .

المهم أننى دخلت واستمعت وكنت الوحيد الذى كتب ماسمعت ورأيت فى مجلة «آخر ساعة» ! .

وفوجئت بالمرحوم «يوسف السباعى» يرسل لى خطابًا جاء من نادى القلم الدولى ـ الذى أنا رئيسه الآن خلفًا لتوفيق الحكيم ـ

يطالب بفصلى فورًا . . لماذا ؟ لهذا الموقف العنيف ضد اليهود ! .

ولجأت إلى الملابس السوداء مرة أخرى فى الشهر الماضى عندما كنت فى مدينة «هانوفر» فى ألمانيا ، الأرض بيضاء جليدية ، والسير فوقها خطر مميت ولم أتعلم لا أنا ولاجميع أصدقائى السير على الجليد ولا رأيناه فى بلادنا ، فلم أرث عنهم رشاقة الخطوة وروعة الانزلاق ، صحيح أن حذائى الألمانى اللين جداً قد صنعوه من أجل المشى على الجليد ، ولكنى لست جاهزًا للتوازن على أرض متحركة ، وقد سمعت عن عشرات القصص عن المافيا فى ألمانيا ، إنهم يقتلون ويسرقون ويبتزون ، وهم تجار الدعارة والمخدرات وإنهم وإنهم . .وهؤلاء القُتّال من ألمانيا الشرقية ومن الألمان الروس . . ومن أبناء الدول الشيوعية السابقة ، وترددت كثيرًا فى ركوب التاكسيات ليلاً ، وكنت قد تعذبت ذهاباً وإياباً على الجليد ، وأتساند على أعمدة النور وعلى الجدران وعلى رحمة الله . .

وفجأة قفزت فى دماغى فكرة أسعدتنى تمامًا ، ولم تكد هذه الفكرة تضىء فى رأسى حتى صلبت طولى ونفشت ريشى وأحسست أن الأرض قد ضاقت بى ، إنها فكرة رائعة ! .

ونفذت الفكرة فورًا ، فأنا أضع على رأسى طرطورًا أسود ، فأنزلت الطرطور حتى غطى أذنى ، ولم ينكشف من وجهى إلا القليل ، ثم إن منظارى أسود أيضًا والبالطو أسود والنتيجة كما

ترى : أسود فى أسود . . ثم إننى لست أشقر الوجه والشعر أزرق العينين ، أى أننى أجنبى من تركيا أو من إيران أو الشيشان أو إيطاليا أو إسبانيا ، ثم إن لهجتى الألمانية أجنبية النطق ، إذن أنا أجنبى وملامحى إرهابية ، أى أننى إنسان مخيف ، فمن الذى يرفض أن يقف إذا ناديته ؟! ومن هو السائق الذى إذا ركبت معه يفكر فى أن يضربنى بسكين أو يستدرجنى إلى مكان ما من المدينة ويقتلنى ؟ .

وقلت لنفسى : لنبدأ ! .

ودخلت فى أحد التاكسيات وأحكمت الطرطور فوق أذنى ، ووضعت يدى فى البالطو ورحت أقلب فى جيوبى عن شىء ، الحقيقة أنه لاشىء فى جيوبى ، ولكن رحت أوهم سائق التاكسى أننى أحاول أن أجد المسدس أو شيئا آخر ، ونظر فى المرآة وسألنى إلى أين ؟ فتأخرت فى الرد عليه دقيقة أو دقيقتين ، ومازلت أفتش فى جيوبى . . ثم قلت بجفاف وخشونة : فندق «مريتم» ! فليس هناك أى شك الآن فى أننى أجنبى رهيب غليظ خشن ! .

وأمام باب الفندق وقفت بجوار التاكسى أستخرج الفلوس من جيوبى الداخلية وعندها هرب سائق التاكسى . .

وفى اليوم التالى حاول أحد السائقين أن يعرفنى . . فسألنى بالرومانية فلم أرد ، فعاد يسألنى بالإيطالية فهززت رأسى ولم

أتكلم ، ووقفت إلى جوار التاكسى وأخرجت الفلوس ولكنها كانت أقل مما يجب ، فأشار سائق التاكسى بالألمانية :هذا يكفى ومع السلامة ! .

وبدأت أخاف من أن أمضى فى تمثيل دور الرجل المخيف ، حتى لا أقع فى يد البوليس . . فقد يكون أحد السائقين من رجال المباحث ! .

ونزعت الطرطور وارتديت ملابسى وكشفت عن وجهى ، وركبت آخر تاكسى إلى المطار ، ودفعت المبلغ كاملاً والبقشيش ولم يقل السائق : مع السلامة ! .

ولكنى قلتها لنفسى وحمدت الله على ذلك ! .

* * *

هل البقاء للأصلع؟

كلام كثير قالوه عن الصلع . .

يقال : إن الصلع من مظاهر الذكاء . ولا أحد يعرف إن كان ذلك نوعًا من المواساة للذين ليس فى رءوسهم شعر ! .

فالذكاء عند الصلع موزع بالعدل بين العباقرة والمجانين ، حتى أصبحت القاعدة أنه لاتوجد قاعدة ! .

ففى الحرب العالمية الثانية تواجه عدد من الزعماء : «هتلر» و«تشرشل» و«روزفلت» و«موسيلينى» و«فرانكو» و«ديجول» وكلهم من الصلع . .

وبقى «ستالين» هو الوحيد كثيف الشعر ! .

ولك أن تختار أيهم المجرم الحقيقى ! .

وهناك ملاحظات عامة على حكام دول العالم .

وهناك نظرية تقول : إن الشعوب تختار الزعيم الأصلع ، وبعده الزعيم كثيف الشعر ، كيف ؟ .

ففى مصر كان محمد نجيب وعبدالناصر كثيفى الشعر ، وكان السادات أصلع ، وحسنى مبارك كثيف الشعر . .

وفي الاتحاد السوڤيتى جاء «لينين» (١٩١٧ ـ ١٩٢٢) وكان أصلع جداً ، وبعده جاء «ستالين» (٢٢ ـ ١٩٥٣) كثيف الشعر . .

ومن بعده «خروشوف» (٣٥ ـ ١٩٦٤) أصلع تمامًا . . وجاء من بعده «بريچنيف» (١٩٦٤ ـ ١٩٨٢) كثيف الشعر . . ومن بعده «أندروبوف»(٨٢ ـ ١٩٨٤) أصلع جداً . . ومن بعده «شرينكو» (٨٤ ـ ١٩٨٥) كثيف الشعر و «جورباتشوف» (٨٥ ـ ١٩٩١) أصلع . .

وأخيرًا جاء «يلتسين» كثيف الشعر . .

فإذا كانت هذه القاعدة فلماذا يجيء الزعيم السياسى المتطرف العنيف «جيرونفسكى» رئيسًا لروسيا ، لأنه كثيف الشعر ! .

وفى أمريكا نرى «كلينتون» كثيف الشعر ومن قبله «بوش» خفيف الشعر ومن قبله «نيكسون» كثيف الشعر . . ومن قبله «چونسون» خفيف الشعر ومن قبله «كنيدى» كثيف الشعر . .

ولا أحد يعرف ماهى القاعدة السياسية أو الاجتماعية أو البيلوچية ؟ ولا أحد يعرف إن كان طول القامة أو قصرها أيضًا له دخل فى اختيار الزعماء ؟ ولا أحد يعرف إن كانت النحافة أوالبدانة أوكانت زوجة الزعيم لها دخل أيضًا . .

وهناك نظريات فى الجاذبية الجنسية للذين فى رءوسهم شعر والذين بلا شعر . . فهذه النظريات لأنها مختلفة فهى ترضى الجميع !

وشىء عجيب نجد الأصلع بين المشاهير يضع الباروكة . . وذوى الشعر الكثيف يحلقونه حتى نرى فروة الرأس ، فلا أحد يرضيه أن يكون الشعر فى رأسه كثيفًا أوخفيفًا ! .

وكان الكاتب الساخر «برنارد شو» يقول : إن توزيع الأموال فى الدول الرأسمالية مثل انتشار الشعر فى رأسى : يتكدس فى المكان غير المناسب ! .

فقد كان طويل اللحية والشارب وأصلع الرأس تماما ! .

وكان الموسيقار الأصلع «محمد عبدالوهاب» يقول : الحمد لله فليس فى رأسى شعرة واحدة وإلا ظللت ليلاً ونهاراً أحاول اقتلاعها ، فأنا أعتقد أنه تحت كل شعرة كنز من الألحان ! .

* * *

هل أنت نوح ؟ .. لا !
خلاص .. اسكت !

كنا عـددًا من الأصدقاء نؤدى شعيرة الحج ، وكان الصديق الدكتور البشرى هو الذى يتلو كتاباً طويلاً عريضًا للأدعية ونحن نطوف حول الكعبة ، والكتاب شاق ومتعب .

ولا داعى لكل هذه الأدعيـة . . فـلا هى سنة ولا هى فـرض ، وإنمـا المطلوب أن يطوف الحـاج سبعة أشواط متوجهًا إلى الله بقلبه ومتأملا فى ملكوت الله وفى نفوسنا ويدعو الله بما يحضر فى ذهنه . . لا أكثر ولا أقل ! .

ولكن بعض الناس يخافون أن يفوتهم معنى ، ولذلك يلجئون إلى كتب مطبوعة أو أنهم يحفظون أدعية طويلة موزونة وجميلة ، ولكن أنا أفضل ألا أفتح فمى بكلمة ، وإنما أستحضر المعانى فى ذهنى وأتوجه إلى الله ، وهذا يكفى .

ولكن الدكتور البشرى يقول ويقول ونحن لامفر من أن نردد وراءه واتجهنا إلى «الصفا والمروة »والكتاب فى يده ، ولكنه اتجه إلى السياسة والحرب .

فقال : اللهم انصرنا على إسرائيل .

فقلت : اللهم انصرنا على إسرائيل .

- اللهم أدخلنا تل أبيب . .

- . . . . .

- اللهم أغرق اليهود فى البحر .

- . . . . .

وهنا توقف الفريق مرتجى معترضًا : يا أخى افرض إننا لم نستطع دخول تل أبيب . . ثم كيف ندخلها ؟ .

قال البشرى : ندخلها . .

- افرض إننا لم نستطع . .

- ولكن الله قادر على كل شىء .

- آمنت بالله . . لكن قواتنا لاتستطيع ، نحن نطلب من الله . . الشىء المعقول . .

- هل صعب على الله ؟ .

- ياسيدى ليس صعبًا عليه . . ولكن صعب علينا . . ولن يدخلنا الله إسرائيل إلا إذا كنا قادرين على ذلك ، نحن غير قادرين . .

- ولكن الله قادر .

- آمنت بالله . . نحن الذين سندخل أو الذين لن يدخلوا . . إسرائيل فلماذا نطلب من الله شيئًا سخيفًا ؟ لماذا نحرص على أن نبدو مغفلين بلهاء أمام الله . .

- شىء عجيب يا أخى . . هل لو طلبت من الله أن يجعل جبل المقطم ذهبًا وبحيرة المنزلة بترولاً . . هل هذا صعب على الله ؟ .

- ياسيدى ليس صعبًا ولكنه لن يحدث ، لأن كل شىء له منطق ، وربنا جعل المنطق هو أساس الكون وأساس التفكير

الإنسانى . . ولأن كل شىء بالعقل ، فلا يوجد سبب واحد يجعل المقطم ذهبًا . . والدعاء هنا لايجعل المقطم من الذهب وماء المنزلة من البترول ، ولن يحدث ، فلماذا نطلب من الله ذلك ؟ ثم إننا هنا نرفض هدية الله لنا : العقل ! إنها إهانة نوجهها إلى الحكمة الإلهية فى هذا المكان المقدس ! .

وسألنا الدكتور البشرى : وأنت ما رأيك ؟ .

- أنا مع العقل ! .

- أنا المجنون وحدى ؟ .

- أنت لست مجنونًا ولكن تجاوزت حدودك . . وتعلقت بالآمال الوهمية والخرافات . .

- النصر خرافة ؟ .

- إذا كان عن طريق الدعاء فهو خرافة . . تمامًا كما فعل عرابى باشا الذى ظل رجاله فى حلقات الذكر يدعون الله ويلعنون الإنجليز حتى طلع عليهم النهار مرهقين متعبين فهزمهم الإنجليز ! .

- يعنى إيه ؟ يعنى لانطلب من الله شيئا ؟ .

- تطلب من الله ماهو معقول . . تطلب إليه أن يساعدنا بشرط أن نساعد أنفسنا . . أن نستعد وأن نتدرب وأن نتوكل على الله . . فلن يحارب لنا أحد . . نحن الذين نحارب ونحن سبب الهزيمة وسبب النصر . .

وافترقنا . . وأكمل كل واحد منا السعى بين الصفا والمروة وحده . . يدعو ويتوجه إلى الله بما يريد . . وبما لانعرف . .

وفى طريق العودة إلى مصر جلست مع الصديقين : وأشعل واحد منهما سيجارة وقال :

من الذى جعل الكبريت يحترق والسيجارة تشتعل ؟ . إنه الله فقد أودع فى الأشياء هذه الخواص ، وعلمنا ذلك ، فلا أطلب منه أن يتفجر الماء من عود الكبريت وأن تشتعل السيجارة من تلقاء نفسها . . إن هذا الطلب الغريب الشاذ يتنافى مع حكمة الله التى أودعها فى كل ذرة من ذرات الكون ! صح ؟ .

- صح .

- إذن إذا طلبت من الله أن يجعل السحاب بطاطس . . ويجعل الطائرة باخرة ، طلب غريب وعجيب . . هلوسة . . هلوسة أن تقول ذلك وجنون أن نتوقع ذلك ، صح ؟ .

- صح ! .

وتعالت الأصوات وراءنا . . إنهما صديقان آخران ، والتفت كل الناس إليهما واقتربت وسألت فقال أحدهما : أنت لاتعرف ماذا حدث ؟ إن فلانًا قد طلب من الله أن يمسح الأرض بالعرب لأنهم كسالى ولأنهم لايستحقون إلا الهزيمة لأنهم مفككون ومنحلون . . فهل هذا يصح ؟ .

- ولكن ما الذى حدث للعرب ؟ .

- لاشىء .

- نفرض أن الله قبل هذه الدعوة .

- ياسيدى هذه الدعوة غير مقبولة والله لايقبل إلا ما هو معقول ، هذه حكمته التى تعلمناها .

- ولكن سيدنا نوح - عليه السلام - دعا على أهله وقال :

﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ . . فاستجاب له وأغرق الأرض ومن عليها . . ونجا نوح وأولاده . .

- آمنت بالله . . ولكن هذا سيدنا نوح الذى أنطقه الله بما يريد . . فهل صاحبك هذا نوح ؟!

- لا .

- خلاص يا أخى .

- يعنى إيه ؟

- يعنى اسكت ؟

- سكت !

* * *

لابد أن الأمير «تشارلز» كان سعيدًا للطبل والزمر الذى أوجع دماغه وأذنه فى إمبابة . . فالناس يهللون وهو لا يفهم . . ويطبلون وهو لا يسمع . . والأفواه مفتوحة والعيون لامعة حمراء ولابد أن أحدًا ترجم له هذا الذى حدث . .

ولم يحدث أن قابله أحد بهذه الصورة المفرحة فى كل البلاد التى زارها .

المهم أن الأمير كان سعيدًا ، وإن كانت نظرته للأحياء فى إمبابة مثل نظرته إلى الأموات فى المتحف المصرى . . فليست على وجهه أية معالم ، لا هو مبسوط ولا هو متضايق . . ولكنه أمير . . ومن مظاهر الإمارة أن تكون محايدًا بين العواطف ، فلا أنت سعيد ولا أنت تعيس ، وإنما أنت وسط بين كل الأشياء ! .

وقد يفكر الأمير عند عودته إلى لندن أن فرحة الناس به سببها أنهم قد كرهوا الأميرة «ديانا» . . وأنهم يشجعونه على أن يبعث بورقتها لزوجة أبيها التى تزوجت واحدًا أخر غير والدها بعد فترة حداد استغرقت ثلاثة أيام ، أو أن يبعث ورقتها لأمها التى انفصلت عن والدها بعد خناقة بشعة على السلم بين الزوج والزوجة . هى قالت له : أنت رجل خلبوص .

وهو قال لها : والله الحال من بعضه ، على الأقل أنا عرفت واحدة سوف أتزوجها ، أما أنت فليس معقولاً أن تتزوجى عشرين رجلاً ! .

وليست فرحة الناس بالأمير سببها إعجابهم بعشيقته القبيحة الدميمة «كاميلا» . . وهى التى علمته مبادئ الحياة الجنسية وأصول الحب والخيانة والعشق . . وهى السكين الذى غرسه فى قلب زوجته الأميرة ديانا عندما قال لها : إن أختك رفضتنى . . ولكن كاميلا هى التى اقترحت أن أتزوجك أنت . . فأنت قد تدربت على الجلوس الطويل لأطفال وأنت ست بيت .

فسألته الأميرة : وَمنْ كاميلا ؟

- آه لم أقل لك . . إنها عشيقتى .

= لا تزال ؟ ! .

- مش بالضبط كده .

= يعنى إيه ؟ .

- يعنى أحياناً هى عشيقتى .

= يعنى هى عشيقتك ! طيب ياتشارلز ! .

- أعلى ما فى خيلك اركبيه . .

غلطة فظيعة من تشارلز لأن أسرة ديانا من أعرق العائلات الأرستقراطية فى بريطانيا . .

أعرق من أسرته . . وأنه ليس شيئًا كبيرًا فى حياتها !! .

وليس موقف أهل إمبابة من زيارة الأمير أنهم من أنصار كاميلا ومن أعداء ديانا . . ولا هم ضد النظام الملكى . . ولا هم قرءوا محاضرة الأمير تشارلز فى جامعة «كمبريدج» عن التسامح بين الأديان ! .

وأهل إمبابة لا يعرفون أن الأمير أعصابه حديد .. وأنه يعيش بلا أعصاب .. عندما حاول الاعتداء عليه واحد أسترالى انزعج الناس جميعًا إلا الأمير .. وكأن المعتدى ذبابة .. ولكن المعتدى لم يكن ذبابة ، ولكن الأمير هو الذى قطعة من الجليد !! .

ولذلك فالأمير لم يشعر بأى شىء حدث فى إمبابة .. يعنى باختصار ليس واضحًا إن كانت جماهير إمبابة مع الوفاء الزوجى ، أو الخيانة الزوجية .. ولا هم مع الزواج ولا هم مع الطلاق .. ولا هم مع النظام الملكى ولا مع النظام الجمهورى ..

وإنما هى عادة سيئة أن نستقبل الأجانب وخاصة إذا كانوا خواجات بالأفراح والليالى الملاح .. والناس لا يعرفون من هو الأمير ولا لماذا جاء .. وهذا ما حدث بالضبط عندما دخلت القوات البريطانية الإسكندرية لطرد القوات الفرنسية !! .

ومن قبل ازدحمت شوارع القاهرة باستقبال الرئيس الفرنسى «چيسكار ديستان» وهم لا يعرفون سبب زيارته .. ولا حتى من هو فقد كانوا يهتفون : يحيا الرئيس ديكسان!

وفرق كبير من ديستان وديكسان . فديكسان نوع من المبيدات الحشرية أو المواد المخصبة للتربة .. المهم أنه ليس رئيسًا لجمهورية فرنسا الذى جاء زائرًا لمصر ! .. مرة واحدة صدقت الجماهير فى فرحتها . يوم جاء الرئيس الأمريكى نيكسون فى أعقاب انتصارات أكتوبر .. لقد خرجت رياض الأطفال والمدارس وكل الناس تحيى الرئيس الأمريكى .. بعد أن انتصرنا وأملاً فى السلام ! .

ولم يفلت الرئيس الأمريكى من لعنة الفراعنة ، فلم يكد يعود إلى بلاده حتى أخرجوه من البيت الأبيض بتهمة التجسس على خصومه السياسيين . . وخرج الرئيس الأمريكى الذى هو من أحسن رؤساء أمريكا وأوسعهم أفقًا . . وإن شاء الله عندما يعود الأمير تشارلز إلى بلاده سوف تلاحقه لعنة الفراعنة هو وعشيقته واللى خلفوه أيضا ! .

وبعد أن غادر الأمير تشارلز مشارف إمبابة بسلامة الله تساءل بعض الواقفين : هو إيه الحكاية ؟ .

- ده شارلى . .

= شارلى مين ؟ .

- شارلى شابلن . .

= ده شارلى شابلن مات من زمان .

- أيوه ما هو ده ابنه . .

= وجاء ليه ؟ .

- جاء يفتح سينما ديانا . .

= فين ؟ .

- هنا . .

= هنا فين ؟ .

- فى مصر . .

= وإحنا فى إمبابة مالنا ؟ .

- مالنا إزاى . . إمبابة قطعة من مصر . . واللى يفرح مصر يفرح أهالى إمبابة . . ما تبطلوا حركات انفصالية بقى . .

= والسينما دى فين ؟

- لسه . . ! ده جاى يحط حجر الأساس . .

= حجر الأساس . . حلنا بقى ! .

- طول عمرك متشائم . . افرض أن السينما دى لن ترى الوجود . . يكفى أن ابن شارلى شابلن حسن النية ! .

= ما دام هو حسن النية . . يعنى فى نيته يبنى سينما . . طيب مش كان أكرم لنا إننا نقف بلا طبل وزمر . . ويكفى أننا إحنا كمان عندنا حسن نية . .

- طيب يعنى نقوم نلم صوت الطبل والزمر إزاى . . إزاى نلم الصدى ؟ .

= ده بيقول لك أمير إنجليزى . .

- أمير . . بمصر . . أهم كلهم خواجات ! .

* * *

ابتزاز الكبار !

هناك مثل عربى قديم يقول : تجوع الحرة ولا تأكل بفتنتها !

ولكن صاحب هذا المثل لم يدرك عصر السينما والتليفزيون والمخابرات . . حيث لا تجوع المرأة .

والحديد يذوب ، والجليد أيضًا ، أمام : السلطة والفتنة والمال ! .

وهى بديهيات عرفها الذين اخترعوا المخابرات من النساء . أول من اخترع هذا السلاح الناعم الرقيق الجميل ، القاتل أيضًا : الأمير «مترنيخ» وزير خارجية النمسا ، وأستاذ أساتذة الدبلوماسية فى القرن التاسع عشر فى أوروبا . فقد كانت مدينة «ڤيينا» هى مركز الجواسيس . وكانت الجاسوسات من الحسناوات يبعن السلطة والفتنة ، ويتقاضين المال عن المعلومات التى تتساقط من ضعف الرجال الأغنياء والأقوياء فى ليالى ڤيينا . .

وأعلنت بريطانيا أخيرًا أن رئيسة المخابرات سيدة جميلة .

وأعلنت السيدة الجميلة أن أكثر العاملين معها من النساء الجميلات أيضًا .

وأنه ليس أقدر من المرأة على استدراج أقوى الرجال إلى شراكها ، لجمع المعلومات وكشف المؤامرات .

فما الذى تبيعه المرأة ، وما الذى تشتريه؟ إنها تبيع الجمال بالمال . وتبيع المعلومات أيضًا .

وفى السنوات الأخيرة فوجئت أوروبا بعدد من النساء المغامرات، يبعن مذكراتهن. وفى المذكرات يروين فضائح الناس الكبار، من الوزراء والرؤساء. ففى أمريكا وحدها استدرجت الصحف والمجلات مغامرات فتيات يدعين أنهن كن على علاقة مع الرئيس الأمريكى «بيل كلينتون». والفتيات يحكين، والصحف والتليفزيون يدفع.

وفى بريطانيا سقط أكثر من وزير، والسبب فتيات صغيرات جميلات، لهن مغامرات، وللمغامرات ثمن. والثمن ليس كبيرًا دائمًا. ولكن البنات لا يترددن لحظة فى أن يقلن ويفضحن ويقبضن الألوف. فلماذا ؟!.

وقد باعت الممثلة الكبيرة «ريتا هيوارث» مذكراتها. فقد احتاجت «ريتا هيوارث» إلى المال لأنها أدمنت المخدرات..

والممثلة الجميلة النمساوية الأصل «هيدى لامار» باعت مذكراتها العاطفية، وكان لها أسلوب آخر. فهى تذهب إلى عشاقها القدامى وتقول: كم تدفع إذا لم أذكر اسمك فى مذكراتى..؟.

وبعضهم كان يدفع الكثير حتى لا يرد اسمه، وحتى لا تكون فضيحة له ولأولاده وزوجته ومؤسسته. أما السبب الآخر فهو أن «هيدى لامار» قد أدمنت أشياء كثيرة ولم تعد تجد المال الذى يكفى لكل ذلك!.

كما أن «هيدى لامار» ذهبت إلى أغنياء لاتعرفهم ولايعرفونها، وهددتهم إن هم لم يدفعوا، فلم يدفعوا، فكانت الفضائح الكبرى وكان الصراع على جمع الكتب من المكتبات!.

وأول رجل انهار أمام الشباب والجمال وزير الدفاع البريطانى سنة ١٩٦٣ واسمه «جون بروفميو» . . وكان ضحية لمؤامرة روسية . فقد دفعوا إليه بفتاة إنجليزية جميلة . هذه الفتاة كانت صديقة للملحق العسكرى الروسى . وسقط الوزير وانهارت وراءه وزارة الدفاع والوزارة . وباعت الفتاة مذكراتها . وفى المذكرات قالت مالا يقال ، وتدخلت المخابرات البريطانية وهددتها بالقتل فورًا . . ولم تمنعها من نشر مذكراتها ، وإنما حذفت منها كل ما له علاقة بالأمن القومى البريطانى . . فلماذا هذه المذكرات ؟ .

لأن الفتاة تريد أن تكون معروفة ، مشهورة ، وأن تؤكد ذاتها . . فهى ولا شكل ولاقيمة لها ، تريد أن تكون ذات قيمة . وأن تؤكد لزوجة الرجل الضحية أنها ليست زوجته المفضلة ، ولكنها أخطر وأهم ، بدليل أنه ترك من أجلها الزوجة واتجه إليها رغم ما فى ذلك من خطورة .

ثم إن الفتاة تريد أن تنتقم من الرجل الذى هرب منها . . تريد أن تهدمه ، لأنه هدمها ، وضحى بها فى أول مناسبة . . وعلى الرغم من أنه كان يخضع ويتذلل لها ، لكن عندما جاءت لحظة أن يختار بينها وبين الزوجة اختار الزوجة . فلابد من الانتقام وانتقمت ! .

ولأن وراء هؤلاء الفتيات الخطيرات دورًا للنشر وصحفًا . ولأن دور النشر والصحف تريد أن تكسب من نشر الفضائح ، وأن تؤكد قدرتها على معرفة الأسرار وكشفها ، مهما كان صاحب المغامرة وزيًرا أو أميًرا ، ثم إن دور النشر تدفع للفتيات بعد ذلك . .

* * *

الكبار وحكاياتهم الصغيرة!

سألت د . طه حسين : هل صحيح توفيق الحكيم بخيل ؟

فضحك طه حسين ضحكته المعروفة التى هى مثل ضحكة «ڤولتير» - فيها سخرية هادئة عميقة . . وفيها تمهيد لما يريد أن يقول بعد ذلك - واقتربت منه لكى أسمع ما سوف يقول . قال : أخونا توفيق ليس بخيلاً ولكنه يحب أن يتحدث عنه الناس بأى شىء !

سألت الأستاذ العقاد عن بخل توفيق الحكيم . فكانت له ضحكة من أعماقه . - ولابد أن يقول - فقال : إن السيد توفيق الحكيم قد سرق منى البيريه ! .

فتوفيق الحكيم وحسين فوزى ويوسف جوهر وصلاح چاهين جميعهم يرتدون البيريه . . أما العقاد فيرى أنه أول من ارتدى البيريه . ثم انقطع عنها فلبسها توفيق الحكيم . ولم ينقطع عن ذلك فظن الناس أنه أول من ارتدى البيريه ! .

ولكن وإيه يعنى لو كان الحكيم الأول أو كان الأخير . ولكنهم الأدباء الكبار يتنافسون فيما بينهم على أشياء صغيرة . ولما نشرت الصحف أن الحكيم قد سبق د . حسين فوزى فى ارتداء البيريه ، ولم يقل الحكيم : إن العقاد قد سبقه إلى ذلك ! .

أما بخل توفيق الحكيم ففيه شىء كثير من الصحة . ولكن الحكيم يحب أن يكون موضوعًا للحديث وللنكت ، بل إنه ساعد

على ذلك كـثـيـرًا جـداً . ولنا حكايات ونوادر عن بخل توفـيق الحكيم .

وأذكر أن جريدة (الأهرام) قد أقامت له احتفالاً بعيد ميلاده . والتـفـفنا حـول توفـيق الحكيم نروى حكايات عن بخله ، فكان أسخف احتفال بعيـد ميلاد فنان عظيم ! أردنا أن نداعبه فأسأنا إليه . ولم نذكـر له من صفات إلا أنه رجل بخيل ، وأنه يتحايل على الأصدقاء ألا يشربوا القهوة إلا فى مكتب نجيب محفوظ قبل أن يجيئوا إلى مكتبه ! .

ولذلك طلبت ألا يذاع هذا الاحتفال الذى كان إدانة لنا ، لأننا لم نر من الفنان والمفكر الكبير توفيق إلا أنه رجل بخيل ! .

والحـقـيـقـة أنه لم يكـن كـذلك ، فـحـالة توفـيق الحكيم المـاليـة ليست أحسن حـال . فهو لا يكسب إلا القليل من كتبه . ثم إن أعماله الفنية لم تتحول كلها إلى المسرح أو السينما أو التليفزيون مثل إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ ويوسف السباعى . .

ولكن أحـدًا : لم يقل عن العـقـاد : إنه بخـيل - ولا يجـرؤ - فدخل العقاد من كتبه فقط . فلم يكن موظفًا فى الدولة . وليست له موارد أخرى . وعندما توفى العقاد وجدنا فى خزانة صغيرة فى غرفة نومه قائمة بأسماء عدد من الأصدقاء والأدباء الفقراء . وقد جعل لهم العقاد مكافأة شهرية . المكافأة متواضعة . ولكن لابد أن هذه المكافأة لها أهمية حيوية عندهم . ولم يكن فى استطاعة العقاد أن يعطى أكثر ، لأنه لا يأخذ من كتبه إلا القليل . حتى هذا القليل كان يوزعه على الكثيرين من المحـتـاجين إلى أقل

القليل . فإن كان بخيلاً ، فليس إلا لعجزه أن يكون كريمًا - حتى لو كان راغبًا فى ذلك ! .

والعقاد مثل أمير الشعراء شوقى ومثل محمود تيمور من أصل كردى ، فهو رجل سنى ، ولكن العقاد قال لى : إنه يريد أن يؤلف دراسة موضوعية عن المذهب الشيعى . . فقد أدخلت عليه أكاذيب أفسدت صورته عند كثير من الناس . ولم يتسع عمره لأن يكتب هذا الكتاب ، ولأن يفسر بعض سور القرآن الكريم ، وخاصة الرحمن وهود والأنبياء - لماذا هذه السور بالذات ؟ لا أعرف ، ولكن هذا ما قاله لى . ، فسارعت ونقلت هذه الرغبة إلى د . عبد القادر حاتم الذى كان وزيرًا للإعلام ومسئولاً عن الإذاعة والتليفزيون ،وأسعده ذلك ووعد بألوف الجنيهات . . ولكن الموت كان أسبق . يرحم الله آباءنا الكبار ، فقد كانت لهم حكايات صغيرة ! .

* * *

جلست على عرش الطاوس !

أنا جلست على عرش الطاوس ، أى عرش الإمبراطور الإيرانى . وعندى صورة بالألوان لذلك ! .

ولكن لا معنى لهذه الصورة . فقد كان القصر خاليًا . وكنا ضيوفًا على الإمبراطور «شاهنشاه أريا مهرى» - أى ملك الملوك سيد الآريين - وتلفت حولى فلم أجد إلا بعض الزملاء رؤساء تحرير الصحف المصرية وتسللت إلى كرسى العرش . . وملمسه بارد . . جاف . . صغير . . ونظرت إليه . . إنه تحفة فنية ، ولكن من أجل الوصول إلى هذا الكرسى ، والحرص عليه بعد ذلك ، قامت حروب وسالت دماء . . وأمام هذا العرش انحنت وانكسرت رءوس مخلصة ومنافقة . ولا قيمة لهذا العرش إلا فى هذه البلاد ، وإلا بالجالس عليه . . فلو جلس عليه الحارس لكان حارسًا قليل الأدب . . ولو جلس عليه السائح ، لكان سائحًا عنده حب استطلاع شديد . .

واقتربت من عرش الطاوس بألوانه الزرقاء بدرجاتها اللونية . . وهناك فصوص من الماس وشعيرات من الذهب . . لا أعرف كم تساوى ماديًا . . ولكنه معنوياً يساوى البلاد كلها ، والكرامة والعزة والماضى والحاضر والمستقبل .

وجلست على عرش الطاوس . . بارد جاف . . ليس مريحًا ولا هو مقعد وإنما هو «خازوق» لن تجلس عليه ولا أمل لمن يريد ذلك . . والإمبراطور كان يجلس عليه أحيانًا ، ولكن لا يستطيع أن يحشر نفسه فى هذا المقعد الضيق الناشف إلا بعض الوقت ، ويكون قد ارتدى الذهب حريرًا والحرير ذهبًا ووضع على رأسه التاج الماسى الذهبى ، وكذلك زوجته والأمراء . ومن ورائه الوزراء . ومن ورائهم النبلاء والقادة ، والشعب يرى وينتشى . .

وقد رأيت شاه إيران وقد جلس على هذا العرش قبل ذلك . وتساءلت : كيف يكون العرش ؟ ومن أية مادة ؟ وأين يذهب هذا الكرسى بعد ذلك ؟ وكم ألف جندى يحرسونه ؟

ولم أجد جندياً واحدًا يحرس عرش الطاووس . فالعرش ليس مقعدًا ، ففى استطاعة الإمبراطور أن يصنع ألف مقعد مثله فى أى وقت . ولكن العرش معنى وكرامة وعزة . .

ولذلك لم أشعر بكل هذه المعانى عندما جلست . وإنما هو مجرد كرسى غير مريح . والصورة التى أحتفظ بها أكبر دليل على سوء الفهم وسوء التقدير . . فلا أنا ملك ولن أكون . وما دمت لست ملكا ، فليس هذا عرشًا .

فما الذى حدث بالضبط ؟ .

ولا حاجة . . طلع فى دماغى أن أجلس . فجلست ، وخجلت من ذلك . فلم أنشر الصورة مع هذا المقال ، ولا مع أى مقال آخر ! .

* * *

كامل الشناوى :
بركان النكت !

لم نعرف فى حياتنا الصحفية من هو أخف دمًا من كامل الشناوى . ولم يساعدنا فى حياتنا الصحفية أحد كما ساعدنا كامل الشناوى . وجيلى من الصحفيين والأدباء والفنانين يدينون بالفضل الأول لكامل الشناوى . فأنا عملت معه فى (الجريدة المسائية) سنة ١٩٥٠ . وعندما أغلقت ذهبت معه إلى (الأهرام)من سنة ١٩٥٢ لتعمل فى إصدار جريدة (الأخبار) . . وفى كل هذه السنوات كان كامل الشناوى الأخ والأب والصديق والأستاذ . . هو الذى يطلب لنا العلاوة والمكافأة والأجازة وتعديل الأوضاع . . وكان الجلوس إليه أكبر متعة فى حياتنا الصحفية . . فهو بركان النكت والقفشات والشائعات والأخبار . .

وتبدأ سهراته فى التاسعة مساء حتى طلوع شمس كل يوم . وهذه هى الصعوبة الوحيدة فى صداقة كامل الشناوى . فأنا لا أستطيع أن أجاريه . وكثيرون لا يستطيعون . وكان يغضب . وكنا نتساقط من الإعياء . . أما هو فيشرب القهوة طوال الليل ، فإذا ذهب إلى الفراش عند شروق الشمس يبدأ فى ابتلاع الحبوب المنومة . . فهو ينام بقوة الحبوب ويصحو بقوة القهوة . فحياته كلها بالقوة . . بالإكراه . . إكراه نفسه على اليقظة وإكراهها على

النوم أيضًا وإكراهنا نحن على مجاراته وإلا غضب . . وكان غضبه يضايقنا جدا ، فلا أحد يريد إغضابه . لأنه رجل يحب كل الناس ، جاهز لمساعدة جميع الناس من كل دين ولون . .

وكان كامل الشناوى يفرض علينا غرامياته . فهو كان يحب نور الهدى ونجاة بعدها وفايزة أحمد . . وغيرهن . فمن الواجب أن نكتب عنهن وأن ننشر صورهن عمال على بطال . وليس عندنا إلا سبب واحد : إن كامل الشناوى يريد ذلك . . ونحن نتنافس جميعًا على إرضائه ! .

وفى يوم من سنة ١٩٦٠ طلب منى ألا أنشر طلاق نجاة الصغيرة من زوجها . . لا داعى . وكنت وقتها رئيسًا لتحرير مجلة (الجيل) وكان نائبى أحمد رجب . وسافرت فى أجازة إلى أوروبا ، ونسيت أن أنبه أحمد رجب إلى عدم نشر خبر طلاق نجاة الصغيرة ، مع أن طلاقها خبر صحفى ولا بد من الكتابة عنه ونشر صورها . ونشر أحمد رجب صفحات كاملة عن نجاة وزواجها وطلاقها والشائعات عن زواج جديد . وأنا لم أر مجلة (الجيل) . ولما عدت إلى مصر اتصلت بكامل الشناوى ووجدته غاضبًا ، ولم يقل لى السبب ، وسألت أحمد رجب ، وعرفت الكارثة وكان الخصام بيننا طويلاً ، فقد أيقن كامل الشناوى أنى تعمدت هذا المقلب وأن . . وأن . . .

وحاولت أن أصالحه ، وأن أكشف له حقيقة ما حدث . . ولكنه لم يصدقنى ، ولم أعرف ما الذى أفعله . . وتركت ذلك للزمن واختفيت من ندوات وسهرات كامل الشناوى ، وكان حزنى

عظيمًا ، وحكيت لعبد الحليم حافظ ما حدث وحكيت لمحمد عبد الوهاب .

وفى يوم وجدت كامل الشناوى يطلبنى فى البيت ويقول لى : أنا فى انتظارك ، سوف نذهب معًا للغداء عند محمد عبد الوهاب . .

وكانت سعادتى بالغة ، وطرت من الفرحة ، لقد عدت وعاد . فلا أستطيع أن أغضب كامل ، وهو لا يحب أن يغضبنى . فنحن جميعًا محبوه وعشاقه وأصدقاؤه الذين نمتن له كثيرًا وعميقًا .

وفى الطريق إلى بيت محمد عبد الوهاب توقفنا فى ميدان . ونزلت معه ، وصعدنا إلى الدور السادس ، وانفتح الباب . ودفعنى أمامه . . . دون أن أسأله . وإن كنت أعرف مقدمًا أنه مقلب . وأن هذا المقلب عقوبة أستحقها . ولم أناقش . وكنت موافقًا على أى تصرف لكامل الشناوى . . ودفعنى أمامه ووجدتنى فى غرفة ، وفى الغرفة كانت نجاة الصغيرة نائمة . ومنديلها فى يدها على أنفها . . آه . . مزكومة يعنى ! .

وهنا أدركت مقلب كامل الشناوى ، فسوف أسلم عليها وتنقل إلى أنفى عدوى الأنفلونزا . وألزم البيت عدة أيام ، ويروى كامل الشناوى هذه الحكاية لكل الناس وتصبح حديث القاهرة وبيروت فى ليلة واحدة . ومددت يدًا مرتجفة وسلمت على نجاة الصغيرة . . وعطسَت . . وعطسْت ، انتهى المقلب ، ولم يكن هناك طبعًا أى داع لأن نذهب إلى محمد عبد الوهاب ، فلو رآنى مزكومًا لترك لنا البيت . .

وبسـرعـة ذهبت إلى إحـدى الصـيـدليـات وأخـذت حـقنة «نوفـالچـين» وتناولت الأسـبـرين وعـدت إلى تحت اللحـاف فى البيت خمسة أيام ، وكامل الشناوى يضحك والقاهرة كلها ! .

وبعـدها بأسـبـوع لم يكتف كـامل الشناوى بذلك . . فـقـد كنا نتناول عشاءنا عند فاتن حمامة عندما همس فى أذن عبد الحليم حافظ الذى همس فى أذن محمد عبد الوهاب الذى دخل الغرفة ومعه التليفون . . وترك كل الضيوف المكان إلا أنا .

وسألت فاتن حمامة : إيه الحكاية ؟ .

ضـحكت وقـالت لى : عبـد الحليم قـال لعبـد الوهاب : إنك مزكوم ، فهو يبحث عن أحد لكى يوصله إلى البيت ! .

- أنا لست مزكوماً . .

= قل له أنت .

قلت لـه . . ولم يقتنع ، واقـتـرح أن أسـبـقه إلى تحت وأن أفـتح باب السـيـارة لأنه سـوف ينام فى الكرسى الخلفى . . ونزلت ووجـدته خـارجًـا من الأسـانسـيـر الآخـر . فناداني وقـال لى : اسـمع . . تعالَ . . قرب . . اجعل ظهرك ملتصقًا فى ظهرى وقل ورائى : من منكم محمد محمود .

فقلت : من منكم محمد محمود ! .

فقال : لا . . لست مزكومًا . . أنت نطقت حرف الميم نطقًا صحيحًا ! .

* * *

قل لى : يا كافر !

قال الشاعر القديم : حتى على الموت لا أخلو من الحسد !

فالدنيا مقلوبة على ما أصاب د . «نصر أبو زيد» الذى اتهموه بأنه مرتد . . فذهبوا إلى المحكمة فحكم القاضى بالتفريق بينه وبين زوجته ! .

فهو مرتد ، ومادامت زوجته مسلمة فممنوع أن تكون المسلمة زوجة لرجل كافر .

يعنى هو كافر ، ويمكن لأى إنسان أن يقتله ويدخل فيه الجنة . . والزوجة تعتبر زانية لأنها تعيش فى بيت رجل لم يعد زوجها . ولكن الدكتور أبو زيد يقول : إنه ليس كافرًا . . والزوجة لم تأخذ بحكم القاضى وقررت أن تبقى مع زوجها . . وعلاج الموقف أن يذهب د . أبو زيد إلى المحكمة وينطق بالشهادتين : أشهد ألا إله إلا الله . . وأشهد أن محمدًا رسول الله .

أى أنه تاب وأناب . وينتهى بذلك كل شىء . ويتزوج زوجته من جديد على سنة الله ورسوله ! .

ألوف الرجال والنساء يحسدون د . أبو زيد وزوجته ، فقد جاء لهما الطلاق من السماء . وينصحون د . أبو زيد أن ينفذ حكم

المحكمة . . بأن يترك زوجته وأن يذهب إلى المحكمة ويعلن توبته . . ويتزوج واحدة أخرى ، فإذا لم تعجبه الزوجة شجع أساتذة آخرين على اتهامه بالكفر . . وينفصل عن زوجته . .

* * *

ويقال : إن مسيحياً قد ضاق بزوجته فأسلم ، فأصبحت مطلقة . ولكنها أسلمت فلما ذهبت إليه كمسلمة . قال لها : أنت جئت فى الديانة السمحة . . روحى طالقة بالتلاتة ! .

* * *

ويقال : إن رجلا له زوجة قبيحة جداً . فعاد إلى البيت فوجد رجلاً معها فى الفراش ، فترك الزوجة واتجه إلى الرجل وقال له : يا أخى أنا ومغصوب عليها ! .

* * *

يقال : إن الحاج عباس ذهب لأداء فريضة الحج فاصطحب زوجته لإلقاء الجمرات على إبليس . فلما فرغ من إلقاء الجمرات خلع حذاءه وألقاه فى وجه إبليس وهو يقول : الله يخرب بيتك ، كنت حتخلينى أطلق الست الأميرة الأمورة دى . . فاقترب منه أحد المصريين وسأل الحاج عباس : هيَه فين الست الأميرة الأمورة دى ؟ .

فأشار إليها الحاج عباس . فنظر إليها الرجل فوجدها قبيحة جداً ، فقال للحاج عباس : ياراجل اشكر إبليس . . اشكره ! .

* * *

زميلان كانا يدرسان فى أمريكا . وعادا إلى مصر . وبعد سنوات التقيا فواحد منهما قد تزوج واحدة شكلها كالعفريت ، والثانى تزوج واحدة كالقمر . .

فزوج القمر قال لزوج العفريت : إيه يا أخى اللى انت اتجوزتها دى ؟! .

فرد زوج العفريت : إيه . . أنا مش عايز حد يبص لها لأننى أريد أن أتفرغ للدراسة . . وأنت إليه اللى خلاك تتجوز واحدة جميلة هكذا ؟! . . فقال زوج القمر : اسمع أما أقول لك : أنا أفضل أشوف القمر مع ألف واحد ، على أن أرى العفريت لوحدى !

* * *

إحدى الزوجات على غير عادتها أقامت عيد ميلاد كبيرًا لزوجها ، ودعت له الكثير من الأصدقاء والأقارب . واندهش الزوج . ونظر إلى الحلوى والفواكه والهدية التى قدمتها الزوجة وثار وغضب ولم يملك نفسه أمام الناس وقال لها : إيه ده . . خربتى بيتى وكفرتينى فى عيشتى ! وصرخت الزوجة . . الحقوا . . زوجى كفر . . زوجى كفر . . المحكمة . . الطلاق . . . ألف نهار أبيض ! .

* * *

إذا كان أبغض الحلال عند الله الطلاق . . فإن أبغض الحلال عند الناس : الزواج ! .

* * *

وقف العالم النحوى الكبير أبو الأسود الدؤلى أمام الخليفة ينازع زوجته على حضانة طفل لها .

قال أبو الأسود : أنا حملته قبل أن تحمليه .

قالت الزوجة سليطة اللسان : أنت حملته خفيفًا وأنا حملته ثقيلاً ! .

فحكم الخليفة للزوجة التى خرجت ضاحكة تقول : إنه ليس ابنك ! .

فضحك أبو الأسود قائلاً : لا هو ابنى ولا أنت ابنة أبيك ! .

* * *

يقال : إن شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم رأى شاباً جالسًا حزينًا . وكان الشاب دميم الخلقة . . فنظر إليه حافظ إبراهيم وهو يقول : وأنت ما ذنبك . . لا تحزن يا ابنى إنها غلطة أبيك . . فهو لم يدفع مهرًا كبيرًا ! .

* * *

قال: تزوجنى أختك؟
قلت له: لا !

الأغنية السودانية الشعبية تقول : نهر النيل رأسه فى ناحية ، رجليه فى الناحية التانى ، فوقانى يروحوا فى داهية لو كان سيبوا التحتانى ! .

فلا حياة لنا إلا معًا . . فالنيل هو أبونا ، وهو الذى أهدانا الأرض التى نعيش عليها . . ولا يستطيع أحد أن يمسك سكينًا ويقطع شريان الحياة . . لأن هذا السكين يجب أن يكون طوله ألف كيلو متر . . فإذا كان السكين بهذا الطول فمن يكون هذا المارد الجبار الذى يستطيع أن يحمل السكين . . لا أحد يستطيع . . فلا يوجد هذا السكين ولايوجد هذا الجبار ، إذن هو قدرنا ألا ننفصل وألا يستطيع أحد أن يفصل بيننا . . ولذلك ، فالذى يحاوله البشير والترابى عبث ، وسوف نجتاز هذه الخيبة ويصبح كل هذا الذى يقال نكت بايخة . . وكلها شهور ونعتذر عن أخطائنا وخطايانا . .

أما أن الحكومة السودانية غلطانة فى حق شعب مصر وشعب السودان فلا شك فى ذلك . . ثم إن البشير والترابى يتوهمان أنهما قادران على حمل هذا السكين الجبار الذى يقطع شريان الحياة ، ليموت أهل الجنوب غرقًا ونموت نحن فى الشمال عطشًا . .

غلطان يا خيشة – أقصد يا بشير و يا ترابى ! .

لقد كانت لنا أيام جميلة فى الخرطوم . . أقصد كانت الليالى

بديعة . . فالدنيا حر نهارًا ولا يمكن أن يضحك أحد أو حتى يبتسم فى النهار . .

أذكر أنه فى أحد الأيام زارنى عدد كبير من الصحفيين والإذاعيين . . وهم أناس فى غاية الرقة وكلهم عشاق لمصر ولهم أقارب وأصدقاء وذكريات ، ولاحظت أن هؤلاء الأصدقاء قد جاءوا مبكرين . . وجلسوا وضحكوا طويلاً ، وكنت ضيفًا على الحكومة السودانية . . وكنت أنزل فى جناح كبير ، والجناح نصفان . . واحد أجلس فيه لتسجيل الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية . والنصف الآخر يجلس فيه الأصدقاء والصحفيون . . وطالت الأحاديث . . وطالت وتعبت وكان الأصدقاء يشربون البيرة . وكانت البيرة ممنوعة منعًا باتاً إلا بالنسبة للسياح الأجانب ، وأنا سائح أجنبى . .

إذن لقد جاءوا للزيارة والفرفشة أيضًا ، لا بأس فلا أستطيع أن أقول لأحد : لا تشرب ! .

وفى اليوم التالى اكتشفت الكارثة . . لقد شرب هؤلاء الأصدقاء أكثر من خمسين زجاجة بيرة ، يا خبر أسود ! .

طبعاً هذه البيرة لا تدفعها الدولة التى تحرم البيرة ، إذن لابد أن أدفعها أنا . .

وقلت للسفير المصرى : ماذا أفعل ؟ إنه مقلب ! .

وكان من رأى السفير أن أدفع أنا . . والفندق يعرف جيدًا أن الصحفيين هم الذين شربوا . .

وكان الجنيه المصرى فى ذلك الوقت يعادل عشرين جنيهًا سودانياً . . فالمبلغ بالجنيه المصرى لم يكن كبيرًا ! .

وفى استعلامات الفندق وجدت مشكلة أخرى : فقد جاء أحد المصريين وهمس فى أذنى ، وانزعجت جداً وسألته : ما الحل ؟

قال : ولا حاجة ، سيادتك تدفع . .

ودفعت ثمن صندوق من البيرة قد أخذه أحد الأصدقاء الظرفاء . . وادعى أننى طلبت هذا الصندوق لآخذه معى إلى القاهرة ؟! كيف ؟ ففى القاهرة أكبر مصانع البيرة فى الشرق الأوسط ؟! .

ولكنهم ظرفاء وأصدقاء ، ولياليهم بديعة وجلساتهم ممتعة فى السياسة والأدب والتاريخ وهموم المستقبل - مستقبلهم ومستقبلنا - معًا على ضفتى النيل ! .

قال لى صديق سودانى ظريف : يا أخى أنا لا أصدقكم عندما تقولون : إنه لا فرق بين مصرى وسودانى .

فقلت : لماذا ؟ .

قال : اسمع : ندخل فى الموضوع . . هل تزوجنى أختك ؟ .

قلت : لا . . هل تزوجنى أنت أختك ؟ .

قال : وأنا لن أزوجك أختى ؟ .

قلت : لماذا ؟ .

قال : ليست لى أخت . . وأنت ؟ .

قلت : وأنا أيضا . . ليس عندى أخت ! .

- هاها ! .

- ها ها ! .

وأسفت على ذلك !

فى القاهرة وقفنا حول زعيم البوسنة «عزت بوجوفيتش» ، وكلنا نقول عبارات متشابهة المعنى والألفاظ وطريقة الأداء . . وذلك بأن نقترب منه وننحنى ونسحب من الدم إلى وجوهنا ونقول بمزيج من الحماس والاحترام والأسى أيضًا : نحن معجبون جداً بما كتبتم عن الإسلام .

ثم نعود بعيدًا عن الرجل . . وكنت أنظر إلى وجه الرجل ولا شىء يبدو عليه ولا كأنه سمع ، وإذا استمع كأنه لم يفهم ، وإذا فهم فما قيمة هذا الذى قلناه له . فالرجل فى حرب مع الصرب والروس وأمريكا وكثير من الدول التى تعاونت فى القضاء على المسلمين . ثم أن هذا الرجل بدأ يكتب عن الفلسفة الإسلامية للشعوب الأوروبية . . يكتبها بالطرق الأوروبية . بالمنطق وبالعقل لكى يكون مفهومًا . ودخل السجن وخرج والقلم فى يده والألم فى قلبه والحزن قد جمد الدموع فى عينيه . ومسح كل المعانى من وجهه فصار تمثالاً رخامياً بارداً للزعيم البوسنى عزت بوجوفيتش ! .

وسألت : إن كان يعرف الإنجليزية . فقيل : ولغات أخرى كثيرة ! .

إذن فالذى قلناه له لا قيمة له . فهو ليس هنا . . إنه هناك فى

قلب المعركة . وإذا كان لنا كلام فليكن هناك . وليس المطلوب أن نقول فى القاهرة أو فى العواصم الإسلامية : ياجمالك يا حلاوتك ، يا عظمتك ، يا إسلامك . . وإنما أن نذهب إلى هناك . . وأن نحارب معه وإلى جواره . . فإن لم نذهب فلنبعث بالسلاح أو بالمال . .

أما حفلات الديوك الرومى والقصائد الشعرية بعد ذلك ، فلا قيمة لها ولا أهمية ، ولن تقدم جنديًا من البوسنة على جندى آخر من الصرب . . ولن ترد شرف الفتاة التى اعتدوا عليها . . والتى أطلقوا على ابنها غير الشرعى الكلاب لتنهش لحمه وعظمه ! .

وأحسست كأنى موفد من كل المسلمين لكى أعبر له عن أسفى وخجلى أيضًا . وخجلى من الكلام منظومًا أو منثورًا فاقتربت منه . . واقتربت أكثر وأمسكت ذراعيه وقلت : يا سيدى العزيز . . أعزك الله ونصرك على أعدائك هناك وعلى سلبية أشقائك هنا .

وفجأة ظهرت كل المعانى وتلونت وجنتا الرجل ودبت فيه الحياة ، وأحسست أنه ارتدى بدلة عسكرية وأخرج المسدسات من جيوبه والقنابل اليدوية وقال بمنتهى الوضوح والشجاعة - وكأنه أراد أن يخصنى وحدى بكل ما لديه من أسلحة فتاكة- فقال : كما ترى وتسمع ياسيدى ! .

ولم أجد ما أقوله . ولكن أضفت إلى خجلى منه ندمى على الذى فعلت ، وانتظرت من الأرض أن تنفتح وتبلعنى ، فلم تنفتح

وأغرقنى طوفان من العرق . وأذبت الدنيا حولى . ولم أجده ولم أجدنى أيضًا . ولم يساعدنى قلمى أن أسجل كلمة واحدة مما سمعت ومما قرأت ومما قالوا ومما قلت .

ومضت سنة وأكثر . ولم أجد الشجاعة فى أن أعترف بما حدث . وقرأت إهداء كتبه الزعيم البوسنى على أحد كتبه كتب يقول : دخلت السجن وكتبت . . . ولم أخرج من السجن حتى الآن . . ولولا أننى الآن لم أعد قادرًا لا على التفكير ولاعلى الكتابة ولا إهداء كتاب لأحد ؛ لقلت لك شيئًا آخر ! .

حتى عندما فكر فى أن يهدى أحد كتبه ، لم تسعفه الكلمات وإنما حاصره الألم والحزن ، لقد فهمت يا سيدى فأسفت وندمت ثم ندمت ، وما زلت كذلك ! .

* * *

خجل بلا حدود :
فى جوخمى مع العقاد وطه حسين !

شاءت الظروف القاسية أن أرى عددًا كبيرًا من الأعزاء فى ساعاتهم الأخيرة : أبى وأمى والعقاد وطه حسين وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ والسادات وإحسان عبد القدوس . ولكن كان أوقعهم وأوجعهم جميعًا : توفيق الحكيم . . فقد كان توفيق الحكيم ظريفًا لطيفًا . . كأنه أبوك أو أخوك أو صديقك أو زميلك . . فأنت مربوط به بشكل ما . وأنت سعيد بهذا الرباط والارتباط ، وتوفيق الحكيم مثل أسلوبه : سهل ، واضح ، يدخل قلبك وبسرعة يزغزغك فتضحك وتزداد حبّاً له . . .

زرته عندما كان مريضًا فى مستشفى (المقاولون العرب) . . ورأيت العصا فى يده . وكان شاحبًا ولكنه ممتع الحديث . وقدم لى مفاجأة أدبية نادرة . . فقد عثر على تكملة باللغة الفرنسية لمسرحية (فاوست) للشاعر الألمانى «جيته» . والمسرحية الفرنسية كتبها مصرى عاش فى الفيوم . . وهو حفيد غير شرعى للشاعر الألمانى العظيم . ولم أسمع عن شىء من مثل ذلك . . لا سمعت عن الحفيد غير الشرعى ولا عن أنه أديب ولا أنه عاش ومات فى الفيوم .

وقال لى توفيق الحكيم : أنا سوف أترك نسخة لزينب بنتى . . وأنت معك نسخة أمانة . . افعل بها ما تشاء بعد أن أموت ! .

أول مرة يتكلم توفيق الحكيم عن الموت بهذا الوضوح القاطع ! .

وذهبت إليه فى مستشفى (مصر الدولى) . وقد تمكن منه المرض . . وصبغ بالأصفر والأخضر وجهه . . وسحب الكثير من النور من عينيه وأبقى له على خفة الدم والذكاء . . وكنت أزوره كثيراً مع الفنان الكبير صلاح طاهر . . وكان قادرًا على أن يضحكنا أما هو فلم يكن قادرًا على الضحك . . وكان يقول ويسألنا : تفتكر أول سؤال سيوجهه الملائكة لى . . ما هو هذا السؤال ؟ هل تعرف ؟ .

- أبدًا .

- أنا أقول لك . . سوف يسألنى : هل لا تزال تثق فى أصدقائك؟ فأقول له : نعم . ويقول لى : هل أنت متأكد من حبهم لك ؟ . . وحزنهم على فراقك ؟ فأقول : أنا متأكد من ذلك . . ويعود يسألنى : وهل لديك دليل على ذلك ؟ هل تستطيع أن تثبت لى ذلك ؟ . . فأقول له : وإذا أثبتُّ لك ذلك فما هى الفائدة التى سوف أجنيها هنا فى الآخرة ؟ . فلا يرد الملاك ، لأنه عادة يسأل فقط ، وسوف أقول له : إن أصدقائى لشدة حبهم لى لن يتركونى وحدى . فيسألنى الملاك : هل صلاح طاهر وأنيس منصور سوف يلحقان بك لأنهما لا يستطيعان الحياة بعدك ؟ . . فأؤكد له أن هذا شعورى . . والآن أريد أن أعرف رأيكما . . هل أنا غلطان ؟ .

فقلت له : لا ياتوفيق بك ! .

فاتجه إلى صلاح طاهر وهو يقول : وأنت ؟ .

فيضحك صلاح طاهر ويسأله : أنت عاوزنا نموت حالاً دلوقت .. مش نعيط عليك شوية وبعدين ...

ويرد الحكيم قائلا : تعيط شوية وبعدين تنسى .. إذا كنت مخلصًا فاسبقنى أنت وأنيس وأنا جاى وراكم .. إن الميت لا يكذب ... وأنا ميت .

وكانت تأخذه الغيبوبة فيذهب بعيداً ، أو هى التى تذهب به بعيدًا حتى لا يرانا ولا نسمعه .. ثم يعود يكمل كلامه : أنا عارف صعوبة مثل هذا القرار . ولكن أنا عاوز كلمة شرف .. أن تلحقا بى بأسرع وقت ممكن ، لا تتركانى وحدى مع طه حسين والعقاد فى جهنم ! .

ونقول معاً : حاضر يا توفيق بك .

تحية له فى ذكراه ... وكل نفس ذائقة الموت والخجل أيضا ! .

* * *

ليلى مراد ماتت يوم القيامة

ماتت «ليلى مراد» . . عاشت محبوبة وماتت محبوبة ، آه لو كانت ليلى مراد ماتت قبل اغتيال «رابين» ، لظلت إسرائيل تبكيها ليلاً ونهارًا ، ولكنها ماتت فى أيام الأحزان والحداد على إسحاق رابين وعلى الصورة اليهودية التى رسمتها إسرائيل لنفسها وأبنائها فى الدنيا . . هذه الصورة ترجمتها : إن الشعب اليهودى مختلف عن كل شعوب الأرض . وإنه أكثر تمسكًا بالوصايا العشر التى نزلت على موسى عليه السلام . .

ومن أهم الوصايا : ألا يقتل أحدًا . . وخصوصًا ألا يقتل يهوديًا مثله . .

ولكن ليلى مراد اليهودية التى أسلمت ماتت فى أشد أيام اليهود سواداً وحزناً وهمّاً وغمّاً . .

ومصر أيضًا كانت فى أيام حداد على شهدائها فى سفارة باكستان . . فقد شاء المجرمون الذين هربوا من مصر وفشلوا فى اغتيال الرئيس مبارك وفشلوا فى الانتخابات فى الجزائر وسيلقون نفس الفشل الشنيع فى مصر ، فكان لابد أن يطلقوا فائض الرصاص على أبرياء مصريين وأبرياء باكستانيين وهى الدولة المسلمة التى سلمت السلطات المصرية عشرات من الإرهابيين لمحاكمتهم فى مصر . . وبعد ساعات من وفاة ليلى مراد وقع

زلزال فى مصر وإسرائيل وسوريا والأردن وشمال السعودية .. وسقطت بيوت وأزهقت أرواح تحت الأنقاض .

كأن ليلى مراد قد ماتت يوم القيامة فلم يدر بها أحد ..

وقد حدث للكثيرين من الأدباء والفنانين أن ماتوا مثلها ..

فالمنفلوطى مات يوم إطلاق الرصاص على سعد زغلول ، فلم يمش فى جنازته سوى ستة أشخاص .. والأديب الإنجليزى «هكسلى» مات يوم اغتيال «كيندى» ، فلم يعرف ذلك أحد إلا بعد سنة من وفاته ..

والعالم الأديب حسن عثمان مات يوم وفاة طه حسين ، فلم يتنبه لذلك أحد ..

والصحفى أحمد الألفى عطية مات يوم وفاة الأديب والشاعر كامل الشناوى ، فذهب الألفى إلى القبر وحيدًا ..

وكذلك ليلى مراد التى ولدت فى نفس السنة مع «جمال عبد الناصر» «والسادات» «وشاوشيسكو» والمستشار الألمانى «هيلموت شميث» والأديب الروسى «سولجنستين» والمطربة الأمريكية «آلا فتزجيرالد» ..

وليلى مراد تزوجت ثلاث مرات : أنور وجدى والمخرج فطين عبد الوهاب ووجيه أباظة ..

وهى من أسرة فنية . أخوها «منير مراد» كان ممثلاً وملحنًا ذكيًا ظريفًا . ولها أخت هاجرت إلى أمريكا هى «سميحة مراد» ، وقد ظهرت مرة واحدة على الشاشة ، ولم تنجح ، ولها أخت مطربة

مغربية الجنسية اسمها «ملك» أو «ملكة» . ولم نرها فى مصر فقد عاشت فى أمريكا اللاتينية . ولا أحد يعرف إن كانت هى الأخرى قد ماتت . .

أما عدد أغانى ليلى مراد فهى حوالى الألف أغنية ، والأفلام التى ظهرت فيها كبطلة فحوالى ٢٨ فيلمًا .

وكانت ليلى مراد تتقاضى أكبر أجر فى تاريخ السينما المصرية . وكان اشتراكها فى أى فيلم نجاحًا مؤكدًا . .

وعندما يؤرخون للأناقة والشياكة على الشاشة فلابد أن تكون ليلى مراد هى أشيك ممثلة عرفتها السينما . .

وكان محمد عبد الوهاب يصف ليلى مراد بأنها أكثر المطربات انضباطاً . فهى تلتزم بالمواعيد ولا تخرج عن الأداء اللحنى . وإنما تؤديه بالضبط كما أراد الملحن . بينما كثير من المطربين والمطربات يضيقون بالالتزام . وكثيرًا ما أدى ذلك بالمطرب إلى (النشاز) . .

وإذا كانت أم كلثوم هى سيدة الغناء العربى كله ، فإن ليلى مراد هى سيدة الغناء على الشاشة . .

وقبل وفاة ليلى مراد بثلاثين عامًا قررت أن تعتزل . فقد أحست أنها لم تعد قادرة على أن تواصل . . فقد تغيرت الدنيا وتغير ذوق المستمعين . ولذلك توقفت . وحاول كثيرون إعادتها إلى الميكروفون . ولكنها رفضت . وكذلك توقف كثير من الملحنين الذين كانوا يغنون أيضًا .

وأم كلثوم كانت لها توصيفات للمطربات . فكانت تقول : إن ليلى مراد صوتها مريح . . وشادية صوتها ظريف . . وفايزة أحمد صوتها متوحش . . وفيروز صوتها حرير . .

ولكن ليس لصوت أم كلثوم أى مثيل فى تاريخ الغناء العربى فى كل العصور . .

أذكر أن طلبتنى ليلى مراد وألحت فى أن نلتقى . حاولت أن أعرف لماذا ؟ ولكنها قالت : يا أخى مفاجأة . . أنت لا تحب المفاجآت ؟ . . والنبى لا انت جاى .

وذهبت للقائها . وجدت أخاها منير مراد وأخاها مراد وأختها سميحة . . أما الموضوع فدينى بحت . . لقد اختلفوا على تفسير بعض الشعائر اليهودية . ورأوا أن أفصل بينهم . واندهشت جداً . كيف أنهم لا يعرفون ؟ وإذا أرادوا أن يعرفوا فلماذا لا يلجئون إلى من هو أكثر علمًا بالديانة اليهودية . فأنا على علم بأشياء كثيرة ولكن لست عالمًا إلى هذه الدرجة . واختلفنا ، أنا كان لى رأى ، وكان لهم معًا رأى ، وقلت : إننى متأكد من معلوماتى .

وبعد أيام طلبتنى ليلى مراد لتقول لى : أنت على حق ونحن أيضًا على حق . .

وكان موضوع الخلاف هو الشموع التى توقد فى «عيد الشموع» هل تبدأ بسبع شموع ثم تصير واحدة ؟ . . أو تبدأ بالواحدة حتى تصبح سبعًا . . وكان من رأيى أن كل إنسان حر فى أن يبدأ

بالواحدة وينتهى بالسبع أو العكس . وكان من رأى ليلى وأختها أن البداية لابد أن تكون بالواحدة حتى تبلغ سبع شموع ! .

وجاءت الفتوى بأننا جميعًا على صواب . واندهشوا كيف أعرف ذلك ، واندهشت أنا كيف لا يعرفون ذلك وهم يهود ! .

ومرة ثانية حدثتنى ليلى مراد فقلت لها : عن إذنك يا ليلى .

قالت : فيه إيه ؟ .

قلت : أريد أن أضحك . .

فإذا لم أطلبك بعد خمس دقائق فاعلمى أننى مت من الضحك . . عن أذنك . .

وأقفلت التليفون .

وطلبتنى : يعنى ما متش ؟ .

- كنت حاموت

- ليه . .

- أنت فاكرة أنا مين . . أنت تطلبين منى أن أشترى مكتبة فلان المليونير اليهودى . . أنا لست غنياً إلى هذه الدرجة .

كل المطلوب هو خمسة آلاف جنيه . وتصبح هذه المكتبة ملكاً لك . .

لم أسمع كلامها . . لم أستطع فى ذلك الوقت . . فقد كان مرتبى ٢٨ جنيهًا من جريدة الأهرام ، ٢٠ جنيهًا من جريدة

«الأساس» ومرتبى كمدرس فى الجامعة ٢٠ جنيهًا وكان ذلك سنة ١٩٥٣ .

وكانت هذه واحدة من عشرات النكت التى اخترعتها ليلى مراد .. لكنها كانت ظريفة وبنت نكتة .. والناس يحبون صوتها وجلستها .. والتف حولها كثيرون ، أكثر من المقامرين الذين جعلوها تبيع كل ما لديها ...

وفى الموت يستوى الغنى والفقير ، ولكن يطول عمر الفنان .. فهى قد ماتت وسوف يبقى صوتها وصداها يتردد فى آذان مئات الملايين ! .

ماتت ليلى مراد بعد أن أراقت العيون كل ما فيها من دموع فى مصر وفى إسرائيل ! .

* * *

ودخلت بين البصلة وقشرتها !

نسيت أنه يوم جمعة .. ونسيت أن الناس فى السابعة صباحًا يكونون غرقانين فى النوم .. لكن لأننى أصحو فى الرابعة صباحًا ، فالساعة السابعة بالنسبة لى هى الظهيرة .. وكل الذى تذكرته هو أن زميلى وصديقى (مصطفى) يحب (سناء) ويريد أن يتزوجها .. وأنا أعرف سناء فهى جميلة ولطيفة ورقيقة وبلدياتى .. ومصطفى أيضًا . ولا أحد يعرف مدى حبه لها إلا أنا .. وأستطيع أن أقول لها وأعيد وأزيد فى أخلاقه وفلوسه وعائلته المشهورة فى المنصورة ..

ويدى على الجرس ، ولا أحد يرد .. ثم أعود أضغط على الباب . ومندهش جداً كيف أن أحدًا لا يفتح الباب بهذه السرعة . ونسيت أن الناس لا ينامون وراء الباب مباشرة إلا فى الريف عندما يكون البيت كله غرفة واحدة ! .

وسمعت نباح كلب صغير .. وأسعدنى أن أجد عندهم كلباً . فأنا أحب الكلاب ، وكلما عرفت الإنسان ازداد حبى للكلاب ! .

وظهرت الخادمة الصغيرة والنوم كأنه كيلو جرامًا من الحديد يتدلى من رموش عينيها .. فهى تحاول أن تفتح عينيها ولكنها لا تستطيع .. أما الكلب الصغير فقد صحا ولكنه ليس متماسكًا تمامًا .. كأن النوم يتساقط من عينى الخادمة وينزل فوق دماغ الكلب فهو يتألم ويتوجع ولا يرحب بالضيف الغريب .

ونظرت الخادمة تتساءل ، فقلت لها : قولى لها : زميلك فى الجامعة .

وتركت الباب مواربًا وغابت دقيقة .. اثنتين .. ثلاثاً .. وفتحت الباب دون أو تنطق بكلمة وبما معناه : اتفضل .. وتفضلت فوجدت البيت كله مغلقًا ورائحة النوم تهب من كل مكان .. واتجهت نحو أقرب غرفة على يدى اليمنى وفتحت الباب الذى لا يريد أن ينفتح وأضأت النور وجلست .. وانتظرت والكلمات فى دماغى .. أعيدها وأرتبها لكى أقنعها ..

وفجأة ظهرت والدة سناء : أهلا يا ابنى .. خير يا ابنى ! .

كل هذا وأنا لا أعرف أننى جئت مبكراً جداً يوم الجمعة .. فقلت ضاحكًا -كأن كل شىء عادى جداً- : أمال سناء فين ؟ .

– نايمة يا ابنى ..

– نايمة ؟ معقول ؟ .

– أنت عارف أن النهارده الجمعة ؟ ..

– آه .. يا خبر .. والله نسيت يا طانط .. أنا آسف جداً ..

– لا يا ابنى على إيه ؟ .

– طيب يا طانط أنا مش حاضيع وقتك .. أنا كنت جاى فى مهمة وعاوز سناء تكون موجودة ..

– خير يا ابنى ؟ .

– عاوز أخطب سناء ..

- تقوم تيجى يا ابنى الصبح بدرى كده .. مش يا ابنى لما تخلصوا ؟ .. انتو لسه قدامكم سنتين يا ابنى .. ومش ناخد رأيها ..

- هيه عارفة وموافقة .. أنا متأكد أنها حتوافق ..

- ومستعجلين على إيه يا ابنى ؟ .

- الحب بقى يا طانط ..

- حب ؟

- أيوه ، الكلية كلها عارفة ومتوقعة إن ده يحصل فى أى وقت .

- تحب أصحيها ..

- طبعاً ..

وذهبت والدة سناء وغابت خمس دقائق أو أكثر .. وجاء الشاى ومعه بعض الكيك ..

وظهرت سناء .. حلوه والله يا مصطفى ، حلال عليك يا عم ، هيه حلوة وانت طيب .. هى رقيقة وأنت كريم .. هى بنت ناس وأنت ابن الأكابر .. ويا بخت من وفق راسين فى الحلال .. يا بختى !

ونظرت سناء وراءها وهى تضحك وتقول لى : أنت مجنون ؟ . حد ييجى يوم الجمعة الساعة السابعة .. مش طالع نهار ..

- نسيت والله يا سناء أن النهارده الجمعة .. نسيت والله ..

- إيه ؟ فيه إيه ؟ .

- عاوز أوفق راسين فى الحلال .. وأنت عارفة اللى بيحب مستعجل وراكبه عفريت ..

– مش لسه قدامنا سنتين طوال عراض . . يعنى حنتجوز السنة دى . .

– مش مهم إمتى . . المهم إنك موافقة . .

– آه موافقة . .

– مبروك . .

– مبروك . .

– أمشى أنا يعنى . .

– والله العظيم أنت مجنون . . طيب استنى ماما . . وبابا كمان .

– ولا يهمونى فى حاجة . المهم أنت ! .

– طيب اشرب الشاى .

شربت الشاى والشربات وسمعت زغاريد الفرح . .

وخرجت . وذهبت مباشرة إلى مصطفى . . وكان يسكن أحقر مكان فى مصر كلها . . بل أحقر مكان فى العالم كله – بشهادة مؤسسة الصحة العالمية وأكثف مكان فى العالم من ناحية السكان بشهادة الإحصاء الدولية – إنه بولاق الدكرور ! .

أما لماذا اختار هذا المكان اللعين فلأنه قريب من الجامعة وهو يمشيه على رجليه ويصلى الفجر والظهر والعصر فى مسجد قريب جداً . .

ووجدت مصطفى وراء الباب فعلاً . لم يكد يسمع أصابعى على الباب حتى قال : أيوه جاى . .

وجاء وقال : أهلاً يا صباح الفل .. حماتك داعية لك .. عندنا فول بزيت السيرج اللى إحنا بنحبه فى بلادنا وليمون وخل وعيش طرى وجبنة فلاحى وبصل أخضر وبيض فى السمنة .. وبعد كده شاى بالعسل والنعناع الأخضر ..

– أهلا يا مصطفى ، والله أمك هيه اللى داعية لك .. بوس يا واد الإيد دى وكمان الإيد دى .. دلوقت قبل ما أدخل ..

وانحنى على يدى هذه وباسها ، وعلى يدى الأخرى وباسها وقبلة ثالثة على جبينى وقال لى : إيه الحكاية ؟ !

قلت له : الحكاية والرواية .. خطبت لك سناء وهى موافقة وسعيدة بذلك .. بس أدى كل الحكاية ! .

– يخرب عقلك ! قل لى إيه اللى حصل . وقلت إيه بالضبط .. والله ما خطر على بالى إنك بالسرعة دى حتروح لها .. إيه اللى حصل .. الله يكرمك ..

وقلت له كل الذى حدث .. ولم أستطع أن أدخل فى تفاصيل كثيرة فأنت تعرف ما الذى يحدث للقوى العقلية لأى إنسان أكل الفول بالزيت السيرج والعيش الطرى والبيض بالزبدة .. وجاء الشاى بالنعناع فلم يفلح فى إزالة رائحة السيرج ، ولم يستطع أن يحول البيض إلى كتاكيت تطير من المعدة إلى أقرب سطوح .. فبعد الفول بالصورة التى حدثتك عنها . وبالطعم الذى لا تعرفه لا يبقى إلا أن ينام الإنسان أو يحاول ذلك .. لأنه عادة يفقد الإنسان القدرة على التفكير ويجعله يعجز تمامًا عن الكلام المباح ! .

وبعد هذه الكلمات الحلوة والعناق والقبلات جاءت قطيعة بيننا استمرت العمر كله ! .

فقد فوجئت سناء ووالدتها بعد ذلك بيومين بمصطفى ووالدته وأخته . . يسبقهما قفص فراخ وشوال أرز وصفيحة سمن . . وصندوق تفاح . . وانفتح باب شقة سناء وفرقعت زغرودة قوية وكمان واحدة . .

وخيم على البيت وجوم شديد . .

ولابد أن يكون قد حدث ارتباك شديد فى البيت . . وجاءت أم سناء . . ومن بعدها سناء . . وإذا بالست أم مصطفى تعانق العروس وتضغط عليها كما هى العادة فى الريف . . وبهذه الضغطة البسيطة تعرف الأم إن كان نهداها صغيرين أو كبيرين . . وتشد شعرها برفق لتعرف إن كان شعرها أو باروكة . . وأهلاً . . يادى النور يادى النور . . أهلا عروسة ابنى . . ومصطفى يقول لأم سناء : أهلا يا حماتى . .

وجلس الجميع فى ذهول !! .

وقالت الست أم مصطفى : صلوا على النبى . . إنتو مش مبسوطين والا إيه . . ما هى دى يا بنتى آخرة الحب . . وإحنا مش مستعجلين على الجواز . . اتفقوا أنتم . .

وفجأة خرجت سناء ووراءها أمها . . ومضت دقيقة وخمس دقائق وعشر . . ونصف ساعة . .

ومصطفى وأمه وأخته لا يفهمون ماذا حدث . .

وفجأة ظهر أبو سناء ، وهو رجل لواء فى الجيش مهيب طويل عريض . . وصافح الست أم مصطفى والست أخت مصطفى وسى مصطفى قائلا : أهلا يا ابنى . . يظهر حصل خطأ يا ابنى غير مقصود . . زميلك لما جه هنا يوم الجمعة الساعة السابعة صباحًا خطب سناء لنفسه مش لك يا ابنى . . وهمه متفقين على الزواج من زمان . . آسف يا ابنى ! .

والله العظيم لـم يحـدث أن كلمتها فى الزواج ولا حتى قلت لها : إننى أحبها . . هى زميلة لطيفة . . ونجلس معا فى المكتبة كثيرًا ولا أكثر ولا أقل . . وأستريح إلى الجلوس معها . . ولكن زواج أبدًا . .

وكانت صدمة فظيعة لمصطفى ، وصدمة أفظع لسناء . وخسرت الاثنين فى لحظة واحدة . . فلم يكن دخولى بين بصلة وقشرتها . . ولكن بين بصلتين متباعدتين تمامًا ! .

ولم أفلح في السنوات التى جاءت بعد ذلك حتى بعد أن صار مصطفى جداً وهى صارت جدة أن أصلح ما قد فسد . ومن يومها لا أدخل بين اثنين حتى لو كان ليلى والمجنون أو روميو وجولييت - تبت إلى الله وندمت على مافعلت ! .

* * *

كيف نمت طائرا .. وكيف طار النوم ؟

فى كثير من الأحيان يدعونى كابتن الطائرة إلى أن أجلس معه وزملائه . . لنتكلم أو نتناقش أو نتسلى إذا كان المشوار طويلاً . .

وفى معظم الأحيان لكى أشاهد البلاد التى نذهب إليها . . المطار . . والطائرات طالعة ونازلة . . ثم براعة الكابتن فى الهبوط ناعمًا يلمس الأرض ويستحق تصفيق الركاب له . .

حدث ذلك كثيرًا . .

ولكن حدث ما هو أعجب من ذلك . .

وأنا لا أخاف الطائرة . ومن الممكن أن أنام نومًا عميقًا وبسهولة مع أننى لا أنام بهذه السهولة فى السرير . . وبعض الناس لا ينامون فى الطائرة . ويخيل إليه أنه لو أقفل عينيه فإن شيئًا فظيعاً سوف يحدث . . ولذلك يجب أن يكون صاحيًا . . مع أن يقظته أو نومه لايقدم ولا يؤخر . ولا يمكن إنقاذ أحد إذا حدث شىء فى الجو . .

وبعض الناس عند دخولهم الطائرة يقرءون الآيات القرآنية والأدعية توسلاً إلى الله أن يعيدهم سالمين ذهاباً . وإيابًا . ولا مانع ولا ضرر من هذه الأدعية .

وأذكر أننى ركبت مع الموسيقار محمد عبد الوهاب الطائرة إلى دمشق . وكانت هذه المرة الأولى فى حياته . وكان الذى يخيف

عبد الوهاب ليس أن الطائرة فى الجو . . وإنما أن يلتف الناس حوله تاركين مقاعدهم . . فكان يصرخ ويطلب إليهم أن يعودوا حتى لا تنقلب الطائرة . وهو لا يعرف أن الطائرة تتوازن من تلقاء نفسها ، ولا يمكن أن تنقلب وكان يتضايق من الذين يتحركون من أماكنهم إلى دورات المياه ، وكان يعترض ويطلب إلينا أن ننتظر حتى تهبط الطائرة ويقول : أنا مش فاهم أنتم مستعجلين على إيه؟

ولما جاء الكابتن يدعوه إلى غرفة القيادة قال : أعوذ بالله . . أنا أشوف الأجهزة التى تحرك الطائرة . . وأنظر إلى الأرض من فوق .

فقالوا : نحن لا نرى الأرض .

– إزاى ؟ .

= نحن فوق السحاب .

– يا خبر زى بعضه . . وأنت عاوزنى أشوف ده . . أنت عاوز تجننى .

= أمال سيادتك فاكر الطيارة إزاى ؟ .

– ما أعرفش . ومش عاوز أعرف ! .

ولقد ركبت الطائرة ذات المحرك الواحد مع الرئيس عبد الكريم قاسم زعيم ثورة العراق من بغداد إلى البصرة . وكانت الطائرة تتسع إلى أربعة ركاب ، صغيرة وكانت تعلو فوق السحاب وتهبط . . وكنا نرى ذلك بوضوح . . ولم نكن نشعر أنها طائرة ، وإنما أوزة كبيرة ونحن نركبها ، وأحيانا نتولى نحن نشر جناحيها . .

وأحيانًا لا نرى الأجنحة ونجدها تهبط كأنها طوبة ثم تصعد من تلقاء نفسها - شىء مخيف - الحقيقة خفت هذه المرة ! .

وعندما ثار بركان جزيرة هاواى سنة ١٩٥٩ وكنت هناك فى مدينة «هونولولو» . استأجرت طائرة بمحرك واحد . وذهبت إلى حيث البركان يصب النار والسيول الجهنمية فى المحيط الهادى . . وكنت أشعر بحرارة البركان وأنا فى الطائرة ، فخلعت ملابسى وكان معى زميلى المرحوم «أحمد يوسف» كبير مصورى (أخبار اليوم) وقف (بلبوصا) تصور ، وفوجئنا بشخص ثالث لم نكن نعرفه . . واكتشفنا أنه الطيار نفسه يلتقط صورًا . . وقد ترك الطائرة الصغيرة جدًا تلف وتدور أوتوماتيكيًا ، وفزعنا .

وعادت الطائرة إلى المطار ، وفوجئنا بأن بعض الحمم البركانية قد اخترقت الجناحين بالقرب من خزان الوقود . . يا خبر أسود ! .

فى ذلك الوقت لم أشعر بأى خوف . . ولكن عندما أتذكر ذلك الآن أشعر أنه جنون حقيقى . . جنون شباب ، ولو دفعت لى ملايين فلن أفكر فى ركوب هذه الطائرة وأدور بها حول بحيرة من جهنم ! .

مرة واحدة كنت نائمًا فى طائرة تهتز وتكاد تتقطع ألف حتة . . فقد كانت على حافة إعصار بالقرب من اليابان . . ولكن لا حيلة لنا . . فنحن نركب صاروخاً يتشال ويتهبد . . وجاءت المضيفة والطائرة مظلمة تقول لى : كابتن شقنقيرى عاوز سيادتك .

وصحوت من نومى ، والطائرة تتخبط وتندفع يمينًا وشمالاً وفوق وتحت . . وذهبت إلى الكابتن : أهلاً يا كابتن .

- أهلا يا أفندم . .

= تحت أمرك .

- أنا اللى تحت أمر سيادتك . . اتفضل . . أنا عاوز سيادتك تتفرج على المطب اللى جاى . . سوف تهبط الطائرة ألف قدم مرة واحدة . . وأنا عاوز سيادتك تشوف بنفسك كيف أننى سوف أتلقى هذا المطب على جناحى الطائرة وتعود بعدها إلى مكاننا على ارتفاع ٣٣ ألف قدم ! .

تصور أنت . . كابتن الطائرة يوقظك من النوم ويعزمك على «مطب» . . وجاء المطب وهبطت الطائرة كما رسمت أجهزة الرادار والناس تصرخ بأعلى صوتها . . واستقرت الطائرة إلى مسارها العادى وابتسم الكابتن وشكر لى حسن استماعى وتعاونى معه . . وقال لى :

تقدر سيادتك تتفضل . . إن شاء الله تكون مبسوط . .

وكنت فى غاية الانبساط لدرجة أننى لم أستطع أن أنام ساعتين حتى وصلنا إلى طوكيو !! .

وودعت الكابتن فقال : طبعًا المطب كان أرق وأنعم من الهبوط العادى إلى مطار طوكيو الغارق فى الأمطار . .

طبعًا . . ولم أرد ولم أجد عندى أيه رغبة فى الضحك . . فقد هبط قلبى فى قدمى ، ولم يعد إلى مكانه الطبيعى !! .

أن أكون نباتيا :
عقوبة لا أستحقها

قبل أن أركب الطائرة أختار المقعد الذى أجلس عليه قبلها بساعات . . أن يكون فى المنطقة التى ليس بها تدخين ، وأن يكون على المشاية ، وأن يكون على الشمال لكى أمدد رجلى الشمال إلى الأمام . . ولكى أتحرك أسهل . .

وأهم من كل ذلك أن أعلن أننى نباتى لا آكل اللحوم بجميع أنواعها . . ولم تصادفنى مشكلة فى ذلك . .

فإذا كنت أركب طائرة بريطانية فيا ويلى ويا سواد ليلى . . فالإنجليز يرون أن النباتيين هم الهنود . . وهم الذين لا يأكلون اللحم ، بما فى ذلك السمك ولا يشربون اللبن لأنه من أصل حيوانى ، ولا يأكلون الزبدة لأنها من أصل حيوانى . إذن فالطعام كله مسلوق ، وإذا أردت أن أجعل له طعمًا أضع الملح والزيت والخل والفلفل .

والمصيبة الكبرى أنهم يقدمون هذا الطعام فى حفاوة بالغة . باعتبارى مختلفًا عن سائر البشر . وهذه الحفاوة معناها احترام تقاليد الآخرين . ودين الآخرين . . والحفاوة هذه معناها التسامح الشديد . وأنهم يقدرون الاعتبارات المقدسة التى جعلتنى هكذا

رحيماً بالحيوان من كل نوع ، فلست سبباً فى ذبح الماشية . .

وبعض النباتيين يضيفون إلى ذلك شيئًا آخر فهم لا يرتدون الملابس الصوفية أو الحريرية . لأن الصوف من الأغنام ، والحرير من دودة القز . . وفى الهند نجد الأبقار تمشى فى الشوارع – الأبقار الإناث ، أما الذكور فيذبحونها – يا عينى على الذكور من الحيوان والإنسان ! .

ومن الممكن أن تنام البقرة فى أكبر الميادين ويتعطل المرور كله فلا يجرؤ واحد أن يلمسها أو يقول لها : قومى من هنا يا حيوان ! .

ومن الممكن أن تدخل أى محل أو أى مطعم ولا يجرؤ أحد أن يقترب منها .

وهناك أحداث وقعت فى الهند أدت إلى أزمات سياسية بين الدول . فقد حدث أن جاء دبلوماسى أجنبى إلى الهند وصدم بسيارته إحدى الأبقار واستطاع أن يهرب من المارة . واتصلت به وزارة الخارجية أن يخرج الآن فورًا ولا يعود إلى هذه البلاد وإلا انقطعت العلاقات بين البلدين فورًا . .

وبعض الديانات الهندية تحرم قتل النمل وبقية الحشرات ، بل أن بعض الناس أصحاب للنمل . وبعضهم يضع كمامة على أنفه حتى لا يؤدى تنفسه إلى قتل الميكروبات الموجودة فى الجو ، فهذا حرام ! .

كل هذه المعانى وغيرها معروفة عند شركات الطائرات البريطانية أو الهندية أو الآسيوية . ولذلك فطعام نباتى يعنى

مسلوقاً بالماء فقط . ولا يجب أن تسأل عن رائحة الطعام أو لونه . هذا هو المسلوق ! .

وبعض شركات الطيران تستوضح : ما معنى الطعام النباتى ؟ فأقول : أننى آكل السمك والكائنات البحرية . .

هذا يجعل الطعام أسهل ، ومن الممكن أن يكون ألذ . ولا يتصور أحد أن الإنسان يكون نباتياً دون أن يكون هناك مرض يمنعه من ذلك . والحقيقة لا مرض والحمد لله ، ولكنه شكل اللحم وطعم اللحم وإحساسى بأننى أعيش على جثة حيوان مسكين ذبحناه إلى آخر ما يحدث للحيوان ونحن نربطه ونشده ونغدر به وهو (يفلفص) . ولكن لابد أن نأكله لكى نعيش عليه . . فالحياة تعيش على الحياة . . الحيوان يعيش على النبات ،الإنسان يعيش على الحيوان والنبات والكل يأكله الدود . . والدود يأكل نفسه . . والجميع إلى تراب يخرج منه النبات الذى يعيش عليه الحيوان وعلى الحيوان يعيش الإنسان . . إلخ .

أول مرة ذهبت إلى إسرائيل فى رمضان كان المرحوم «كمال حسن على» ود . «بطرس غالى» . . واتصلت بالأديبة «يائيل موشى ديان» وسألتها عن البرنامج الذى أعدوه لنا فقالت : كوكتيل و . .

فصرخت : كوكتيل ؟ . نحن فى رمضان ! .

قالت : يعنى إيه ؟ .

- يعنى فيه صيام . . ولابد أن يكون الإفطار بعد الغروب مباشرة .

وارتبكت الدنيا ، فبعد أن كان العشاء فى التاسعة جعلوه فى

السادسة ، وغيروا المشروبات الكحولية للضيوف . . وبصعوبة وجدت شيئًا أفطر عليه ! .

ولكن المشكلة كانت فى تناول طعام السحور . . فقد اعترفوا لنا أن هذه هى المرة الأولى فى حياتهم التى يستضيفون فيها وفدًا رسمياً فى شهر رمضان .

وفوجئت الساعة الحادية عشرة مساء بمن يدق الباب . ثم أشار إلى منضدة متحركة من الطعام ، قلت : ما هذا ؟ .

قال : نحن لا نعرف ماذا تأكلون فى هذا الوقت . . أمامك أن تختار ما يعجبك . . لحوم وطيور وكباب وكفتة وخضروات وأرز ومكرونة .

قلت : يانهار أسود .

قال : ليه .

قلت : عندى مشكلة . . أنا لا أذوق اللحم . . فى عرضك هات لى حتة جبنة . .

ولكن الديانة اليهودية تحرم تواجد اللحم واللبن والجبنة والزبدة فى مكان واحد . .

- والحل ؟ .

قلت له : لامشكلة . . فعندى من المشاكل الشىء الكثير . . أنا سوف أنام على لحم بطنى . .

- يعنى إيه ؟ .

- يعنى يا أخى دى بطنى وأنا حر فيها . .

- أجيء بعد ساعة ؟ .

- أرجوك . . أنا عاوز أنام . .

- وأنا لن أنام ! .

- أنت حر فى نومك ودينك وبلدك . .

- أنت زعلان ؟ .

- ياسيدى أنفلق حتتين أو عشرين حتة . . تصبح على خير وليلتك زى اللبن .

- ما بلاش اللبن ؟ .

- ليلتك زى الزفت . .

- يعنى إيه ؟ .

- لما يتم السلام بيننا وبينك سوف أشرح معنى هذه العبارة ! .

* * *

على مسئوليتى

إذا ذهبت ولم أعد !

طلبوا منا أن نسرع إلى مطار القاهرة . وكان الجو حاراً . وهناك شبورة وتراب وهباب . . وكلما اقتربنا من الطائرة الضخمة القبيحة الشكل واللون والصوت زاد الهباب والتراب . .

وفى هذا الجو المضطرب جاءنا ضابط وطلب منا الاستماع إلى الأوامر . وقال لنا : من أكبركم رتبة . .

– يعنى إيه أكبركم رتبة . .

= مين الكمندان ؟ .

– يعنى إيه . .

= يعنى أنا عاوز واحد بس يتلقى الأوامر ويبلغها لكم .

– نحن معاً أربعة . . قل لنا مرة واحدة .

= لازم شخص واحد . .

يبدو أن هذا النظام العسكرى . . شخص واحد يتلقى التعليمات ويكون مسئولاً ويبلغنا هذه التعليمات .

فقلت : أنا رئيس تحرير .

قال : خلاص . . التعليمات . . المخابرات الحربية المصرية غير مسئولة عن أى شىء يحصل لكم . . وغير مسئولة عن دفع أى تعويض لكم . . فأنتم مسافرون على مسئوليتكم الخاصة . . وامض هنا . .

وقدم ورقة ووقعت .

لقد كانت الطائرة الأمريكية الجبارة تحمل عدداً من القوات المصرية فى طريقها إلى الكونغو بقيادة اللواء سعد الشاذلى . ودخلنا الطائرة . . ليس فيها مقاعد ولا أى شىء . . وإنما الجنود جالسون نائمون ومعهم مدافع وقنابل وديناميت . . وكانت هناك عربة چيب . . هذه العربة هى المكان المخصص لى أنا والمرحوم «فوميل لبيب» مدير تحرير (المصور) وجلسنا فى سيارة الچيب التى اتجهت إلى مؤخرة الطائرة . . أى عند باب الخروج فالطائرة تنفتح من الخلف . ويدخل فيها السيارات والأسلحة والجنود . .

وارتفعت الطائرات وأنا فى شدة الغيظ من كلام ضابط المخابرات الحربية . . إيه يعنى . . إحنا كلاب . . إننا فى طريقنا إلى الكونغو مع القوات المصرية ولخدمة القوات المسلحة ومن أجل مصر . .

وقلت لنفسى : اسكت . . أنت عاوز تسافر . وإذا كان الكلام مش عاجبك انزل . . ولكن لا أستطيع أن أمنع نفسى من السفر والفرجة والمعرفة ، ولو كانت الطائرة حوت النبى يونس - عليه السلام - . .

ولا أحد قال لنا : كم ساعة تكون الرحلة ولا على أى ارتفاع . . لا شىء . وفجأة انخفضت درجة الحرارة جداً . . الطائرة ثلج . . والطائرة ليست مغطاة من الداخل بخشب أو جلد . . إنها مقبرة عسكرية طائرة . . وصرخت من البرد ، ولم نكن على استعداد

لذلك .. وجاء جندى أمريكى ظريف يحمل لنا قهوة ساخنة وقال : سنعود إلى القاهرة لإصلاح جهاز التكييف ..

وكانت الطائرة قد بلغت سماء أسيوط ..

وعادت الطائرة وخرجت إلى جو القاهرة الدافئ الساخن .. وأشاروا إلينا أن الطائرة قد أصلحت ، وركبت وندمت أننى لم أعدل عن هذه الرحلة ، فكلام حضرة الضابط قد ضايقنى جداً .. ولكن نسيت ..

وظلت درجة الحرارة ترتفع وترتفع حتى خيل إلينا أنها سوف تحترق أو أن الديناميت والقنابل التى يحملها الجنود المصريون النائمون من شدة التعب سوف تنفجر كلها مرة واحدة ..

وجاء نفس الجندى الظريف الذى خلع ملابسه تمامًا من شدة الحر ، وقال : سوف نعود إلى القاهرة لإصلاح التكييف ونستأنف الرحلة إلى الخرطوم ! .

وعدنا إلى القاهرة . وأحسست بالتعب الشديد ، فلم أستطع أن أهبط من الطائرة ، واكتفيت بالجلوس فى السيارة الجيب .. وأقفلوا باب الطائرة من الخلف .. بعد ساعة بعد ساعتين لا أعرف .. واستأنفنا الرحلة إلى الخرطوم التى وصلنا إليها صباحًا ..

ونزلنا مطار الخرطوم .

والناس وجوههم مرحة .. طبعا ناموا وشبعوا نومًا واستراحوا وجاءوا يستأنفون حياتهم .

ثم حدث أهم وألذ شيء فى حياتى . . لقد شربنا شاياً إنجليزيًا بديع الطعم واللون . . جاء بعد ليلة شنيعة البرودة والحرارة فى هذه الجبانة العسكرية . . وكان الشاى فى الفناجين البيضاء النظيفة وكان ذهبيّاً بديع الطعم واللون والرائحة . .

وشربت كوبًا ومن بعده جاء كوب ثان وثالث ورابع . .

لقد اعتدل المزاج تمامًا . . ولا يهم ما يحدث بعد ذلك حتى لو زحفت هذه الطائرة على بطنها إلى مدينة «كوكياتفيل» فى الكونغو . .

ونزلت الطائرة على بساط أخضر جميل . . الغابات الكثيفة ونهر الكونغو الهائل ، والحيوانات تملأ النهر ونظرت من نافذة الطائرة فوجدت أناسًا عراة تمامًا . رجالاً ونساءً . ورأيت الذى أفزعنى . وقالوا : لابد أن تصافحوا هذه القبائل ولا تفعلوا كما كان يفعل البلچيكيون الذين كانوا يتعالون عليهم . .

ونحن قد ذهبنا بقواتنا لمساندة الزعيم «لومومبا» وخفت من عدوى مصافحة هؤلاء الناس الطيبين . . ولم أجد إلا حلاً واحدًا وهو واحد ، وهو أن ألبس الچاكتة بالمقلوب مدعيًا أننى بلا ذراعين حتى لا أصافح أحدًا قد تلوثت يداه . . بما لا أستطيع أن أذكر هنا .

أما زملائى فصافحوا وعانقوا ولا أعرف لماذا ؟ .

ولم أنم تلك الليلة ، لا خوفًا من الذين لم أصافحهم ولكن من الزملاء الذين صافحوا ! .

الجائع الوحيد على مائدة الزعماء

دعيت إلى الإفطار فى القصر الجمهورى على مائدة الزعماء الأربعة : حسنى مبارك والملك حسين وإسحاق رابين وياسر عرفات . ومنظر الزعماء وهم يدخلون القاعة كانوا صامتين هادئين والابتسامات الرسمية على وجوههم رسمية جداً . . والمعنى أن المسألة خطيرة وأن إفطار شهر رمضان المبارك لا يكفى لإذابة الجليد بينهم . . أو إزالة الحواجز النفسية . وكان ترتيبهم هكذا : على يسار الرئيس مبارك أبو عمار وعن يمينه الملك حسين ورابين ، والرئيس يتحدث طول الوقت إلى الملك ، والملك إلى رئيس وزراء إسرائيل ، وياسر عرفات قد التزم الصمت الطويل . فما المعنى ؟ لا أحد يعرف . . فثلاثتهم صائمون . والرابع كأنه صائم . .

وكنت أجلس إلى أقرب مائدة للزعماء ، ولكن لم أتبين بالضبط ماذا يقولون . . بل كان أسهل أن أقرأ وجه ياسر عرفات من أن أسمع همسات الباقين . .

وانطلق أذان المغرب واتجهنا جميعًا إلى الطعام . أما أنا فكنت أتعس الناس جميعًا . فلم أجد ما أضعه فى فمى . . فالشوربة بها قطع الدجاج والكبدة ، وأنا لا أذوق اللحم . . ثم توالت الأطباق

بأشكال وألوان من اللحم ، وسحبت طبق الصلصة من أمام جارى ، وبدأت آكل . وسألت إن كان من الممكن أن أجد قطعة جبن ، وصعب الأمر على الجرسونات أن يحققوا لى هذه الرغبة المتواضعة ، ما علينا . .

وانتهى الإفطار ، واقتربنا من الرئيس مبارك الذى قدمنا لإسحاق رابين الذى يعرفنى وأعرفه جيدًا ، قدم الرئيس مبارك رؤساء تحرير الصحف ، فنظر إلينا إسحاق رابين حزينا يحسد الرئيس مبارك على هذه النعمة - نعمة العلاقة الطيبة بينه وبين رؤساء تحرير الصحف - فقال : يا سيادة الرئيس إن رؤساء التحرير فى بلادى يهاجموننى ! .

فقلت بسرعة تعليقاً على ذلك : وفى مصر أيضًا ! .

فضحكنا جميعاً إلا هو . ومعه حق ! .

وكنت أول من خرج من القصر الجمهورى ، والتف حولى الصحفيون من كل دول العالم ، وشبكات التلفزيون يسألون : هل أكل إسحاق رابين وشيمون بيريز اللحم ؟ هل حدث ذلك ؟ .

وكان جوابى : طبعًا . فنحن نذبح الحيوانات على الطريقة الشرعية مثل اليهود تمامًا ! .

ولكن هناك مشاكل لا نعرفها ، وهى أن اليهود لا يأكلون اللحم والجبن معاً . واللحم والجبن لا يصح أن يجتمعا فى مكان واحد ! وكان على المائدة قليل من الجبن وكثير من اللحم ! .

وأذكر عندما ذهبنا مع الرئيس السادات إلى مدينة «حيفا» . وحان وقت الغداء . ففوجئنا بأن جميع طهاة الفندق والسفرجية قد خرجوا وتركوا المطبخ . وقابلنى « عيزرا ڤايتسمان » الذى هو رئيس الدولة الآن . . وقال لى : قل للرئيس السادات : إن هناك أزمة خطيرة . . كارثة سوف تقع فورًا ! .

وذهبت للرئيس وقلت له ، ولم يفهم ، ولم نفهم . وأخيرًا عرفنا السبب . وهو أن السادات يأكل الجبن مع كل وجبة . وأن طاهيًا مصريًا دخل المطبخ ومعه أطباق وشوك وسكاكين وقطعة كبيرة من الجبن . . فخرج الطهاة فورًا ، لأنه حرام فى الديانة اليهودية أن يجتمع اللحم والجبن فى مكان واحد . والآية اليهودية تقول : أنت لا تطهو العجل الصغير فى لبن أمه !! .

وسحبنا الجبن والأطباق والشوك والسكاكين والسفرجى المصرى والطاهى المصرى ، وعاد الطهاة اليهود والسفرجية إلى المطبخ ! .

وقلت للصحفيين الإسرائيليين مداعبًا طبعاً : سنظل وراء رابين وبيريز حتى يشهرا إسلامهما ! .

ونقلت وكالات الأنباء هذه العبارة ، وأحمد الله أنها ذكرت أننى كنت ساخرًا فقط . . فقد عانينا كثيرًا فى علاقتنا مع إسرائيل بسبب النكات والتعبيرات الساخرة ! .

ولن أنسى ذلك اليوم ، فقد دخلت إلى مائدة الرؤساء جائعًا وخرجت أكثر جوعًا ! .

كل مشكلة لها حل إلا فى مصر

عندى مشكلة ، ولكن لها حل ، فأنا لا آكل اللحم ، ولا أجد طعاماً دائمًا من الخضروات والفواكه ، ولكن هذه المشكلة تصبح معضلة إذا سافرت إلى الخارج ، وخاصة فى الدول الآسيوية .. حيث تتغير كل عادات الطعام والشراب . وأحيانًا لا تسعفنى اللغات العديدة التى أعرفها .. فمثلاً كنت فى «كوالالمبور» فى «الملايو» .. المطعم جميل .. ولكن لا شىء يدل على الطعام الذى يقدمونه .. وقلت : أنا نباتى .

- لا مشكلة ! .

= إذن ، أريد ما يأكله النباتيون هنا ..

وبعد دقائق جاءت أطباق صغيرة . وكل طبق لون ، ولها جميعاً رائحة كريهة . فقلت لنفسى : ممكن أن تكون الرائحة مش ولا بد ولكن المذاق جميل ، وحاولت ، ولم يكن المذاق أحسن حالاً من الرائحة ، فطلبت فاكهة وأكلت ولم أشبع وخرجت !

وفى تايوان ذهبت إلى مطعم صينى - والناس هنا كلهم صينيون- المطعم فخم ، وكانت دعوة من أعضاء مجلس

الشيوخ ، باعتبارى عضوًا فى مجلس الشورى الذى هو مثل مجلس الشيوخ ، وجلست أمام الطاهى نفسه ، وانحنى الرجل عشرين مرة يطلب منى أن آمره بأى شىء ، وأمرت بأن أرى كيف يصنع لنا هذا الطعام الصينى البديع .. والرجل فى غاية الرشاقة والأناقة والنظافة والبراعة .. وهو يمسك سكيناً فى كل يد .. وكأنه يعزف على الأورج .. ينحنى ويرقص ويغنى وهو يقطع الأعشاب من كل لون وحجم ويخلطها بالبهارات والزيوت وما لا أعرف من الأشياء الصينية .. وفى كل مرة أسأله : هذه أعشاب ؟ ..

ويقول المترجم : نعم ، إنها أعشاب بحرية . وفجأة رأيت واحدًا من هذه الأعشاب «يتلعبط» فقلت : طبعا ليس هذا عشبًا .. قالوا : لا طبعًا .. قلت : إذن ؟ .

- لا .. ولا حاجة إنها دود البحر .. وهذا الدود له مذاق لذيذ .. وإذا خلطناه بالبصل والثوم فإنه يكسب الطعام رائحة ونكهة ، ولكنه ..

ولم أستمع إلى بقية مزايا الديدان هذه .

ولم أتناول طعامى ، وعرفت أن كل طعام صينى لا يخلو من شيئين : ديدان البحر ودهن الخنزير ! .

وفى مدينة «مانيلا» نزلت فى فندق «انتركونتننتال» .. وفى ساعة مبكرة جداً وجدت أناسًا آخرين غيرى قد طردهم الفراش وتزاحموا على البوفيه .. الخبز ساخن .. والشاى ثقيل .. والبن

ينفث دخانه الذى يفتح العين كمان وكمان .. والزبادى أشكال وألوان وبالفواكه وعسل النحل .. لا بأس ..

ومددت يدى إلى الشاى وجاء اللبن وعسل النحل .. وعصير البرتقال .. وشربت شاياً وشاياً .. وأمسكت سكينًا لكى أكسر البيضة التى وضعها الجرسون بمنتهى العناية .. وكسرتها .. وانفجرت وخرج منها جناح كتكوت .. أعوذ بالله إيه ده ؟ . وناديت الجرسون الذى أحضر فلفلاً أسود وجعل يرشه على جناح الكتكوت .. واندهش جداً كيف أن البيضة (الممششة) لم تفتح شهيتى إلى بقية كرتونة البيض ، فهم فى «الفلبين» يأكلون البيض الذى به كتكوت لم يكتمل .. فهو بيض ولحم أيضا ! .

(بينى وبينك رائحة البيضة لا تختلف كثيرًا عن رائحة الفسيخ فى أنوف الأجانب ، فالعفونة تجمع بين الاثنين) .

وفى مدينة «كوكياتفيل» فى الكونغو دخلت أحد المطاعم .. وكانت الجرسونات من البنات .. أجسامهن سليمة .. كنوع العاج اللامع الناعم . فقط السيقان والذراعان والنهدان والردفان .. أما الأنف والشفاه الغليظة فهى مصنوعة من أنواع رديئة من الكاوتش ..

– قالت لى : تحب إيه ؟ .

= أحب اللى أنت تحبيه .. بشرط ! .

– اشرط ! .

– ألا يكون لحمًا بشرياً . . هاها هاها (أنا فقط الذى يضحك)

– . . . .

ويبدو أننى أغضبتها . . وعندها حق ففى هذه البلاد اتهموهم كثيرًا بأكل لحوم البشر ، وأنا كنت ضمن قوات الطوارئ المصرية الدولية التى سافرت بقيادة الفريق الشاذلى لحماية نظام «لومومبا» . . وقد أكلوا سبعة من الجنود المصريين ! .

وعادت بطعام ليس فيه لحم ، وظنت أنها عاقبتنى بذلك . . ولم تعرف أن هذا بالضبط ما أريده . . فأنا نباتى .

وحاولت أن أوضح لها موقفى وأننى أداعبها فقط . . ولا أشير تلميحاً أو تصريحاً إلى شىء له علاقة بأن بعضهم يأكل لحوم البشر . . وعادت البسمة إلى وجهها . . بسمة منقبضة . . فليكن . . وشكرتها على الطعام اللذيذ الذى قدمته . .

فقالت : لولا أننى لا أريد أن أترك صورة سيئة لبلادى عندك لجعلت طعامك نباتياً كله . . ولكننى . .

= ولكنك ماذا ؟ .

– ولكننى وضعت لك فى المايونيز قليلاً من خلاصة مخ القرد !! .

لا داعى لأن أقول لك ما حدث لى فى ذلك اليوم ! .

هناك مشاكل . ولكن هناك حلول . . .

أما الذى لا حل له ولا أعرف كيف نستمر فى حياتنا هذه : فهو أن ماء النيل مسموم ومتعفن . . والخضروات قد سممتها المواد

الكيماوية . . مواد التخصيب وإبادة الحشرات . . والهواء مسموم بالرصاص . . بذمتك قل لى : أين يذهب الناس ؟ . . أين يأكل الناس ؟ . .

أمامنا حلان : إما أن نأكل ونشرب ونعيش ونمرض ونموت . . أى أن نعيش مرضى لنموت بعد ذلك .

أو نموت فى صحة وعافية وذلك بالامتناع عن الأكل والشرب والتنفس ! اختر لك حلاً ! .

* * *

الذين ماتوا يوم القيامة !

بعض الفنانين والأدباء تكون لحياتهم ضجة . ومن الطبيعى أن يكون لموتهم شىء أكثر من ذلك . .

ولكن المساكين هم الذين ماتوا عندما تكون البلاد فى محنة كبرى فلايدرى بهم أحد . .

عندما اغتيل الرئيس الأمريكى «كيندى» توفى الأديب العظيم «ألدوس هكسلى» . . فلم نعرف أنه مات إلا بعد شهور من وفاته . . فقد انشغلت الكرة الأرضية باغتيال الرئيس كيندى يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ .

ولما أطلق الرصاص على «سعد زغلول» توفى «مصطفى لطفى المنفلوطى» فلم يمش فى جنازته غير خمسة أشخاص ! .

ولما توفى «طه حسين » سنة ١٩٧٥ مات د . «حسن عثمان» أستاذ الجغرافيا والرجل الذى ترجم (الكوميديا الإلهية) . . فلم يدر به أحد . .

ولما مات الصحفى الكبير والشاعر الرقيق «كامل الشناوى» مات صديقه الصحفى «أحمد الألفى عطية» ، فلم يشعر بذلك أحد . .

وفى طوفان الغضب على العدوان الإجرامى على الرئيس «حسنى مبارك» فى «أديس أبابا» توفى المخرج «عاطف الطيب» وتوفى الموسيقار محمد الموجى «ولانا ترز» و«زازا جابور» و«سالك» مخترع أمصال شلل الأطفال . . ولم يلق هؤلاء النجوم ما يستحقونه من الاهتمام . . فالقلوب والعيون قد اتجهت إلى ناحية أخرى . .

ولما توفى الرئيس «جمال عبد الناصر» يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ فزعت مصر والعالم العربى وعالم عدم الانحياز . . وقد أدت وفاته إلى أن تضع فى الظل وفاة عدد كبير من المشاهير فى الدنيا : المعلق العسكرى «ليدل هارت» والفيلسوف العظيم «برتراند رسل» ، والزعماء : «سوكارنو» «وديجول» وزعيم البرتغال «سالازار» . . والأدباء : «ريماك» مؤلف رواية (كل شىء هادئ فى الجبهة الغربية) والأديب اليابانى «ماشيما» والأمريكى «دوس باسومى » . .

ولما اغتيل الرئيس «السادات» كان الحزن عليه وعلى السلام قد اجتاح الدنيا كلها . . ولم يزحزح هذا الحزن قليلا إلا انشغال الدنيا بزواج الأمير «تشارلز »والفتاة الجميلة «ديانا» . . وذهب إلى الظل موت الممثل «وليام هولدن» والجميلة الممثلة «ناتالى وود» والقائد «عمر برادلى» ومهندس النازية الأكبر «ألبرت أشبير» الذى كتب مذكراته على أوراق التواليت فجاءت فى ألف صفحة ؟! .

قال أمير الشعراء شوقى فى وفاة المنفلوطى الذى مات سنة ١٩٢٤ يوم فزعت مصر للعدوان على حياة زعيم الأمة سعد زغلول :

اخترت يومَ الهولِ يومَ وداع
ونعاكَ فى عصفِ الرياحِ النَاعى
هتف النعاة ضحىً فأوصَدَ دونهم
جرحِ الرئيس منافذ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يَجد
قدمًا تشيع أو حفاوة ساعى

وفى سنة ١٩٦٧ مات الممثل «سبنسر تراسى» ، وكنت شديد

الإعجاب به ، وماتت الممثلة العظيمة «ڤيڤيان» لى .. واغتيل الزعيم «جيفارا » .. ومات أحب الأدباء إلى نفسى «أندريه موروا» .. فيوم جاء ترتيبى الأول فى التوجيهية تسلمت كَتبًا هدايا من «نجيب الهلالى باشا »وزير المعارف .. وكان من بين هذه الكتب كتاب (دزرائيلى) الزعيم السياسى البريطانى ، من تأليف «أندريه موروا »وترجمته الجميلة كانت بقلم «حسن محمود» .. وهو من أروع ما قرأت فى ذلك الوقت وفى أى وقت .. ولكن حزن النكسة قد صد وسد نفسى عن الكتابة عن هذا الأديب .

وفى سنة ١٩٧٣ انتصرت مصر فى حربها ضد إسرائيل .. أول انتصار عربى منذ أيام صلاح الدين ..

وفى تلك السنة مات عباقرة فتهيأت للكتابة عنهم .. ولكن فرحة النصر جعلتنى أطوى أوراقى وأنحى قلمى عن الكتابة عن العباقرة الذين ماتوا : الأديبة «بيرل بك» والأديب «نويل كوارد» والشاعر «أدون »والفنان العبقرى بيكاسو .. ومصممة الأزياء الفرنسية «اسكباريللى» ، وقد عرفتها وقدمتها للقراء قبل ذلك بعشرين عامًا .. وكانت لى أحاديث طويلة معها .. وعندما اكتشفت كيف أن واحدًا كان مدرسًا للفلسفة وله اجتهادات فى الفلسفة الوجودية مشغول جداً بالأزياء ، عرضت أن أعمل معها . ولم أفهم ..

فقالت لى : أنت نحيف ورشيق وتعرف عدة لغات .. فلماذا لا تكون مانيكان رجالى ؟! .

وتركتنى أفكر فى الأمر .. ومازلت ! .

خجل بلا حدود :
وطلبت منى ألا أنشر كلمة

كنت سعيدًا فى شوارع هونج كونج .. أحاول أن أعرف ما هى الفوارق بين وجوه الصينيين . منتهى الصعوبة .. فالمعالم متشابهة جداً . وكنت أندهش كيف يميزون بعضهم البعض .. والرجال لا تعرف من ملامحهم إن كانوا ينظرون إليك أو إلى أى شىء آخر وراءك أو فى وجهك . أما النساء فهن أجسام بلا عظام .. والفستان مشقوق بالطول إلى ما قبل الخصر .. أما الرقبة والكتفان فهى (عورة) صينية . ومن الذى يريد أن ينظر إلى رقبة المرأة أو كتفها ..

ووقفت عند فندق اسمه (كارتر ناڤون) .. اسم الرجل الإنجليزى الذى أنفق على مشروع اكتشاف مقبرة الملك «توت عنخ آمون» ..

والصدفة وحدها هى التى جعلتنى أصطدم بواحد وأعتذر له فيكون هو «أحمد يوسف» كبير مصورى (أخبار اليوم) ومعه رسالة عاجلة من الأستاذين «مصطفى أمين» و«على أمين» يطلبان فيها أن أسافر إلى أمريكا وأجرى حديثاً مع الملكة «نازلى» ، ملكة مصر السابقة وأم الملك فاروق آخر ملوك مصر ..

وسافرت إلى «اليابان» ومنها إلى جزر «هاواى» وطالت الإقامة فى هاواى حتى تمنيت لو تنتهى الرحلة عند ذلك ، ولا أعود إلى مصر .. فالجزر هادئة جميلة ناعمة والسعادة هواء يشمه الجميع ..

وذهبت إلى «هوليوود» . وعرفت أن الملكة «نازلى» فى ڤيلا فى ضاحية «بيفرلى هيلز» - الضاحية الأرستقراطية جدا . طلبتها بالتليفون وقلت لها : أنا صحفى مصرى يا جلالة الملكة .

- أهلا وسهلاً ! .

= هـل من المـمكن أن أقـابل جـلالتكم فى أى وقت ولأى وقت .

- ممكن ، غدًا الساعة الخامسة .

= شكراً يا صاحبة الجلالة .

ولم أشغل بالى كثيرًا بما الذى سوف أقوله لها . . فكل ما أراه جديدًا . . بيتها والطريق إليها . . وبناتها الأميرات . . وهى التى لم أحدثها فى حياتى . ولا اقتربت منها ولا جلست إليها . . لا أنا ولا الذين خلفونى جـميعًا . ولم تعد ملكة سابقة تتمتع بكراهية الشعب المصرى كله . وهى المسئولة عن إفساد حياة ابنها الملك فاروق . هى والحاشية المنحلة المنحطة التى أحاطت بالملك الشاب وأبعدته عن الناس ، عندما ضربت حوله حصاراً من الغوانى والأغنياء . .

وأنا أعفيك من وصف الڤيلا وما فيها من أثاث ، أو ماليس فيها من أثاث وفخامة . المهم هو الملكة نازلى . إنها تشبه صورها . ولكن الزمن كان قاسياً على ملامح وجهها . وظهرت علامات السنين حول عينيها وشفتيها ، وحركة عصبية ضعيفة تؤدى إلى ارتجاف شفتيها من غير سبب واضح . . ولكن السبب فى

أعماقها . . سبقتنى إلى الصالون وجلست ووضعت ساقًا على ساق وقالت لى : تفضل . .

وتفضلت وجلست . ووضعت ساقًا على ساق . ثم تكلمت وأبدت أسفها الشديد على ما تنشره الصحف المصرية عنها وأقسمت وصدقتها أنها لم تقابل صحفياً مصريًا واحدًا . . وأننى أول صحفى تقابله . . ولا أدلت بأية أحاديث ولا علقت بكلمة واحدة على الثورة المصرية ولا على زعيمها . . وهى لا تقول ذلك عن خوف من أحد . فهى لا تخاف أحدًا . ولن يصيبها أكثر مما أصابها ، ولكنها الحقيقة ، وأنا أصدقها لأن الصحفيين الذين ادعوا مقابلتهم لها معروفون بأنهم كذابون ومزيفون .

ولم أستطع أن أدافع عن الصحافة المصرية والصحفيين . . وقالت ووضحت وشرحت واعتذرت وجددت حزنها على ما أصاب ابنها الملك فاروق واعترفت بكثير من الأخطاء . .

وجاء الشاى واختفى . وجاء الغداء وانسحبت إلى شرب القهوة ، واكتملت خمس ساعات عندما وقفت ومدت يدها تشكرنى وتؤكد لى أن بيتها هو بيتى طوال إقامتى فى أمريكا ، ثم هذه القنبلة : هل من الممكن أن أرجوك فى شىء ؟ .

فقلت بسرعة : أنت تأمرين يا صاحبة الجلالة ! .

فقالت وكلها حزن وأسف ويأس وأمل أيضًا : ألا تنشر كلمة واحدة مما قلت لك .

ولم أنشر كلمة واحدة منذ ١٩٥٩ حتى الآن ! .

خجل بلا حدود :

قابلت الإمبراطورة

قالت لى : تقابل إمبراطورة إيران ؟ .

قلت بسرعة : لا لا .

وكنت قابلت إمبراطورة إيران السابقة مرتين ، المرة الثانية كانت على عشاء أقامه د . «عبد العزيز حجازى» رئيس الوزراء الأسبق فى فندق أوبروى (مينا هاوس) . . وكانت المائدة تضم د . «مصطفى خليل »رئيس الوزراء الأسبق والسيدة «چيهان السادات »والسيدة «فاتن حمامة» . وكنت أجلس إلى جوار فاتن حمامة وكنت أشغلها بكلام لا معنى له . . فقد كنت فى حالة هرب من نظرات إمبراطورة إيران السابقة «فرح ديبا» . وفى نهاية العشاء صافحتها وتمنيت لها طيب الإقامة فى مصر وفى بلاد الغربة . . ولا أعرف ما الذى قالته رداً على ذلك . فقد كنت حريصًا ألا تلتقى عيناى بعينيها . لماذا ؟ .

أقول لك لماذا ، وأنا ألعن فى نفس الوقت مهنة الصحافة التى تضعنا فى ظروف لا إنسانية مع إيماننا بأن هذا هو صميم العمل الصحفى . .

فقد كان شاه إيران قد مرض ومات فى مصر ، وكنت الصحفى الوحيد الذى قابل الإمبراطور فى قصر القبة ، جلست فى انتظاره .

وبدلاً من أن أذهب إليه فى غرفته طلب هو أن ينزل إلىّ حيث أجلس . وكان أدبًا ولطفًا وتواضعًا . وفى الحديقة رأيت الأمراء يركبون الخيول ، وقد قرر الإمبراطور أن يدفع تكاليف إقامته فى القصر وعلاجه فى المستشفى ، وأن يهدى إلى مستشفى المعادى كل الأجهزة الطبية التى أمر بها الطبيب الأمريكى د . «دبيكى» ، وكانت تساوى الملايين . . وجاء الإمبراطور . . لا أقول جاء ، وإنما ذهب كل ما فى الإمبراطور من عظمة وأبهة . آه لو كنت رأيت الإمبراطور كما رأيته أيام مهرجان «قورش» فى إيران : حيوية وشباب وذكاء وصلابة وفخامة وعظمة ، كل ذلك قد ذهب . . راح . . جف الدم والنور والإرادة . إنه لم يعد إمبراطورًا ولا حتى بشرًا . . إنه بقايا كل شىء . ودار الحديث بيننا ، وقال لى بمنتهى الوضوح : أنت أمام إنسان ميت . . هذا الأسبوع أو الأسبوع القادم . . إلخ .

أعوذ بالله . وسجلت ساعتين من الحديث وطلب منى ألا أنشر نصف الحديث ، إنما أبعث به هدية إلى أخيه وصديقه الرئيس السادات ، وهو فى هذا الحديث حذر الرئيس السادات من الأمريكان ؛لأنهم هم الذين غدروا به رغم أنه كان أعظم حليف لهم .

يرحم الله الإمبراطور ويرحم السادات الذى اغتاله الأمريكان أيضًا .

وبعد أيام من وفاة الإمبراطور قابلت أرملته الإمبراطورة فى نفس الغرفة وجلست على نفس المقعد . . وقد أدركت الإمبراطورة

صعوبة الموقف . ولكن كان لابد أن تقول . . وقالت . . وتحدثت عن شجاعة الإمبراطور فى مرضه . . وعن رأيه فى مستقبل إيران فى ظل «خومينى» . . وقالت . . ورأيت الإمبراطورة وقد ذهب منها أكثرها . . فهى شاحبة حزينة ، (جلد على عظم) . . ولم تشأ أن تعتذر عن مقابلتى . . وفى نفس الوقت لم أستطع أن أعتذر . . فمن الذى يضيع مثل هذه الفرصة النادرة . ولم أستطع أن أواسيها . . وما معنى المواساة وفائدتها ؟ . . ولو فعلت لكنت كاذباً فأنا أريد أن أعرف ، فإذا عرفت كتبت وانفردت بهذا الذى قالت . .

وتمنيت أن ينتهى الحديث ، فقد كانت هى التى تتكلم طوال الوقت . . ووفرت علىّ التساؤل واكتفيت بالدهشة وإظهار الحزن على ما كان وعليها . . وعلى بلادها . . وهى تصافحنى قالت لى : هل من الممكن أن أتقدم لك برجاء ؟ .

قلت : ياسلام ، تفضلى جلالتك . ! .

قالت : ألا تنشر ما دار بيننا ! .

***

المؤتمر العالمى لاغتيال البنات

نسـاء العـالم يلتـقـين فى بكين للنظر فى حـقوق المـرأة المـهـدرة فى الصين .

والصين اعترضت على شذوذ المرأة الأوروبية والأمريكية . . لأن هناك جمعيات أوروبية تريد تقنين الشذوذ والجنس بين النساء . . فمن الممكن أن تعيش امرأة وأخرى وأن تكونا زوجين . . أو زوجتين . . لأن المرأة حرة فى اختيار شريكتها فى الفراش ! .

ولذلك رفضت الصين دخول هذه الجمعيات الشاذة . . ولكن الصين لا تعرف من هى الجمعية التى سوف تثير هذه القضية ، قضية منع الحياة الشاذة والحجر على حرية المرأة الأوروبية أو الأمريكية ! .

أما اعتراض الجمعيات الأجنبية على الصين فهو لأن الصين تقتل النساء ، لأن المرأة غير منتجة ولأنها عبء على الدولة . فهى تصاب بالمرض الشهرى الذى يجعلها عاجزة عن العمل أيامًا . . ثم إنها تحمل وتلد ، وهذا يجعلها عاجزة عن العمل شهورًا . . فإذا أنجبت فهى غير قادرة على العمل لفترات طويلة . . فمن الذى يدفع لها أجرًا عن ذلك . . ثم كيف تتساوى المرأة التى تعمل والمرأة التى لا تعمل ؟! ثم إذا عملت وأنجبت طفلاً

أنثى . فهى عاطلة قد أنجبت عاطلة أخرى . . أى أن هذه الأم عاطلة ومعطلة فالمجتمع ليس فى حاجة إليها .

وفى المستشفيات تعليمات صريحة بالتخلص من الطفل الأنثى . . ويكفى الأسرة أن يكون لديها طفلان ولد وبنت أو حتى بنتين . ومازاد عن ذلك فلا ضرورة له . وإذا حدث وأخفت إحدى الأمهات أن لديها ابنتين وجاءت الثالثة فلابد أن تقتلها أو تبيعها لامرأة أخرى فى حاجة إلى طفلة ، فإذا لم يتيسر ذلك فى الصين ، فهناك جمعيات أو هيئات لبيع البنات داخل الصين وخارجها ! .

لأن هذا العدد الكبير من البنات هو (فائض) إنتاج ، لابد من التخلص منه بتصديره أو القضاء عليه . . ولابد من قتل البنات حتى يرتفع سعر البنات . . لأن وفرة البنات فى الأسواق من شأنه أن يجعل سعر البنت منخفضًا .

وكثير من الدول تفعل شيئاً مثل ذلك : فلبنان تغرق التفاح فى البحر ليكون المعروض أقل والسعر أكبر . . وأمريكا تفعل ذلك بالقمح . . وكوبا تفعل ذلك فى البن . . والملايو تفعل ذلك فى الأرز . . والصين تفعل ذلك مع البنات ! .

ثم إن المرأة فى السجون الصينية يجب أن تعمل ؛ لأنها إذا لم تعمل كان معنى ذلك أنها تأكل وتشرب على حساب الآخرين . فإذا أرادت أن تأكل وتشرب فمن الضرورى أن تعمل داخل السجن فالتى لا تعمل لا تأكل ! .

هذا ما سوف تقوله الجمعيات النسائية فى العالم .. والأمريكية بصفة خاصة !.

ولكن ما رد السيدة «هيلارى كلينتون» سيدة أمريكا الأولى على من يقول لها : إن فى أمريكا كل أنواع الشذوذ الجنسى .. وإن الرئيس «كلينتون » اعترف بالشذوذ لكى يكسب أصوات الناخبين والناخبات ..

ماذا تستطيع أن تقول السيدة الأولى فى أمريكا دفاعًا عن بيع وشراء الأطفال فى أمريكا ففى أمريكا ، جمعيات تتفق مع طالبات الجامعة هكذا : نحن سوف ندفع لك تكاليف الحمل والولادة وتربية الطفل لبضعة شهور .. نريده أزرق العينين . .ذهبى الشعر .. أو نريده أسمر وأزرق العينين .. ونريده ولدًا بشعر كذا وبنتاً شعرها كذا ، أما إذا كان توأمًا فالسعر كذا .

والمطلوب من الطالبة الجامعية أن تبحث لها عن الذكر الأسمر أزرق العينين .. أو الأبيض أحمر الشعر .. وكل المطلوب منها هو أن تبلغ الشركة عندما تحمل ، فالشركة تنقلها إلى المستشفى وتتولى الإشراف عليها حتى تلد .. وهكذا تكون المرأة الأمريكية مجرد بقرة أو جاموسة أو مصنع لإنتاج الأولاد .. وتقوم هذه الشركات ببيع الأطفال إلى كل الدنيا .. وإلى إسرائيل التى تريد أن يزيد عدد مواطنيها بأى شكل .. وخاصة أن اليهود قليلو النسل بسبب الخوف والرعب التاريخى .. ويعذبهم كثيرًا أن يجدوا الأسرة الفلسطينية لا يقل عدد أبنائها عن سبعة ، وفى معظم الأحيان عشرة !.

وهل يجرؤ واحد من البرازيل أن يفتح فمه بكلمة واحدة وهم يقتلون الأطفال فى الشوارع .. تخفيضًا لعدد الفقراء المتسولين !.

ليست بكين هى التى تخاف من المواجهة .. ولا هى المجرمة الوحيدة فى حق المرأة .. فأمريكا لا تقل إجرامًا عن الصين .. ودولة الصرب أبشع من الجميع ، فهى تقتل الأطفال المسلمين وتهتك أعراض المسلمات .. وأمريكا تساند الصرب على التصفية الجسدية للمسلمين ، كما تشجع «صدام حسين» على القضاء على المسلمين فى الكويت والسعودية والأكراد فى شمال العراق !.

المثل يقول : إذا أنت أشرت بإصبع اتهام إلى أحد ، فانظر إلى بقية أصابعك وانظر إلى من تشير .. إليك طبعًا !!.

* * *

أشوف مثقفات سعوديات ؟!

همس فى أذنى : ما رأيك . . ؟ تقابل عددًا من المثقفات السعوديات ؟ .

ولم أستوعب السؤال ، ولم أفهم ، ولم أتعجل التعليق على ذلك السؤال المفاجئ .

فعاد يسألنى : مالك . . اتلخبطت كده ليه . . دوشتنى . . وطول الوقت بتقول : هاتوا لى مثقفات سعوديات . . طلبك عندى . ما رأيك ؟ .

قلت : موافق .

قال : الليلة عندى فى البيت سوف تجد عددًا كبيرًا ، وأنت المسئول عن الذى سوف يحدث لك . . فعندهن أسئلة تشيب العفريت ، وأنت عفريت وسوف يشتعل رأسك شيبًا ، وسوف تنكسر رقبتك أيضًا ! .

وكان موعد العشاء ، وهو من أكثر وزراء السعودية ثقافة وعلمًا ، ومن أخفهم دمًا ، رأى الدنيا ، وعاش وقرأ ، وعرف ، ويحب الذين يعرفون ويقرءون ، أما زوجته فهى سيدة لطيفة محترمة ، حلوة الحديث ومعاملتها للناس بديعة ، وهى فنانة أيضًا . . تحب الموسيقى وتعزف على البيانو . والجلوس حولها سعادة كبرى .

ولابد أن تكون هذه السيدة الفاضلة هى التى سوف تجمع صديقات لها مثقفات ، ولم أعرف كيف يكون الحوار معهن . .

لابد أن يجثن طبعًا محجبات . ولابد أن يستدرن عند الحديث ، ومفروض أن أسمع ولا أرى .

معقول ؟! أنا الذى أسأل نفسى . .

وقلت لنفسى : لعله يمزح ،لعله مقلب . . وهو يحب المقالب . مش مهم ! .

وذهبت متأخراً قليلاً ، قابلنى بالأحضان والقبلات ، البيت جميل . وله رائحة بخور هندى خفيف ، وروائح أخرى ، روائح نسائية . فأنا أعتمد على أنفى وعلى أذنى أكثر من اعتمادى على عينى . . فقلت فى نفسى : هذه رائحة «أوبيوم» . . وهذه «شنشلا» وهى رائحة نادرة لا تضعها إلا الفتيات الصغيرات ، ثم لابد أن إحدى السيدات الكبيرات فى البيت موجودة فهناك رائحة «أربيج» ثقيلة ورائحة «شانيل» أيضًا . . وربما كانت هناك رائحة «ياسمين» . . وهذه تفضلها الزوجات حديثات العهد بالزواج . . كل ذلك من استنتاجى أنا . . ووجدت رجالاً ، علية القوم ، ووجدت عدداً من السيدات الأوروبيات تمامًا . . منظرًا ومظهرًا وأناقة وشياكة وعطورا ، ووقفن للتحية ووضعت وجهى فى الأرض ، وعلى الرغم من أننى جرىء العبارة فإننى فى حضرة السيدات أو حتى الرجال خجول . . وعلى الرغم من أننى كنت مدرساً فى الجامعة أكثر من ١٥ عامًا فقد اعتدت مواجهة المئات والألوف ، ولكن لست شجاعًا فى مواجهة واحد على ألف من هذا العدد إذا كان من النساء فقط ! .

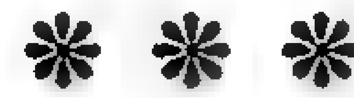
وهزنى صاحب البيت قائلاً : اتفضل يا أستاذ . . عاوز مثقفات . . أمامك المثقفات ، ولعلك سمعت أنهن يتحدثن الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية بمنتهى الطلاقة ، اتفضل ارفع رأسك يا أخى واسأل . فلن ترحمك واحدة منهن !

واحدة قالت : أنا اللى حاسأل ، وأخرى قالت : أنا كتبت عدة أسئلة . .

وثالثة قالت : بالراحة يا جماعة . . فهذه أول مرة يشعر فيها أنه أقلية ! .

ورابعة قالت : أنا أكتفى بالاحمرار الذى على وجهه والعرق وأطلب له الرحمة ، فلابد أنه نادم على كل ما قاله عن المرأة فى أكثر كتبه ، وأنا لا أطلب رد القضاء والقدر وإنما أطلب اللطف فيه . .

ولم أنطق بكلمة واحدة ! .



لا تقتلونى : سأحضر غدا !

كان عندنا مجلس أعلى استشارى للتليفزيون فى مصر فى أوائل الستينات ، وكانت لنا جلسة واحدة ، وبعدها انحل هذا المجلس ، وفى أول لحظة من الجلسة الأولى ، جاءنا أحد الممثلين يقول : عندى مشكلة وأريد لها حلاً عاجلاً ! .

شىء عجيب . هذا الممثل فرض نفسه علينا .. وفرض مشكلته أيضًا . وقرر هو أن نجد لها حلاً عاجلاً . أى الآن ! .

واندهشنا ولكنه قال : إننى أمثل فى الحلقات المعروضة الآن .. وسوف تظهر البطلة فى حلقة الليلة تقول : إننى كنت أمشى فى الشارع عندما صدمتنى سيارة ونقلت إلى المستشفى ، وفى المستشفى فارقتنى الحياة ، يعنى مت ، يعنى لن أظهر فى هذا المسلسل بعد ذلك . ولكن فى الحلقة التى تظهر بعد غد ، سوف تظهر نفس البطلة وتقول : إن البلد مليانة شائعات .. وإنه لم يحدث أن صدمتنى سيارة ولا نقلت إلى المستشفى ، فأنا لم أمت .. وسوف أظهر فى الحلقة التى بعد ذلك ! .

وتطلعنا إليه نستوضح ، فقال : إنه اختلف مع المخرج ، وكان المخرج يتقاضى أجرًا عن ظهوره ، فلما توقف عن الدفع كان لابد أن يختفى نهائيّاً بالموت .. فلما عاود الدفع عادت له الحياة ! .

ولم نجد دليلاً على صحة ما يقول ، وإن كنا نعلم أنه ممكن جدّاً ! .

فى ذلك الوقت كان لى مسلسل اسمه (العبقرى) . وكان يقوم بدور البطولة «يوسف وهبى» . وكان المسلسل يذاع فى شهر رمضان . وقد سجلنا منه أربع حلقات . وفوجئنا بأن يوسف وهبى سافر إلى إيطاليا لتصوير مسلسل هناك ، وانزعجنا ، فجاءنى المخرج واتفقنا على أن نقتل يوسف وهبى فى حادث انفجار فى أحد المعامل ، فقد كان يوسف وهبى عالمًا باحثًا فى مشكلة الغذاء . ونشرت الصحف أن «أنيس منصور» سوف يقتل يوسف وهبى الليلة ، وأن ممثلاً آخر سوف يكمل المسلسل . وقرأ يوسف وهبى نبأ مقتله وهو فى إيطاليا ، فأرسل برقية عاجلة تقول : عزيزى أنيس . . لا تقتلونى . . سأحضر غدًا ! .

وكان هناك استعجال لأن يجىء بطل آخر لأن أحدًا لا يجرؤ أن يطلب من يوسف وهبى أن يدفع مكافأة للمخرج ومساعديه . فيوسف وهبى لا يدفع ! .

ولما جاء يوسف وهبى سألنى : إيه الحكاية ؟ .

قلت - كاذبًا - إننا خفنا أن تتأخر علينا . . وفى ذلك ارتباك شديد ، فقد سمعنا من بعض أصدقائك أن دورك - رغم أنه بطولة مطلقة - لا يعجبك ، وقد تضايقت لذلك . . ولو صارحتنى بذلك لكتبت لك دورًا أقوى وأخف دمًا وأكثر عمقاً أيضًا ! .

وسألنى يوسف وهبى : وهل فكرة قتلى والتخلص منى فكرتك ؟ طبعا لا . .

قلت : ليست فكرتى .

قال : أنا متأكد ، أنا متأكد ، عندى حل ، وهو أننى سوف أجىء فى نهاية حلقة الليلة وأبتلع حبوبًا سامة . وأموت بيدى بدلا من أن أموت بيد المخرج . ما رأيك ؟ .

قلت : فى عرضك يا يوسف بك ! .

قال : الحل الوحيد الذى أقبله هو أن يظهر معى المخرج .. كما يفعل المخرج العالمى هتشكوك .. يظهر لحظة وأطلق عليه النار .. وبدلا من البحث عن بطل آخر !! .

ولم أعرف إن كان جادًا أو ممثلاً هازلاً .. وفجأة ظهر وزير الإعلام المصرى يقول لنا : إن الرئيس «جمال عبد الناصر» معجب بالمسلسل .. فبدلا من أن يكون ١٧ حلقة اجعلوه ثلاثين حلقة ..

وانحسم الموقف تمامًا لصالح البطل والمخرج والمؤلف والجمهور ! .

* * *

اعتذر ولم يحضر !

كنا فى موسم الحج ، واقترح علينا أحد الأصدقاء أن نتفرج على محطة تنقية المياه الموجودة فى مدينة الطائف . المياه ليست للشرب ولكن لرى الحدائق . والمياه قد أعيد تدويرها .. أى من مياه للصرف إلى مياه للرى . والمحطة يشرف عليها ويديرها الكوريون .. وقد حاول الخبراء الكوريون أن يجعلونا نشرب من الماء الذى شربوه أمامنا عدة مرات ، ولم أستطع ، فأنا أعرف أن هذا الماء قد جاء من دورات المياه .

ورغم أنهم شرحوا المعالجات الكيمياوية للماء ، وكيف أنه أصبح صالحًا تمامًا . لكننى لم أستطع .

ومن المؤكد أننا فى مصر فى حاجة إلى عدد كبير من مثل هذه المحطات ..

وانتهت الزيارة ، وبدأ مشوار العودة إلى المدينة «منى» حيث الزحام شديد جداً ولا تستطيع السيارة أن تمشى إلا مترًا كل دقيقة وأحياناً كل نصف ساعة .. ولما اقتربنا كانت السيارة تمشى مترًا كل ساعة ، وكان لابد من المشى ، والشمس لا أعرف ما الذى أصابها فى ذلك اليوم ، فقد نزلت عدة ملايين من الكيلو مترات - الشمس تبعد عنا ١٥٠ مليون كيلو متر - لقد

أحسست فى ذلك اليوم أنها سقطت فوق دماغنا ، وأن رحمة ربنا جعلتها معلقة فوقنا . . فالأشعة تلسع ، والحرارة تذيب المخ ، والأرض كأنها فرن ، ولم يكن من الصعب علينا أن ندرك أننا دخلنا جهنم وأن العذاب قد بدأ - وهو عذاب نستحقه ولاشك لألف سبب - ولكن الغلطة هى أننا فكرنا فى مثل هذا اليوم الوالع نارًا أن نذهب إلى مدينة الطائف .

وكان علينا أن نخوض فى السيارات والمشاة والواقفين والجالسين والنائمين والدائخين الساقطين على الأرض . . كأننا على مدى ساعات من يوم القيامة - يوم تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله أليم . . أليم جداً - ومررنا على إبليس ووجدنا الناس قد انهد حيلها من إلقاء الحجارة عليه ، وواحد قال : إن كميات الحجارة التى ألقاها فى السنوات السبع الماضية تقيم تمثالاً مثل تمثال نهضة مصر . . وحياتك ولا فائدة ! .

يقصد أنه رغم ضرب إبليس بالطوب فلا يزال إبليس يزين له كل أنواع الشرور .

وقابلت صديقاً جاء من كندا يحج ، وقال لى : إنه لا فكرة لديه عن الإسلام . فأمه أمريكية وأبوه مات وهو صغير ، وهو يتكلم اللغة العربية بصعوبة ، ويعرف طراطيش كلام عن الإسلام .

وسألته فقال : يا أخى إزاى أضرب إبليس بالطوب ، إنها عشرة عمر . . فأنا لم أعرف إلا إبليس . . والعشرة لا تهون إلا على أولاد الحرام ! .

- يعنى إيه ؟ .

= يعنى لا أستطيع أن أرجم إبليس ، إنه هو الذى أدخلنا الكباريهات وكازينوهات القمار . . إنه وإنه . .

- وبعدين ؟ .

= ولا حاجة . . إيدى تنقطع إذا رجمت إبليس . .

- يا أخى ده عمل رمزى . .

= يعنى إيه ؟ .

- يعنى أنك تعلن هنا أنك سوف تقطع صلتك بإبليس وتتوب عن الحرام . .

= كل الحرام ؟! .

- أيوه . .

= معقول الواحد يبعد عن الحرام ؟! .

- المفروض كده . .

= يفتح الله . .

- يعنى إيه ؟ .

= أنا أديت كل المطلوب فى الحج ، بس حكاية أننى أقاطع إبليس صعبة جداً ، يا راجل دى صداقة عمر . .

- صداقة شريرة . .

= يا أخى أنا لا شكوى لى من إبليس . . إنه لم يفرض على الرذيلة . . إننى اخترتها فوجدته هناك .

– كل هذا يجب أن يتغير ، أنت جئت هنا لهذا السبب . . وإلا فهذا الحج حج ناقص ؛ لأن النية غير خالصة لوجه الله . .

= يعنى إيه ؟ أنا كافر ؟!

– لا . . لا . . أعوذ بالله . . أنت فى حاجة إلى من يرشدك فقط . . فأنت إنسان طيب . .

= اسمع ، أنا سوف أقول لك حلاً وسطاً . . أنا جئت وزرت وتفرجت . . وسوف أعود أفكر فى الأمر كله . . وإلى اللقاء فى العام القادم . .

– وإبليس ؟! .

= للعام القادم . .

– . . . .

أضحكنى كثيرًا . . .

***

ممدوح الليثى

إمامًا مخلوعًا

إمبراطور الإنتاج السينمائى فى مصر هو «ممدوح الليثى » ، ضابط بوليس سابق . . ولكنه لا يزال يتصرف كضابط بوليس ولكن بدرجة رفيعة المستوى ، وكل تصرفاته تؤكد ذلك ، فهو لا يتحدث إليك وإنما هو يحقق معك ، ونظراته اتهام لك . . بل تفتيش ذاتى ، لماذا ؟ لا شىء وإنما هو الطبع الذى يغلب التطبع والتطبيع . .

تسأله سؤالاً فيرد عليك بعشرة أسئلة ، وهو لا يتصنع ذلك وإنما هو طبع ضابط البوليس الذى لم يعمل إلا وقتًا قصيرًا جدًا ، وكل شىء فى ممدوح الليثى قد تغير من الداخل والخارج ، ولكن ظل ضابط البوليس موجودًا فى أعماقه لم يتم الإفراج عنه لسوء السلوك . . ولذلك تفاجأ بأنه إذا رآك يقول لك : مين هناك ؟! ، ويبرم شواربه . . ومن الممكن ألا ترد عليه ، وهذا ما يحدث عادة ولكن من الصعب تغييره .

مثلاً يدعوك إلى تناول الإفطار فى بيته - هذا إذا دعاك - وأنت جالس فى بيته تأكل من طعامه هو وفجأة يقول لك : إيه رأيك فى السمك ؟ .

- وأين السمك ؟

- ألا يوجد سمك هنا ؟ . . كيف ؟ .

- لا يوجد ! .

وينهض من المائدة ويغيب نصف ساعة ويعود يعتذر . ثم يقول لك : بلاش سمك . . شوف الحمام المحشو . .

- ولكنى لا آكل اللحوم . .

= آه نسيت . . وأين الحمام ؟ .

- لا يوجد حمام على المائدة .

ويترك المائدة فى عصبية . ثم يغيب نصف ساعة . . ويعود كأن شيئًا لم يحدث وليقول لك : آسف والله . . ولكن خير ربنا كتير . . لقد توقعت مثل هذا الموقف الصعب . . عندنا أرز بالكبدة من ألذ ما يمكن . .

- ولكنى لا آكل اللحم .

= ولكن أين الأرز ؟ .

- هذا هو الأرز

= وأين الخلطة والكبدة ؟ .

ويترك المائدة ويغيب ربع ساعة ويعود ويعتذر للضيوف يمينًا وشمالاً ثم يتلفت حوله فلايجد أحدًا يطلب إليه أن يأتى إلينا بأى شىء نكمل به طعام الإفطار . . ويعتذر لنا بأن ضابط البوليس قد تيقظ فجأة ومارس صلاحيته وبعث بكل الخدم إلى نقطة البوليس على أن يتم الإفراج عنهم غدًا .

وفى موسم الحج قد عانينا كثيراً من الضابط ممدوح الليثى فكان يوقظ الزملاء وينام هو ، فماذا فعل ؟ .

إنه قام بضبط الزملاء نائمين وأيقظهم ونام . . أى أنه أثبت عليهم أنهم كانوا نائمين ، وهل المفروض ألا ينام أحد ؟ طبعًا لابد أن ينام ، ولكن ممدوح الليثى يجد متعة كبرى فى أن يضبط شيئًا ما . . أى شىء .

ويسعده ذلك بقدر ما يتعسنا جميعًا ! .

لقد أزعجنا كثيرًا عندما فرض علينا بقوة البوليس أن يكون الإمام فى الصلاة ، ولا هو الأكبر سنّاً ولا هو الحافظ للقرآن ، ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً . . فهو يريد أن يأخذ الدنيا والآخرة بالقوة ، واتفقت مع الزملاء أن نتركه يقف ويصلى أمامنا ولا نصلى وراءه ، وتقدم للصلاة وهلل وكبر وبسمل . . ولم يسمع أحدًا يردد وراءه شيئًا فتوقف عن الصلاة ، فقد وجدنا جالسين وسأل : إيه الحكاية ؟ .

قلت له : خلعناك ، فأنت الإمام المخلوع ! .

واتفقنا مع الصديق «لطفى عبد القادر» وكيل وزارة الثقافة أن يكون إمامًا متواضعًا متسامحًا . فوافق .

وسألنا عبد القادر : إيه طلباتكم ؟ .

- ألا توقظ أحدًا من نومه .

= حاضر .

- ألا توقظ ممدوح الليثى .

= حاضر .

- أن نترك له الغرفة ونصلى فى الشارع .

= حاضر .

- أن ندعو الله ألا تقبل صلاته وصيامه وحجه .

= حرام يا أخى .

- إذن أنت لا تصلح إمامًا ! .

أنا مستعد أن أدعو عليه ولكن ليس فى الصلاة .

- موافقون .

= إذن تبدأ بالدعاء على ممدوح الليثى ، اللهم . . .

فصرخ ممدوح الليثى : يا إخوانًا حرام ،خلاص تبت ، لن أصلى هنا ولن أراكم بعد اليوم . .

فعدنا نقول : اللهم . .

- اللهم تب علينا جميعًا . . اللهم اهدنا . . اللهم اشرح صدرنا للإسلام . . اللهم أنقذ ممدوح الليثى من ضابط البوليس الذى يعذب به كل أصدقائه . .

- اللهم آمين . .

وكأن شيئًا لم يحدث ، وإذا بممدوح الليثى يسألنا واحداً واحدًا : من صاحب فكرة خلعى من الإمامة ؟ . . أنت ؟ أنت ؟

وفى نفس الوقت قلنا جميعًا : أمسكوا البيه الضابط فقد ظهر مرة أخرى !! .

دين جديد اسمه
الشمالية! أو الشيشوية

نشرت الصحف البريطانية صورة لأناس رجالاً ونساءً وأطفالاً قد التفوا حول بيانو ، البيانو فى الشارع والناس سعداء يغنون . . الصورة عمرها خمسون عامًا .

والناس يحتفلون بيوم النصر فى لندن ، وقد طلبت صحيفة «ديلى إكسبريس» من كل من يجد نفسه فى هذه الصورة أن يحكى : متى تم ذلك ؟ وكيف كان شعوره ؟ وما الذى فعله قبل وبعد الوقوف والرقص على أنغام الموسيقى ؟ . . وما الذى يذكره من أهوال الحرب ؟ وله مكافأة مالية كبيرة !

الفكرة بديعة . وأنا عندى فكرة مماثلة فلننشر صورة للمصريين من الصحفيين والمفكرين والفنانين الذين وقفوا عند رفع العلم المصرى على طابا .

ثم ننشر صورًا لهم فى بغداد وهم يهتفون بحياة صدام حسين منقذ العروبة ومنقذ مصر - أى والله العظيم قالوا : منقذ مصر . . منقذ مصر من مين ؟ من الحكومة الوطنية الشرعية الى تحكمها . تصور ؟! .

وننشر صورًا لهم أيام عودة السادات من القدس ، وننشر ما الذى قالوه عن السلام وعن الخيانة - خيانة السادات وحكومته ورجاله

ومستشاريه - لأنهم جميعًا قد خانوا مصر ، لأنهم باعوا مصر وتآمروا على مصر ! .

واليوم ماذا يقولون عن السلام وعن السادات ؟ .

بلاش هذه الصورة ، هناك صور أخرى للسادة الشيوعيين المصريين وماذا قالوا عن روسيا العظمى وحكامها المقدسين .. والتاريخ قوة قاهرة تفرض الشيوعية إنصافًا للفقراء وتحقيقًا للعدل بالحديد والنار بين الفقير والغنى . فلما سقط الاتحاد السوفييتى بفكر وفلسفة واحد من أبنائه هو «جورباتشوف» . ماذا قالوا ؟ لقد اتهموا جورباتشوف بالخيانة والعمالة للأمريكان ! .

واندهش الرجل وقال : إن الشيوعيين المصريين أكثر تحمسًا لروسيا منه هو ! .

ثم ما الذى قالوه بعد ذلك ؟ لقد هاجموا الشيوعية واتهموها بأنها قد ضللت الفقراء سبعين عامًا ، وأن زعماء الشيوعية يجب نبش قبورهم وإحراقهم من جديد ! .

أى أن آلهة الأمس صاروا أبالسة اليوم ، كيف ؟ هذا ما حدث ! .

أما الأديان فكان من رأيهم أنها (أفيون الشعوب) .. أى أن الناس قد أدمنوها ، ولأنهم أدمنوها لا يستطيعون أن يتخلوا عنها . إنها فى دمهم . ومن رأى الشيوعيين أنه لابد من شفاء الناس من الأديان والعودة إلى الله - أقول هذه العبارة مرة أخرى - وقد قال واحد شيوعى كبير الشأن فى مصر : انتهى كل شىء ، لقد عفونا عن الله ! .

هل هناك سفالة وغرور وانحطاط أكثر من ذلك ؟ !

أى أنه آمن بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله ، كيف ؟ لا يهم كيف ، ولكنه آمن ، لأن الشيوعى هو الشخص الذى يصلى الفجر فى المسجد والظهر فى الكنيسة والعصر فى الكنيست والعشاء فى الكباريه ، ولا يجد تناقضًا فى كل ذلك ، فكل وقت وله آذان ، وكل أذان وله معبد ، وكما أن الإنسان ينام ويفطر ويتغذى ويتعشى ويسهر ويسكر دون تناقض فى كل هذه الأفعال ، فكذلك المفكر الشيوعى ، فهو شيوعى وشيعى وكاثوليكى وصهيونى ، كل ذلك معًا ! .

باختصار :إن المذهب السائد بين المفكرين اليساريين - بفرض أن هناك شيئًا بهذا الاسم - فهو الشيشوية : أى الشيعى الشيوعى . كيف ؟ .

ثم الشيمالية . . أى الشيعية الرأسمالية . . فالواقع أمامك واضح تماماً . . إنهم أناس يتفضلون على البشرية بأنهم قد عفوا عن الله ، أى سمحوا بوجود الله فى المساجد والكنائس والمعابد . . - وكانوا قد حبسوا الله فى الكرملين - وهذه عبارة لهم أيضًا ! .

هل هذا ممكن ؟ .

نعم قد أمكن . ولذلك نجد الصور القديمة لهم فى حالة تشنج ضد السلام ، والآن فى حالة تشنج مع السلام ، . . وغدًا ضد السلام ، وبعد غد مع الأمريكان ضد الروس . وبعد غد مع اليابان ضد الأمريكان . .

فما المعنى ؟! .

المعنى واضح ، وهو المثل الشعبى المصرى الذى يقول : اللى تغلب به العب به . .

أى الشىء الذى يجعلك تكسب هو الشىء الذى يجب أن تتمسك به ، فمن أين يجىء المكسب الآن ؟ يجىء من التمسك بخطوط الموضة التى هى : الإسلام الشيعى والسلام الإسرائيلى والدولار الأمريكى .

أرجو أن ترجع إلى الصور التى ذكرتها فى أول المقال ، وسوف ترى عجائب المخلوقات التى تزحف على بطونها . . وقديمًا قال نابليون عن الجيوش : إنها كالأفاعى تزحف على بطنها - أى على معدتها - فإذا خلت المعدة ، ماتت الأفاعى . .

وهؤلاء يزحفون على البطن وعلى الظهر ويرقصون على كل نغمة ويركعون لكل قوى ، ويسجدون لمعبودهم الوحيد : الدولار الأمريكى ! .

* * *

ولم يحضر الأمير بدر !!

لم يكن هناك موعد مع صديقى الأمير «بدر الدين بن عبد العزيز» . . ولكن اعتدنا أن نلتقى عنده فى العاشرة مساء . .

حاولت أن أسأل عن الأصدقاء لكى نذهب معًا . . لم أجد أحدًا . إذن لابد أنهم سبقونى إلى قصر الأمير ، ركبت السيارة إلى قصر الأمير . . استوقفونى . . وقالوا : سمو الأمير فى القصر الآخر .

ذهبت إلى القصر الآخر ، فتحوا لى الباب ، دخلت الصالون ، لم أجد أحدًا ، لقد جئت مبكرًا . . لا يهم ، فتحت التليفزيون ، طلبت قهوة . . ثم قهوة ، ولم يظهر أحد ، ولم أسأل . وجاء الطبيب الخاص للأمير ، تصافحنا . . تكلمنا ، أنا الذى أفتح باب الكلام واسعاً وهو يلم الكلام ويتربس الباب ويخرج . . ثم جاء أحد أبناء الأمير ، أمير أيضًا ، طبعًا رجل لطيف ظريف . . فتح هو باب الكلام . . تركت الباب مواربًا ، ثم مفتوحًا على الآخر . . على السياسة والأدب والفن ، وفجأة تسلل الأمير ولم يعد . .

وعاد الطبيب وجلس بالقرب من الباب وسألته : فيه إيه يا دكتور ؟ .

- ولا حاجة . . ليه ؟ .

= مش فاهم . . أمال سمو الأمير فين ؟ .

- حالاً . .

ولم أفهم ، حالاً سيجىء ؟ أو حالاً سيذهب إلى ولى العهد ؟ أو حالاً سوف تعرف أين هو ؟ .

وأمام قصر الأمير توجد أتوبيسات لها دوى ، فموتورات الأتوبيسات على آخرها محدثة ضجة غريبة . . ولم يحضر الأمير . . فسألت الطبيب الخاص للأمير : فيه حاجة ؟ .

يبدو أن الأمير لن يجئ . . وأصدقاؤنا يعرفون ذلك فلم يحضروا . . غريبة ! .

ولما أدرك الطبيب أنه لابد أن يوضح لى شيئًا . . قال على خجل شديد : يبدو أن الأمير لن يحضر . .

- آه . . خير إن شاء الله . .

= لأنه مسافر ! .

- مسافر ؟ إلى أين ؟ وهل السيارات الضخمة الواقفة بالمئات سوف تنقل كل الأسر ؟ .

= نعم . .

- إلى أين ؟ .

= إلى الصحراء . .

- يا خبر . . مش تقول لى يا دكتور . . أو أى أحد يقول لى .

= هذا مستحيل ! .

- يعنى إيه ؟ .

= يعنى لو جلست هنا حتى الصباح ، وأسرة الأمير نامت فى الأتوبيسات فلن يجرؤ أى إنسان أن يقول لك ذلك . . لأن معناه أن يطردك أو يجرح شعورك . . لا تنس أنهم بدو . . والضيف عندهم ليس أميرًا . . إنه سلطان ! .

– يعنى الأسرة كلها موجودة فى الأتوبيسات فى انتظار أن أفهم وأن أخرج وأعود إلى الفندق ! .

فهز رأسه قائلاً : بالضبط ! .

وتصببت عرقًا من الكسوف . . ولكن لم أكن أعرف أن الأمير لا يلتقى بالأصدقاء كل ليلة . . وإنما بعض ليالى الأسبوع . . وإنما يكون هناك اتفاق مسبق على ذلك ! .

ولما قابلت الأمير بدر بن عبد العزيز بعد ذلك حكيت له ما حدث . . وكان قد عرف . .

فقال : مستحيل طبعاً أن أى إنسان يقول لك ما معناه : اخرج . . أبدًا . . يستحيل أن يحدث ذلك . .

– ليس فى ذلك أى حرج يا سمو الأمير . . فكل ما فى الأمر أننى لا أعلم ، وأننى جئت على غير موعد . . أنا أستطيع أن أفعل ذلك مع أى واحد جاء إلى بيتى بدون اتفاق . .

= أما نحن ، فهذا هو المستحيل . .

– يعنى كان فى استطاعتى أن أطلب قهوة وعشاء فلا يعترض أحد . .

= هذا مؤكد ! .

– هل تعرف قد إيه أنا مكسوف ؟ .

= وهل تعرف كم يكون الأمر فظيعًا إذا تجرأ أى إنسان من قريب أو من بعيد وقال لك : إن هذه السيارات بما فيها من أفراد الأسرة فى انتظار ما تقرره أنت وحدك . . فى البقاء أو فى مغادرة المكان ! .

– تعرف يا سمو الأمير . . أنه حدث أن أخطأت فى موعد عشاء ، فبدلاً من أن أذهب يوم الأربعاء ذهبت يوم الثلاثاء . فلاحظت من أول ثانية ، من دهشة الخادم الذى فتح لى الباب أننى غلطان . . وسألته بسرعة : هوه العشاء إمتى ؟ .

قال الخادم : غدًا يا أفندم . . وقد سمعنى صاحب البيت وزوجته . . وجاءت عباراتهما غامضة ، ولكنها فى الوقت نفسه فى حالة دهشة شديدة . . وانسحبت ولم أسمع عبارة واحدة أو كلمة تشجعنى على الوقوف حتى يجىء الأسانسير فنزلت على السلم . . وهى غلطتى أنا . . وطبيعى أن يفعل أهل البيت ذلك ، وأن أنزل على السلالم . . ولم يحدث ارتباك أو اضطراب . . فهذا عادى جداً ألا يستقبلونى ، فقد جئت فى غير الموعد . .

= أما عندنا فهذا مستحيل . .

– إذن أعملها وأجىء فى غير الموعد ؟ .

= أهلاً وسهلاً فى أى وقت ! .

* * *

وعلق صورة لقطسيامى !

اقنعت صديقى «د . عبد المجيد» أن يجىء إلى مصر . . ويستثمر أمواله فيها . . فمصر أولى به ! .

وجاء الرجل وفتح شقتين على بعض . . وأتى بسكرتيرة جميلة . . وعقل إلكترونى وفاكس . وبدأ يستورد مواد طبية ، وأحزمة لمصابى الانزلاق الغضروفى ، وقابل وقتها رئيس الوزراء د .«على لطفى» ووزير المالية د . «صلاح حامد» . . وتحسنت معنويات الرجل . وطلبوا إليه أن يستورد كميات أكبر من (عجينة) توضع على العظام المكسورة بدلا من الجبيرة من الجبس . . ولكنهم فى جمرك الإسكندرية أصروا على أن يدفع - رغم أنه فى القاهرة لا يدفع - زى بعضه ! .

وفى يوم طلب خمسة آلاف حزام طبى ، وفى الجمرك قالوا له : ليس هذا حزامًا . . ولكنه (كورسيه حريمى) . ولا بد من دفع جمرك ! .

وحاول الرجل أن يقنعهم بأنه رجالى ، قالوا : حريمى . .

قال : رجالى . . قالوا : حريمى ! .

والرأى لهم طبعًا ، فوافق على أنه حريمى ، وأن يدفع الجمارك المطلوبة . وعند الاستلام وجد الحزام الطبى ناقصًا ثلاثة آلاف .

والمطلوب أن يدفع جمرك الخمسة آلاف ، فكيف ؟ هم قالوا ، انتهى ، ودفع . .

وكان ينزل فى فندق فلسطين بالاسكندرية . فجاءه رجل بجلباب ، ويقول له : السلام عليكم . .

– عليكم السلام .

– مش سيادتك د . عبد المجيد .

– أيوه . .

– مش سيادتك دفعت الجمرك عن خمسة آلاف وتسلمت ألفين ؟ .

– أيوه . .

– طيب يا سعادة البيه الثلاثة آلاف حزام رجالى راحوا فين يا بيه ؟ .

– مش عارف ! .

– أنا عارف يا سعادة البيه . . دول أكلتهم القطة . .

– مش فاهم . . يعنى إيه ؟ .

– أيوه . . أنا أحب اللى يأخذ ويدى معايا . . أهوه كده . . بقينا فى بنها . .

– يعنى إيه ؟ .

– يعنى قربنا من القاهرة . . يعنى قربنا من الحل . . شوف يا سعادة البيه . . أنا عاوزك تقول : (نو) زى القطة . . وأنا أقول لك : (نو) . . وبالشكل ده حنوصل لحل . .

- بس يا راجل ، إيه اللى أنت بتقوله ده ؟! .

- الله ، جرى إيه يا بيه .. ما أنت كنت كويس .. أنت تتونو معايا ... وأنا أنونو معاك .. لكن تبسبس لى وأنا أبسبس لك .. حتضيع عليك الخمسة آلاف الثانية .. مش سيادتك طالب خمسة آلاف حزام ثانية .. إنها موجودة فى المراكب .. وحيوصل الميناء بكرة إن شاء الله .

- إيه المطلوب ؟ .

- أيوه ، أنا أحب الكلام ده ..

- شوف يا بيه ، أنا حاجيب لك الخمسة آلاف الثانية وأنت حتدفع جمارك عن ألفين بس - حلو الكلام ؟ .

- حلو الكلام ! .

وجاءت الدفعة الثانية من الأحزمة ودفع الجمرك الذى حدده هذا الرجل ، وأخذ البقشيش وذهب .. وهذا الرجل قدم نفسه للدكتور عبد المجيد هكذا : أنا يا سعادة البيه جاى لك بالنيابة عن عموم القطط فى الجمارك ! .

وطلبت صديقى عبد المجيد فى التليفون وقلت له : إزيك ؟ .

- نو ..

- يعنى إيه ؟ .

- نو .. نو ..

- مالك ؟ .

- تعالى لى . .

وذهبت إليه . ووجدته قد علق صورة لقط سيامى على الحائط وهو يقول : أنا أقول لكل الناس : إن مصر لا ينقصها إلا القطط تأكل الفئران لأن البضائع مكدسة فى المخازن ! .

نو . . نو . . نو . .

وسألت عنه بعد ذلك فقال لى أولاده : إنه قفل الشركة وسافر مع زوجته يتنزهان فى جزر هاواى ! .

***

فقط لقد أكل ٥٦ نسمة!

العالم كله يتفرج على المصريين أهمه .. لأن واحدة ذبحت زوجها وقطعت لحمه ووضعته فى أكياس بلاستيك (صنع فى مصر) .. ثم قامت واحدة أخرى وقطعت زوجها وهرست لحمه وعظامه ووضعتها فى أكياس بلاستك صنعت فى بريطانيا . فالمرأة المصرية كما ترى متوحشة ..

وبدأ الناس يقولون : إن الذى فعلته المرأة المصرية ليس إلا إحياء لعادات فرعونية قديمة .. فلابد أن تكون «إيزيس» هى التى قطعت لحم أخيها وحبيبها «أزوريس» .. وألقت بجسمه فى كل مكان فى العالم ابتداء من مدينة منف حتى مدينة بيروت ..

ويقال فى الأساطير القديمة : إن الآلهة خلقوا الإنسان بأربع أرجل وأربع أذرع .. ثم شطروا هذا الكائن إلى نصفين .. وكل واحد له ذراعان وساقان .. رجل وامرأة .. ليظل الرجل والمرأة يبحثان عن نصفهما الآخر طوال العمر .. لعله يجد نصفه المناسب أو نصفه غير المناسب ، أهو نصف والسلام ! .

وأخيرًا حدث شىء عجيب فى العام الماضى .. فقد ذهب عدد من الألمان فى رحلة بالطائرة فوق جبال الألب .. وسقطت الطائرة . ونجا منها رجلان .. ولكى يعيش واحد منهما ، فإنه اضطر إلى أن يأكل لحم الآخر .. فالحياة حلوة ، ولأنها حلوة فإن الإنسان مضطراً أن يأكل المر لكى يعيش ، ولما أنقذوا الرجل

اعترف بما حدث ، وتحير رجال القانون أمام هذا الذى أكل لحم أخيه الإنسان ! .

وظهر فلاسفة يجدون ألف عذر لهذا الإنسان المتوحش ! .

وعندما كنت فى الكونغو مرفقاً للقوات المصرية سنة ١٩٦٠ قيل لنا : إن عددا من المصريين الذين تفرقوا فى الغابات كانوا هدفاً لقبائل «نيام نيام» التى أكلت سبعة من المصريين أحياءً ! .

ولم يعلق أحد فى الدنيا كلها على ذلك . . فأكل الإنسان مسألة مزاج . . وعيب اللحم الآدمى أن نسبة الملح فيه عالية جداً ! .

وأخيرًا ومنذ أيام تحدثت الدنيا كلها عن الرجل الروسى الذى قتل ٥٦ مواطناً وأكل لحمهم ، الرجل ظهر أمام القاضى هادئًا تماماً . . سأله القاضى : أنت قتلت هؤلاء ؟ .

– نعم .

– أنت أكلتَ لحمهم ؟ .

– نعم . ليس كل اللحم .

– إذن ما الذى أكلت ؟ .

– فقط الأماكن الناعمة اللينة .

– مثل ماذا ؟ .

– مثل الوجنتين والنهدين . . وبعض المؤخرة والفخذين . . ولكن لا أحب القلب والكبد . .

– وكيف كان شعورك ؟ .

– ولا حاجة . . طعام لذيذ .

- ولكن لماذا قتلت هؤلاء الناس ؟ .

- أولاً : لأنهم عاطلون وحياتهم عذاب ، فأردت أن أريحهم . . وثانيا :لأن القتل بلا سبب نوع من الجنون . . فأنا قتلت لكى آكل . .

(أما أهالى الضحايا فهم يصرخون فى المحكمة ويلعنونه ويريدون أن يحرقوه . والرجل كان هادئًا تمامًا) .

وكان للرجل محام يدافع عنه . . وكان حريصًا على أن يثبت للمحكمة أنه مجنون - كما هى العادة - بقصد تخفيف العقوبة ، وجاء الأطباء النفسيون والعصبيون وامتحنوا الرجل فوجدوه عادياً جداً . . لا يعانى من أى اضطراب . أى أنه مجرم هادئ مع سبق الإصرار والترصد ، وأنه غير نادم على أى شىء . . ثم قال : إن جريمته أقل خطرًا من جرائم الحروب التى تؤدى إلى إبادة الملايين بلا سبب واضح ! .

ولم نقرأ فى الصحف العالمية سطرًا واحدًا عن وحشية الروس ، وإنما فقط عن وحشية واحد روسى . . وهذا هو الفرق بين ما تنشره الصحف العالمية عن حادث فى مصر وحادث فى أوروبا . . فالحادث المصرى يدل على انحراف المرأة المصرية - ٢٧ مليون امرأة- والحادث الروسى يدل على الجوع الذى أصاب رجلا روسياً واحدًا . . رفض قبل ذلك أن يأكل الخراف والأبقار الواردة على سبيل المساعدة من بريطانيا لأن بها ديدان . . وفضل عليها اللحم الروسى الآدمى - منتهى العدل من وسائل الإعلام العالمية !

ولكن السقف لن ينشق

الرحلة طويلة من بكين إلى موسكو . . وهم لا يقدمون لا طعامًا ولا شرابًا فى الطائرة . . ولا موسيقى ، والإضاءة غير مريحة للقراءة . . ولا أحد حولى أحد يمكن أن أتحدث إليه . . فإذا نظرت إلى أى واحد ابتسم . . فإذا ابتسم وهو كالتمثال فهو صينى . . وإذا ابتسم وتحولت الابتسامة إلى ضحكة فهو فلبينى . . وإذا نظر إليك لأنك نظرت إليه ثم لا يظهر وجهه أى دليل على أنه رآك أو رأيته فهو هندى . . وإذا نظرت إليه فابتسم وأحنى رأسه إلى الأمام فهو يابانى . . وإذا نظر إليك كما نظرت إليه مع تنبيهك إلى أنه لم يكن من حقك أن تفعل ذلك ، وأنه سوف يوريك شغلك عندما تهبط من الطائرة فهو روسى ! .

ولا تزال أمامى خمس عشرة ساعة ، هذا إذا وصلت الطائرة التى تتعثر فى السحاب وتتساقط بين كل سحابة وأخرى . . أو تتوقف محركاتها فجأة ثم تستأنف دورانها . . فما أبعد النوم . . وما أبعد التفكير فى أى شىء آخر .

ونظرت ورائى فوجدت مقعدًا خاليًا إلى جوار رجل آسيوى له لحية . . يبدو أنه من الجمهوريات الإسلامية السوفيتية . . واستأذنت الجالسة إلى جوارى - والتى تفيح منها رائحة البصل والكرنب وروائح أخرى - أن تقف لحظة لكى أجتاز المسافة الضيقة بين المقاعد . .

وذهبت إلى الرجل فوجدته يقرأ القرآن ، فحمدت الله أننى وجدت أحدًا يعرف العربية فقلت له : السلام عليكم .

وظل الرجل يقرأ القرآن وكأننى لم أقل شيئًا . . ونظرت إلى المصحف فوجدته باللغة العربية . . إذن فالرجل لا يريد أن يتوقف عن القراءة حتى يصل إلى نهاية السورة . . ووصل إلى النهاية . وأقفل المصحف وقال : وعليكم السلام . . من أين ؟ .

قلت : من مصر .

قال : وإلى أين ؟ .

قلت : إلى موسكو .

- صائم ؟ .

- الحمد لله .

وعاد الرجل إلى قراءة المصحف . . ونظرت إلى السورة فوجدتها من السور الطويلة ، فوضعت يدى على كتفه قائلا : بل أريد أن أستشيرك فى أمرى ؟ .

فأقفل المصحف وقال : نعم .

- قلت أداعبه : ماذا تفعل لو أن ديكًا روميّاً ألقى بنفسه عليك . . ووجدته محمرًا تفوح منه رائحته الجميلة وكان محشوّاً بالفستق . . وأنت لا تعرف إن كانت الشمس قد غربت أو لا تزال فى الأفق . . وإن كان موعد الإفطار قد حان أو أننا على مدى ساعات من ذلك . . قل لى ماذا تعمل ؟ .

فقال الرجل ولغته العربية ركيكة : وكيف يجىء الديك الرومى هنا ؟ .

قلت : نفرض .

قال : إنهم لا يسمحون بحمل الطيور والحيوانات فى هذه الطائرة .

قلت : أعرف . . ولكن أقول لك نفرض أن هذا حدث . .

قال : ولكن هذا لن يحدث ! .

قلت : بلاش كده . . نفرض أن سقف الطائرة قد انشق وهبط منه ديك رومى . . بلاش ديك رومى . . عصفورة محمرة فوق فنجان شاى ملىء بالفريك . . ماذا تفعل بها وأنت شديد الجوع ؟ .

قال : ولكنى لست جائعاً .

قلت : نفرض . . نفرض . . . .

قال : لا أفهم . .

قلت : مجرد فرض أن السقف انشق وسقط علينا من السماء طيور محمرة وأطباق من الأرز والمكرونة .

قال : ولكن السقف إذا انشق فسوف نموت جميعًا لأن الهواء سوف يسحقنا ، ودرجة الحرارة خارج الطائرة تصل إلى سبعين درجة تحت الصفر ! .

ووجدت أن الحوار من طرف واحد بايخ فعلاً . . فالرجل طيب ساذج ومعلوماته فى اللغة العربية متواضعة ولا بد أن فكرته الآن عن المصريين سيئة جداً . . فهم لا يقرءون القرآن فى هذه الرحلات الطويلة . . وإذا وجدوا واحدًا يقرأ فإنهم لا يتركونه فى حاله . . وأكثر من ذلك أنهم خرافيون . . يفرضون فروضًا وهمية

لمجرد أنهم جائعون ، وأنهم يدوسون على أقدام الناس أثناء الحديث إليهم - فقد اكتشفت أننى أضع قدمى طول الوقت على إحدى قدميه واعتذرت - ثم إنهم لا يتوقفون عن الكلام . وأسوأ من ذلك أنهم لا يحترمون الأكبر سناً . فالرجل قد مد يده ورفعها إلى شفتى ولم أقبلها . فلم أجد سببًا لذلك ! .

فقلت له : هل تحب أن أقرأ لك القرآن ؟ .

فأعطانى المصحف ، فقال الرجل سعيدًا : شكرًا . . ولم أكد أقرأ حتى وجدت الرجل قد تراجع فى مقعده وبدأ ينام . . ونام . . فأقفلت المصحف وأخذته معى لأقرأه فى مقعدى . . ونهضت ثم ارتددت إلى الرجل . . فقد كان المصحف مربوطًا بسلسلة . . ولما ارتددت اصطدمت بالرجل . . فلما أعدت له المصحف معتذراً وابتعدت بسرعة فاصطدمت بالمضيفة واعتذرت لها فسقطت على السيدة الجالسة إلى جوارى واعتذرت لها . .

وتطلعت إلى السقف . . أتمنى أن ينشق وأن يأخذنى أحد بعيداً عن مواجهة هؤلاء الناس . .

ونظرت إلى الرجل وهو يضحك ، ويشير إلى سقف الطائرة قائلا : ولكنه لن ينشق ! .

***

لأن هؤلاء الشبان لا يضحكون

ليس أسهل من أن تجعل أى إنسان يبكى . . دبوس يكفى . . ضع أصبعه وراء الباب . . اصفعه على خده الأيسر والأيمن وقفاه . .

ولكن من الصعب أن تجعله يضحك ؛ لأن الضحك له قواعد وأصول وأسباب وأشكال ؟ .

وخسارة فادحة أن يموت شخص قادر على إضحاك الناس بالكلمة أو الحركة أو الخط . فإذا حدث ذلك فاذهب إلى أقرب مطعم وأغرق نفسك فى شوربة الكوارع والفتة حتى تموت حدادًا عليه ! .

منذ أيام أغلقت مجلة (بانش) البريطانية أبوابها بعد عمر مديد استغرق ١٥١ سنة . . وبعد أن أصدرت ثمانية آلاف عدد وقدمت نصف مليون رسم كاريكاتورى . . ومئات الملايين من الكلمات .

ماتت فى هدوء . . ماتت بالسكتة القلبية . . فقد كانت سليمة صحيحة ، وكان يمكن أن تستمر قرنًا آخر . .

ولكن الصحف التى تملك مجلة (بانش) قد حجبوا عنها الفلوس . . وبعد أن كانت تكسب مليوناً كل سنة ، صارت تخسر مليونين .

لأن هذه المجلة كات تتوجه إلى الطبقة المتوسطة .. إلى المتعلمين وإلى طلبة الجامعات .. وإلى الناس فوق سن الأربعين . وكانت تحدثهم عن السياسة الوطنية والسياسة الدولية والفلسفة الاقتصادية والبورصة .

وكانت ناجحة فى ذلك تمامًا . والناس يحسبون ألف حساب لما تقوله (بانش) .. وكانت مصدر إزعاج للبرلمان وللوزارة والكنائس أيضًا .

ذلك بالسبق فى الأخبار والموضوعات . أما المجلات فلم تستطع ، ثم إن القارئ هو نفسه المشاهد للتليفزيون .. وأغلب المشاهدين من الشباب ، إذن لابد أن تتجه الصحف والمجلات إلى الشباب والا انصرفوا عنها ..

وحاولت مجلة (بانش) فى السنوات العشر الماضية أن (تتمايص) .. فكانت عجوزًا تضع الأبيض والأحمر .. (تتمايس) فى مشيتها وتتدلل .. تمامًا كغراب يضع ريش الطاوس . ولم تفلح ، وأحس القراء الجدد أنها تتحدث إلى أناس غيرهم .. وحاولت أن تتحدث إلى الشبان ، ولكن الشبان لم يستمعوا إليها .. لأنها تتكلم بلغة قديمة .. ولأن الطابع الغالب عليها هو النصح والإرشاد ، والشباب يكرهون ثلاثة أنواع من الناس : المدرس والطبيب والقسيس ..

فهم جميعاً يتفقون فى لهجة الآباء والأمهات .. ولذلك انصرفوا عنها ! .

وكان الهدف الرئيسى من صدور مجلة (بانش) فى منتصف

القرن الماضى أن تقدم للقارئ تصورًا رفيعاً . ومثلاً عليا ، وطريقًا مضيئاً وسط ضباب السياسة والتجارة . وما دامت غير قادرة على أن تفعل ذلك الآن فلا معنى لاستمرارها ، ولذلك قررت أن تموت بيدها هى لا بيد القراء والشبان . . الذين انصرفوا عنها ، وهى لا تستمد حياتها إلا منهم . فماتت فى هدوء ! .

آخر رئيس تحرير لها قال فى نعيها : لم نكن نعرف أننا مطالبون بإنعاشها ، فقد ماتت فى أيدينا دون أن ندرى ، ولذلك لم يكن هناك إلا أمل واحد هو أن ندفنها باحترام . . لا أن نبعث فيها الحياة التى فارقتها منذ زمن طويل ! .

وقال مدير التحرير : أيها السادة إنها لم تمت . . فالمجلات لا تموت . . وإنما نحن الذين متنا . . نحن الذين خدعناها بأننا أحياء . . فماتت وهى لا تستحق الموت ، وعشنا ونحن لا نستحق الحياة ! .

أما آخر مقال افتتاحى للمجلة فكان موضوعه : لماذا أصبح من الصعب علينا أن نضحك . . ؟ .

وكان الجواب : لأننا لم نعد نفهم ما الذى يجعل القراء يضحكون . . إننا لم نتعلم لغتهم ولذلك لم نفهمهم . . ولأنهم لم يصارحونا بأننا لم نعد قادرين على فرفشة القارئ الشاب . . لقد كان ذلك أدباً منهم ، وهم لم يفعلوا إلا ما علمناهم . . فكان أدبهم قاتلاً ! .

* * *

شر لابد منه !

● هناك نوعــان من العــذاب عند الطفل : أن يذهب إلى المدرسة ، وأن يعود إلى البيت فلا يجد التليفزيون ! .

● لو كان رجال الأمن فى الشارع بهذه الكثرة التى نجدها فى التليفزيون ما وقعت جريمة واحدة ! .

● فى التليفزيون تتحدث الممثلات عن موضوعين اثنين : فيلم العام الماضى وزوج العام القادم ! .

● التاريخ يعيد نفسه مرة أو مرتين ، ولكن التليفزيون ألف مرة ! .

● زمان كانوا يقولون : إنهم يهذبون النكتة القبيحة لكى يقولوها فى الإذاعة ، والآن يقومون بتعرية نكت الإذاعة من أجل التليفزيون ! .

● المطربة الجديدة هى التى تحب أن تراها وتكره أن تسمعها ! .

● ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان التليفزيون ثالثهما ! .

● فى مسلسلات التليفزيون يظهر رجل الشرطة بعد أن يكون الجمهور قد ألقى القبض على المجرم ، وقبل أن تطلق المحكمة سراحه ! .

● أهم ما عرفناه من التليفزيون هذه الأيام : أن فى مصر عددًا كبيرًا من الناس لا يعرفون كيف يغنون ! .

● إذا لم تتحسن برامج التليفزيون فسوف يجد كل زوج نفسه مضطرًا إلى الحديث مع زوجته ! .

● التليـفزيون هو الجهـاز الذى يحول الطفل من كـائن لا يكف عن الحركة إلى لوح خشبى كل ليلة ! .

- بفضل التليفزيون فإن أحدًا فى التاريخ لم يعرف ما عرفناه عن إزالة البقع وقتل الصراصير ! .

- لقد استسلم الناس إلى التليفزيون لدرجة أنهم يرونه وقد أغمضوا عيونهم ! .

- أبواب كثيرة يفتحها التليفزيون أهمها : أبواب الثلاجة ! .

- التليفزيون أكبر دليل على أنه من المستحيل أن يتكلم الإنسان بلا صوت ، ولكن من الممكن أن يغنى الألوف دون أن يكون لهم صوت ! .

- الفرق بين الصحف والتليفزيون : أن الصحف تنشر الجريمة ، ولكن التليفزيون يخترعها ! .

- لقد ساءت برامج التليفزيون لدرجة أن الأطفال قد انصرفوا إلى المذاكرة ! .

- عندما انهارت الإمبراطورية الرومانية اخترع الإنسان (السيرك القومى) ليتفرج على الوحوش - وهو الآن يتفرج على التليفزيون ! .

- معظم الأزواج لا يحبون التليفزيون ، ولكن ما دام يؤدى إلى أن تفقد الزوجات النطق فلا بأس به ! .

- لقد أدت الفرجة على التليفزيون إلى أن عاد الناس إلى الإذاعة ! .

- ترى كثيرًا من البرامح عن الأطباء واللصوص - نصفهم يفتح البنوك ونصفهم يفتح بطون المرضى ! .

- البرامج الطبية فى التليفزيون غير واقعية ، فأنت لا ترى طبيبًا يتقاضى أجرًا ! .

***

إلا هذه الكلمات الفظيعة !

لم تكد المطربة شادية تفتح فمها بالغناء حتى ضجت الصالة بالضحك . . الضاحكون كلهم من الروس ! .

فما الذى أضحكهم ؟ لقد كانت تغنى النشيد القومى . . ومن المألوف أن تبدأ كل الشعوب فى الدنيا نشاطها بالنشيد القومى . . ولم نسرق لا كلمة ولا لحنًا من روسيا . . فعلى أيام سيد درويش لم يكن أحد يعرف شيئًا عن روسيا إلا ثورتها الدموية ! .

والروس المهذبون ضحكوا ولكن أخفوا وجوههم فى أيديهم . . ولم نعرف . . ولكن أحد المصريين همس فى أذنى : إن كلمة (بلادى) معناها - باللغة الروسية - الغوانى . . بنات الليل . . وطبيعى أن يضحكوا من أن تكون بنات الليل أو لكلمة فى النشيد القومى ! .

وعرفنا أن إحدى أغنيات عبد الوهاب لاتذاع أيضاً . . وهى أغنية : خى . . خى . . فهذه الكلمة معناها (المؤخرة) فى اللغة الروسية ! .

ونحن فى مصر لا نقول المرة - أى المرأة - ولكنهم فى سوريا ولبنان والمغرب العربى يقولون عن المرأة أو السيدة . . هذه المرة ! .

وفى العراق يقولون عن المرأة : القحبة . . الجحبة ، ولا يجدونها كلمة نابية ! .

أذكر أن المذيع السورى «فؤاد شحادة» كان فى الأتوبيس عندما جاءت سيدة ولم يقف أحد لتجلس مكانه . . فقال فى أدب لأحد الجالسين : من فضلك قم حتى تجلس (المرة) .

فصرخت المرأة : مرة فى عينيك وعين أبوك يا كلب يا ابن الكلب . . المرة تبقى أمك ! .

ولم يفهم فؤاد شحادة ونزل من الأتوبيس حزينًا على ما حدث ! .

ومنذ أيام كنت فى المغرب ، وفى عشاء رسمى جلست إلى مائدة صغيرة عليها عدد من السيدات . . وكان الحديث عن رمضان وما نفعله نحن فى رمضان . . وما يفعلونه . . وقلت : إننا فى رمضان من عشرات السنين لم نغير الشيخ رفعت بصوته الجميل ولا أغنية هل هلالك يا رمضان . .

ثم سكت لأقول : نسيت أغنية وحوى يا وحوى ! .

وأخفت السيدات وجوههن فى أيديهن . . وأحسست كأننى كنت واقفًا ثم سقط بنطلونى . . ولم أعرف ما الذى أقول . . ولا ما الذى قلت . . إننا نذيع أغنية وحوى يا وحوى أيامًا قبل حلول شهر رمضان . .

لكن قالت لى إحدى السيدات - ووجهها أكثر احمرارا من قمر الدين - : إن كلمات وحوى يا وحوى هى كلمات جنسية نابية جدّاً ولا يجرؤ أى إنسان أن ينطق بها . . إنها أفظع الكلمات الجنسية فى المغرب ! .

أما الكلمة التى قلتها بعد ذلك ، وكنت أتحدث عن متعة الذهاب إلى سيدنا الحسين وشراء الطعمية والفجل والبصل والخبز الساخن من الطابونة ، فقد زلزلت المائدة وتساقطت الأكواب والسيدات أيضًا . . إنها كلمة (الطابونة) التى تعنى عضوًا عند المرأة ! .

إنه يوم بلا حانوتى ولا حمائى ولا مصطفى حسين !

الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر بهرت سكان القاهرة عندما كان علماؤها يضعون ورق عباد الشمس فى محلول أبيض فيخرج أحمر . . والناس حولهم يهللون : الله أكبر . . الله أكبر ! .

بينما أى طفل فى أية مدرسة يفعل ذلك دون أن تهتز له شعرة ! .

ولما ذهب «رفاعة الطهطاوى» إلى باريس سجل ملاحظاته فى كتابه الشهير الذى عنوانه «تخليص الأبريز فى تلخيص باريز» . . كتب أن الفرنسيين يأكلون بالملعقة وليس بأيديهم ! وكل واحد يأكل من طبق خاص ، ولا يأكلون من طبق واحد ! وأن الإنسان إذا وقف أمام المرآة ظهر مستقيمًا . . على العكس فى المرايا المصرية التى تجعل له كرشًا ! .

ولكن الشىء الذى أذهل أستاذنا العظيم الطيب رفاعة رافع الطهطاوى وطلب من الله أن يهدى المصريين إلى مثل هذا الاختراع فهو : عربة الرش ! .

فقد لاحظ أن ميدان «الكونكورد» فى باريس يرشونه فى ساعات . . بينما ميدان «الرميلة» فى القاهرة يرشونه بالجرادل من شروق الشمس إلى غروبها . .

يقول الطهطاوى : وطلبت من الله أن يهدى الكنانة إلى مثل هذا الاختراع اللطيف ! .

وفى أول حياتى الصحفية ذهبت أجرى حديثًا مع عالم نفسى اسمه الدكتور السنوسى الذى تخرج فى جامعات أمريكا . وبعد أن تحدثت إليه راح يفرجنى على بيته الجميل . أما أهم شىء فى بيته فهو (البوتاجاز) . . ولم أكن قد رأيت هذا الفرن فى حياتى . فوقفت أمام الفرن ومددت ذراعى . . ونشرت صورتى فى الصفحة الأخيرة من جريدة (الأساس) على ثلاثة أعمدة ولها برواز أحمر . . وكتب موسى صبرى - رحمه الله - تحت هذه الصورة : ويرى الزميل أنيس منصور وقد وقف أمام الفرن الأمريكى .

وكان ذلك سنة ١٩٤٨ ! .

ولم يعترض رئيس التحرير ولا الوزير الذى يشرف على الصحيفة . . أى أنهم أيضا يرون هذا الفرن لأول مرة ! .

وبعد ذلك سافرت إلى أمريكا وزرت قاعدة إطلاق سفن الفضاء الأمريكية . . ولأنى رأيتها قبل ذلك مئات المرات فى التليفزيون فلم أحرص على أن تكون لى صورة تذكارية ! .

ولو بعث الطهطاوى حيًا فلا أعرف شعوره وهو يتفرج الآن على التليفزيون ويرى عربة أخرى تكنس سطح القمر . . ثم تجمع الطوب والزلط وتهبط بهما إلى كوكب الأرض ! .إن العالم يتطور بسرعة هائلة . .

وكان توفيق الحكيم يقول : إن الفرق بينه وبين ابنه إسماعيل . . أن الحكيم عندما كانوا يسألونه : إيه اللى عدى البحر ولا اتبلش ؟

فكان يرد بسرعة : العجل فى بطن أمه ! .

أما ابنه إسماعيل فيقول : الطيارة ! .

ونحن أطفال كان الواحد منا يركب العصا على أنها حصان . . وكان آباؤنا وأمهاتنا ينظرون إلينا فى سعادة ويقولون : الواد حيطلع فارس ! .

وإذا وجدنا نضع التراب فى عيون بعضنا البعض قالوا : طبعًا أطباء عيون ! .

الأطفال الآن يلعبون بالأتارى والنانتندو ! .

الدنيا تتغير بسرعة مذهلة . . فمنذ إلقاء القنبلة الذرية على اليابان من خمسين عامًا ، دخلنا مدارات حول الكواكب الأخرى . . وتعمقنا الفضاء . . والميكروبات . . وانتقلنا بسرعة بين القارات والكواكب الأخرى . .

فالتكنولوجيا معناها تطوير أدوات الحياة . . فبدلاً من أن آكل بيدى فإنى آكل بملعقة . . وبدلاً من أن آكل بيدى ومن طبق فإننى أبتلع حبة ڤيتامين . . ولا بد من أن أمشى على قدمى ، فإننى أركب الصاروخ وبدلاً من أن أزعق لكى تسمعنى فى أمريكا ، فإننى أكلمك فى التليفون . . وبدلا من أن أفرك عينى لكى أرى النجوم ، فإننى أستخدم التلسكوب .

فالتكنولوجيا : هى تطوير الأطراف الصناعية للإنسان . . أى الأطراف البديلة عن اليد والساق والعين والأذن والمعدة . . والعقل أيضًا ، فكثير من العمليات الرياضية والكيميائية تتولاهما الحاسبات الإلكترونية .

وهذا معناه أننا بالتدريج سوف نستغنى عن كثير من أعضاء الجسم الإنسانى . . فتضعف الساقان والذراعان والأذنان . . ولا تزال تضعف وتضعف حتى تنقرض . . أى حتى تصبح مثل زعانف الأسماك . . التى كانت أطرافًا واضحة ، فلما لم تعد الأسماك تستخدمها ، انقرضت وتلاشت .

ولذلك نجد الأسماك فى الأعماق المظلمة للمحيطات لها عيون لا ترى . . عيون صورية . . لأن هذه العيون بلا وظيفة .

والقانون العلمى يقول : إذا ألغيت الوظيفة انقرض العضو . .

ولذلك سوف نصبح على شكل كرة بلا أطراف . . مثل الكواكب والنجوم . . كلها كرات تلف وتدور فى الفضاء . . ونحن أيضًا . .

وأنا أعتقد أن الأطباق الطائرة ليست معادن كالطائرات والصواريخ ، وإنما هى كائنات أخرى من كواكب بعيدة عنا . . راحت تتحور وتتطور حتى اتخذت هذا الشكل الذى يناسب السرعة والبيئة والوظائف الجديدة للكائنات . .

وسوف يصبح المستحيل ممكنًا . .

أما الممكن فهو أن يتحول عود الكبريت إلى نار . . إلى طاقة حرارية . . ثم إلى فحم ويموت . . هذا هو الممكن ! ولكن المستحيل هو أن نعيد النار والحرارة لتكون عود كبريت من جديد- هذا هو الذى لم يقدر عليه الإنسان حتى الآن . .

ولكن سوف يحدث . . ومعنى ذلك أننى بدلا من أن أنتقل من القاهرة إلى نيويورك بالصاروخ فسوف أنتقل بسرعة (١٨٦ ألف

ميل فى الثانية) - أى أحترق وأتحول إلى طاقة ضوئية ، وعلى الناحية الأخرى يعاد تحويلى إلى إنسان . . تماما كما تتحول النار إلى عود كبريت ! .

وفى هذه الحالة التى سوف يصل إليها الإنسان بعد مائة ألف سنة . . أو مليون سنة ، فلن يكون لمثل هذه الكلمات أى معنى : الإنسان . . الحيوان . . الحب . . الكراهية . . الأم . . الابن . . الزوجة . . الحماة . . الحانوتى . . المأذون . .

فمثل هذه الكلمات تشبه الشادوف والطنبور . . والغول . . والعنقاء . . وشمهورش . .

وسوف يتكاثر الإنسان تلقائياً مثل كثير من الميكروبات . . أى دون حاجة إلى زواج . . أو إناث . .

وإذا توارث أحفاد أحفاد مصطفى حسين هذه المجلة فسوف تصدر فى حجم زراير القميص . . ولكى نقرأها يجب أن نضعها عند جانب من الرأس فتنتقل الأفكار باللمس . . وقد نضعها إلى جانب من الرأس حيث كانت القدمان . . وبعد لحظة نتركها تطير فى الهواء كالذباب - بما معناه أن المجلة بايخة - فلا أحد يفهم الكاريكاتير لأنه لا شىء يدعو إلى الضحك . . فالضحك شعور إنسانى . ولم يعد هناك إنسان . . فالصواريخ لا تضحك . . وسفن الفضاء لا تبكى . . ولم ير أحد طبقًا طائرًا يرقص مذبوحًا من الألم ! .

الدنيا تتغير بسرعة لم يتصورها عقل . . ولا نزال نذكر أن أول قاطرة اخترعها الانجليز أطلقوا عليها اسم (الإكسبريس) - وكانت

سرعتها ٦٠ كيلو مترًا فى الساعة ! ويومها صدرت الصحف تقول : إن القاطرة تحركت بسرعة شيطانية !! .

وهى صفة لا نطلقها الآن على أى جسم لأننا على يقين من أن هذه السرعة سوف تتضاعف .. ألوف المرات ..!

والعلم الحديث يقارب بين الأشياء ويباعد بين الناس .. ولا يزال يباعد بيننا حتى ننسى أننا بشرٌ أو كنا بشرا .. وسوف يصبح مثلنا الأعلى هو الآلة : لا تتعب ولا تنفعل ومضبوطة وبلا عواطف .. وإننا جميعًا قطع غيار فى البيت وفى الدولة وفى العالم .. وأن كل واحد يمكن الاستغناء عنه .. وأن نجىء بغيره ليقوم بنفس الوظيفة ..

وسوف يجىء وقت تحتفظ فيه الإنسانية بسلالات منا .. نحن أبناء القرن العشرين .. وهم أبناء القرن المائة ألف .. وسوف يتفرجون علينا كما نتفرج اليوم على جبلاية القرود ..

.. ولن تنتهى دهشتهم عندما يلاحظون أن قردًا طويلاً عريضًا منهمك فى رسم لوحة عن (كفر الهنادوة) . ولأنهم لا يفهمون النكتة فسوف يحاولون معرفة أين يقع هذا الكفر على خريطة كوكب الأرض .. وسيجىء الرد بأن هذا الكفر ليس له وجود إلا فى خيال هذا القرد .. ولذلك سوف يعتبرون هذا القرد الرسام مريضًا يخافون أن تنتقل عدواه إلى القرود الأخرى .. ولذلك سوف ينقلونه إلى العناية المركزة ليعالج فى مستشفى زحل التخصصى ، أى فى كوكب آخر ! .

إن دماغى قد أوجعنى وأنا أجرى بخيالى وراء التطور الإنسانى

الذى يقضى على كل ما هو إنسان . . وأنتهز هذه الفرصة وأحمد الله على ما أعطانا من كل عيوب الإنسان والإنسانية . . فنحن لا نزال نستخدم أيدينا وأرجلنا وعيوننا وقلوبنا وعقولنا - صحيح أنه ليس استخدامًا مثاليًا ، ولكن على الأقل : أحب وأكره وأجوع وأعطش . . وأكتب وأقرأ . .

ثم أنتهى من هذه الكتاب بأن أضع نقطة فى نهاية هذا السطر لأننى كنت أحمل حجرًا فوق دماغى فقررت أن أستريح منه .

***

من مشية الأوزة إلى مشية القطة !!

من ألطف الكتب التى قرأتها كتاب بعنوان (من مشية الأوزة إلى مشية القطة) . مؤلفة الكتاب هى عارضة الأزياء الألمانية الأصل «ميمى تولمان» . الكتاب فى ١٢٠ صفحة . المؤلفة ليست كاتبة ولكن دمها خفيف ، وهى تطلب من القارئ أو القارئة أن تترك السطور وتنظر إلى الصور . .

أما الصور فهى تعرض فتاة جميلة رشيقة طبعًا . مشدودة الساقين والذراعين ، عالية الصدر الصغير ، مرفوعة الرأس على عنق نحيل ، الوجه جميل المعالم : العينان واسعتان زرقاوان والأنف جرمانى والشفتان فرنسيتان مرسومتان مثيرتان . . والشعر قصير والكتفان مستديران . .

وليس واضحًا فى كل هذه الصور حركتها وهى تتمايل يمينًا وشمالا ، ومشية عارضات الأزياء اسمها (مشية القط) . . وقد اهتدت دور الأزياء إلى هذه المشية التى تدب فيها المرأة بقدميها وساقيها . . ولا تتمخطر . لأن هذه المخطرة تشغل المشاهد عن النظر إلى الفساتين والالتفات فقط إلى ساقى المرأة وبقية جسمها ، والمفروض أن عارضة الأزياء هى (شماعة) فقط . . تعرض الفساتين دون أن ينشغل المشاهد بأى شىء آخر . .

تقول ميمى : إنهم علموها كيف تنسى أنها مغرية وأنها مثيرة . فليس هذا دورها وإنما هو دور الراقصات : أما هى فدورها أكثر خطورة وأسمى وأنها لا تعرض حركة حيوان جميل تحت الأضواء ، وإنما تعرض الذوق الجديد والخطوط التى تنتظرها ملايين النساء فى الدنيا . . ففن الخياطة والتفصيل هو الذى يأتى بألوف الملايين لدور الأزياء فى العالم . ودور الأزياء هى التى تدير مصانع القماش والنسيج والصباغة . . وهى التى تفرض الإكسسوارات والعطور والتسريحات . .

وقالوا لها : يجب أن تشعرى بأهميتك . فأنت تحركين المصانع والمشاغل والمعارض والصحف والإذاعة والتليفزيون .

وقالوا لها : أنت وحدك القادرة على نجاح مصمم الأزياء . .

وهم لا يطلبون إلى عارضة الأزياء أن تضحك . الضحك ممنوع . لأن الضحك معناه أن تتجاوب من غير عقل مع مشاعر الجماهير . . وإنما هى تبتسم فقط .

وتقول : إن أستاذة علمتها كيف تمشى وعلمتها أيضًا ألا تبالغ فى الضغط على قدميها . . وإذا لم تكن عندها قطة فى البيت فيمكنها أن تشترى شريط ڤيديو لمشى القطط فوق الأسوار . . هذا هو المطلوب ! .

أما الجوع فهو الحالة التى يجب أن تكون عليها دائمًا . . لا ترتوى ولا تشبع حتى لا يزيد وزنها جرامًا واحدًا . . ولا بد من استخدام أجهزة تدليك الخصر والأرداف يوميًا . لأنه من المهم جدًا ألا تزيد ملليمترات من الدهن . . لأنه لو حدث فإنها تحتاج إلى وقت طويل لإنقاص وزنها وإذابة شحمها . .

أما الكتب فمن الضرورى أن تحتفظ بعدد من الكتب الصغيرة والقواميس أيضاً . هذه ليست للقراءة ، لا تقرأ ولا توجع عينيها ولا تتعرض كثيرًا لضوء الكتب الذى يرهق العين ويؤدى إلى ذبول البشرة . وإنما هذه الكتب تضعها واحدًا واحدًا فوق دماغها وتمشى فلا تسقط . . يجب أن يكون رأسها مستقراً تماماً على كتفيها وأكبر دليل على ذلك هو ثبات الكتب . . وكلما نجحت فى الاحتفاظ بكتاب واحد فوق دماغها . . فعليها أن تضيف كتابًا وقاموساً حتى ترتفع الكتب فوق دماغها إلى نصف متر فلا يسقط منها واحد ! .

وهذا ما تفعله الفلاحة فى الريف عندما تضع البلاص فوق دماغها ، فيقوى عنقها وتتوازن كتفاها وخطواتها . . ولكن الفلاحة المصرية (أنثى خبيثة) . . فهى تجعل الماء يسقط على صدرها . . ثم تجعل الماء يسقط على جانب من الثوب لترفعه حتى لا يتسخ بتراب الأرض . . فترفع الجلباب ليظهر جانب من الساق ، تشعل النار فى عيون الشبان الجالسين على الترعة .

أما (مشية الأوزة) فهى الخطوة العسكرية الألمانية التى تدك الأرض دكاً . . فقد كان جدها أحد ضباط «هتلر» . وكانت كل صوره على الحائط فى بيوت الأبناء والأحفاد تؤكد الشباب والقوة . . أما الآن فقد تعلقت على جدران الأسرة صور ميمى وهى تمشى مشية القطة . . إنها مشية الجمال والأناقة والشياكة ، قد حلت بالذوق محل مشية القوة والعنف والحرب والدم . .

ميمى تقول فى مقدمة كتابها الصغير : إن أعظم انتصار لى أن احتلت صورى المكان الذى كانت تشغله صور جدى . . بالجوع والتعب والتدريب - هى الشروط الضرورية للنجاح فى أى فن ! .

أيها الشباب

أنت لست مشكلة .. الوزراء هم المشكلة !

هل تعرف سبب هذه الضوضاء الموسيقية قبل أن يقوم العازفون بأداء لحن واحد . . إن كل واحد منهم يحاول أن يجرب الآلة التى فى يده على بعض النغمات . . ولأنهم لا يبدءون معًا ، ولأنهم لا يجربون أداء لحن واحد كانت النتيجة هذه الضوضاء . أو هذه الهيصة . وفجأة تسكت كل الآلات . لحظة صمت . . لحظتان . ماذا حدث ؟ لقد جاء المايسترو ووقف أمامهم . . يواجههم وينظر فى النوتة الموسيقية ويرفع عصاه ومعنى ذلك أنهم بعد لحظات سوف يعزفون معًا اللحن المكتوب أمامهم . . فى لحظة واحدة يبدءون الأداء . . وتكون الموسيقى الجميلة التى نعرفها . فماذا حدث ؟ .

إنهم مجموعة من العازفين . كل واحد فى يده آله مختلفة . يجرب أوتارها ويجربها فى عزف النغمة التى يريدها . . والتى لا يريدها زملاؤه . .

معنى ذلك أنه من الممكن أن يكون هناك مائة عازف يجلسون معًا استعدادًا لعزف مقطوعة موسيقية واحدة . . وكلهم يعرفون ذلك . وقد تدربوا عليها طويلاً . . ولكن إذا جلسوا معًا ، ولم يكن لهم قائد ، فإنهم يحدثون هذه الجلبة التى ليست موسيقى ولكنها ذرات . . نشارة . . فتافيت موسيقية . .

فقط عندما ينضبطون ويلتزمون بأداء النوتة المتفق عليها ، يكون هذا الجمال فى الأداء والتعبير ! .

يعنى إيه ؟ .

يعنى أنه من الممكن أن يكون لدينا مائة عازف بارع هم جميعاً قد حفظوا قطعة موسيقية واحدة وتدربوا عليها . . ولكنهم لا يعزفونها معاً . . أى أنهم لم يتفقوا على عزفها . . أو أنهم اتفقوا على عزفها ولكن ليس لهم مايسترو . . ليس لهم قائد . . فكل واحد يعزف نفس اللحن فى أى وقت . . أو فى هذه الهيصة لا يعزف أو ينشز . .

يعنى إيه ؟ .

دعنى أدخل بك فى يعنى إيه ؟ .

دعنى أدخل بك فى إدارة الحكم والسياسة ، لكى أعود إلى الذى أريد . هناك نوعان من الحكومات : حكومات العلماء .

وحكومة علمية . .

حكومة العلماء هى التى يكون وزير الداخلية فيها ضابط بوليس . . ووزير الدفاع ضابط جيش ووزير الصحة طبيبًا ، ووزير الزراعة والرى والكهرباء مهندسًا . . ووزير المالية محاسبًا ووزير الخارجية دبلوماسياً . . ووزير التعليم مدرسًا . . ووزير الثقافة أديبًا أوفناناً . .

وكل واحد من هؤلاء الوزراء يدير وزارته على النحو الذى يراه هو . . فهو يهدم ويبنى ويعدل ويبدل على مزاجه . . فهو رجل

موثوق به وبس . ومن الممكن بل ومن المؤكد أنه سوف يصطدم بزملائه لأنه ليس هناك اتفاق بينهم على عمل شىء . . ومن أهم إنجازات الوزير أن يؤكد للناس أن سلفه كان حمارًا وأنه لم يفهم ولم يعمل ولم ينجز . . وبعد أن يؤكد للناس ذلك . . ويتوهم أن الناس صدقوه ، يبدأ هو يثبت للناس أنه هو الآدمى . . هو الرجل (الفهيم) الذى يعرف . . وأنه لا قبله ولا بعده ، وعندما يصل الوزير إلى هذه المرحلة يكون قد جاء دوره لكى يختفى ويظهر وزير آخر يؤكد لنا أنه كان حمارًا ، ولكننا لم نبين ذلك - يعنى - ونحن حمير أيضًا وإلا كيف صدقناه ؟ ! .

وزارة العلماء هذه ليست وزارة واحدة ، ولكنهم مجموعة من الوزراء يتكون منهم وزارة غير منسجمة . . تمامًا كالعازفين الذين يعزفون فى أوقات مختلفة نوتة موسيقية مرتجلة ، وكل واحد يعزف ما فى دماغه . . فلا يوجد عندهم نص يلتزمون به ، ولذلك فهم خارجون عن النص . . وعن أى عزف مسرحى . .

وهذا النوع من الحكومات لا يزال موجودًا فى العالم الثالث . .

وهناك حكومة (علمية) أى حكومة لها سياسة ثابتة . . أو سياسة قد وضعها الحزب وعرضها على المؤسسات الدستورية . وأقرت هذه الأجهزة معًا سياسة الدولة . . أو استراتيجية الدولة فى الحكم وفى تصريف شئون الدولة فى داخل البلاد وخارجها . ثم اختار الحزب الحاكم عدداً من رجاله ينفذون هذه السياسة . . ويضيفون إليها ما يرونه مناسباً ، دون الخروج على هذا النص . .

ويظل الوزير فى مكانه ما دام ينفذ هذه السياسة ، فإذا فشل وجب عليه أن يتنحى ليجىء غيره . .

فالسياسة هى الثابتة والوزراء هم المتغيرون ، الوزراء منصب سياسى أولاً وأخيرًا . .

وقد اتبعت الدول الاشتراكية كلها هذه السياسة . .

أما الدول الرأسمالية فقد اتخذت شكلا قريبًا ولكن أكثر حرية واستقرارًا أيضًا . .

ففى أمريكا مثلا نجد :

الحكومة الأمريكية . .

والإدارة الأمريكية . .

الحكومة هى طاقم الوزراء والوكلاء والمدراء الذين اختارهم الرئيس الجديد . اختارهم معاونين له . .

وقد يظن الناس أن الطاقم الجديد سوف يعمل مابدا له . . يغير ويبدل ويقلب على كيف كيفه . ولكن الواقع غير ذلك تمامًا . فلا خلاف بين الرؤساء الأمريكان ، السياسة واحدة . . وإنما يختلفون فى التفاصيل . . ولكن السياسة الداخلية والخارجية لا تختلف . بل كثيرًا ما سأل الرئيس الأمريكى خصومه والحزب المعارض والرئيس السابق والأسبق . . لأنه لابد أن يكون لأمريكا خط واحد ، على الأقل فى مواجهة العالم الخارجى . .

أما الإدارة الأمريكية فهى التى استقرت عندها قواعد الحكم فى الداخل ومسارات الحكم فى الخارج . . فلا خلاف بين

جميع حكومات أمريكا فى موقفها من الشرق الأوسط .. ومن الخلافات العربية العربية والعربية الفارسية والعربية الإسرائيلية . من الذى عنده قواعد اللعبة السياسية ؟ إنها (الإدارة) الأمريكية .. أى عند الوكلاء والمدراء وفى مجلسى البرلمان ولجانهما المتخصصة ..

مثلا : قرر الرئيس بوش أن يبقى صدام حسين فى حكم العراق ليظل خصمًا قويًا ضد حافظ الأسد وإيران .. لأن الأمريكان لم يروا بديلاً عنه .. ولأنه ليس من المصلحة اغتياله وإحداث اضطرابات تضعف العراق .. فالعراق يجب أن يبقى قوياً ، كانت له زعامة ، فأصبحت له زعامة جريحة .. ولا بد أن يبقى مخيفًا لدول الخليج ، ولذلك تظل دول الخليج تشترى السلاح وتنفق عليه ألوف الملايين تذهب إلى أمريكا وأوروبا وبعض دول أمريكا اللاتينية .. وفى نفس الوقت تدعو كل هذه الدول إلى السلام ..

وموقف أمريكا من إقامة دولة للأكراد لم يتغير .. وهذا العطف الإنسانى على الأكراد والبكاء على حاضرهم ومستقبلهم وتوزيع التهم على الدول التى تقسو على الأكراد .. وبس ! أى أن الرئيس الأمريكى لا يعد هؤلاء الأكراد بقيام دولة مستقلة ؛ لأن قيام دولة مستقلة معناه : اقتطاع جزء من أرض تركيا وسوريا والعراق وإيران ، أى إغضاب هذه الدول من أجل «شوية» مسلمين لا طلعوا ولا نزلوا .. ولم يختلف ريجان عن بوش عن كلينتون .

يعنى أن هناك سياسة واحدة . لماذا ؟ لأن أمريكا تتغير حكوماتها ، ولكن الإدارة واحدة ! .

وبريطانيا عندها سياسة ثابتة .. أو هناك موضوعات يجب ألا يتعرض لها أى إنسان لا بالنقد ولا المزايدة فى الانتخابات العامة . أما الأحزاب فلتأت بأى عدد من الوزراء من كل لون ونوع ..

فهناك قضايا لا تتعرض لأية مناقشة أو اجتهاد : أن الدولة نظامها ملكى .. أن الديانة بروتستانتية .. لا أحد يتعرض لسياسة الأمن القومى ، ولا العلاقة الأبدية بين بريطانيا ودول الكومنولث .. أما ما عدا ذلك فلتفعل أية حكومة ما بدا لها ..

وكما أن فى أمريكا (إدارة) ففى بريطانيا الوكلاء الدائمون .. هؤلاء هم الإدارة البريطانية والتقاليد والأعراف ، وهم مصدر الثبات والاستقرار فى وجهة النظر البريطانية فى الداخل والخارج ..

ولماذا كل هذه المقدمة الطويلة ؟ .

لكى نهتدى معًا إلى سر الخيبة فى إدارة شئون الحكم فى مصر .. أو فى الإدارة (الوزيرية) وليست (الوزارية) لشئون مصر - أى قرارات الوزير وليست خطة الوزارة كلها .. أو بعبارة أخرى : نحن نواجه قرارات وزيرية ، لا قرارات وزارية أو حكومية .. لأن لدينا عددًا من العازفين لا تربطهم نوتة موسيقية واحدة .. وليس لهم مايسترو .. ولذلك فنحن لم نستنكر عشرات السنين أن نجد

المرحوم أحمد فؤاد حسن صاحب وقائد الفرقة الماسية يديرها بظهره . . يتقدم الفرقة ويعزف هو أيضًا ويدير الفرقة . . يعزف بيد ويدير الفرقة باليد الأخرى مع النظر إلى المطرب ، وليس لضبط إيقاع جميع العازفين . . وكذلك تدار الحكومة عندنا . . يظهر السيد رئيس الوزراء وفى نفس الوقت هو يعزف ويتساقط من الأعياء . .

يعنى إيه ؟ .

لقد ذهبت أتفرج على القرى التى وزعتها وزراة الزراعة على الشباب من الخريجين . . وزارة الزراعة أعطت كل شاب خمسة أفدنة مزروعة . وأقامت بيتاً متواضعًا . . والبيت له حوش يمكن لصاحبه أن يتوسع فى البناء كما يريد . . وجعلت البيت واحدًا فى قرية لها اسم تاريخى . ورصفت الطرق . . وشقت الترع . . وأقامت الجسور وأعمدة النور ومحطات رفع المياه . .

أما هذا الشباب فليس دائمًا خريج كلية الزراعة أو المعاهد الزراعية . . أى لم يفلح الأرض . ولذلك فهو فى حاجة إلى تلقين وتدريس وتجربة ، ووزارة الزراعة تفعل ذلك .

والآن نحن على مدى سطور من لب المشكلة . . بل أمام مشكلة مشاكل الشباب ، فليست مشاكل مصر كلها ، والصراحة واجبة . . تمامًا كمصارحة المريض ليعمل حسابه هو وأهله . .

بعد أن تسلم الشباب الأرض والبيت ، انتهى وزير الزراعة . انتهى دوره تمامًا .

يجىء دور وزير الرى الذى يطلق المـاء ، وهو الذى يجب أن يدير محطات الرى وصيانتها .. وتقع الخلافات بين الوزيرين .. فكل واحد لا يريد أن ينفق مليمًا أكثر .. فوزير الرى يريد أن تنفق وزارة الزراعة على المهندسين وأن تساهم فى تكاليف معيشتهم .. وتجىء المياه أو لا تجىء .. وقد سمعت من عدد كبير من الشبان أنهم هجروا أرضهم لأن الماء قد تأخر عنهم بسبب (السدة الشتوية) عشرين يومًا وثلاثين فماتت النباتات كلها ومعها كل آمال هذا الشباب الذى باع ما فى يده وأصابع زوجته .. ولذلك وجدناه قد فتح دكاناً للبقالة ..

والطرق المرصوفة تتبع وزير المواصلات ، وهو الذى يجب أن يصون الطرق .. وهو الذى يجب أن يضع عليها البوابات لحمايتها من اللوريات التى تهرب من دفع جنيه الصيانة .. ولو شاء وزير الزراعة أن يقفل الطريق لجاء البوليس ومنعه ؛ لأنه ليس من اختصاصه ولا من حقه ..

أما أعمدة النور فهى تتبع وزير الطاقة فهو الذى يضىء وهو الذى يظلم .. وهو الذى يجعل الموتورات فى المحطات تعمل أو لا تعمل ..

وإذا أراد وزير الزراعة أن ينفق من القروض والمنح ، فإن وزير المالية يطلع عينه .. ثم لا يدفع له ما يستحقه .. وفى نفس الوقت هو الذى ينشف ريق الشباب إذا أراد قرضًا ميسرًا .. أو غير ميسر ..

وبعد ذلك كله أو قبل ذلك لا يوجد من يتحدث إلى هؤلاء الشباب فى أمورهم الخاصة أو السياسية أو الدينية . .

ثم إن هناك سرقات مؤلمة . . مثل سرقة الموتورات . . أو سرقة البيوت . . فلا يوجد رجال أمن فى هذه القرى . . وسرقة موتورات تلخبط حياة أى شاب ؛ لأنه لابد أن يدفعه بالتقسيط .

ولكن لابد من الدفع حتى يأتوا له بموتور آخر وإلا ماتت الأرض التى جاء ليعيش عليها ومن دخلها . يعنى إيه ؟ .

يعنى أن العادة عندنا فى مصر إذا وجدنا وزيرًا يتصدى لقضية تركناه وحده ووقفنا نتفرج عليه . .

مثلاً وزير الداخلية يواجه وحده الإرهاب والعنف . . . مع أن الإرهاب ليس من أوله لآخره قضية تتعلق بالأمن . . فليس الإرهابيون مجموعة من النشالين أو اللصوص . . وإنما فهمهم الخاطئ للدين جعلهم يبررون السرقة والقتل . إذن فالمشكلة ليست السرقة . وإنما المشكلة هى الفهم الخاطئ للدين الذى جعلهم يتوهمون أنهم فى حرب مقدسة ضد المجتمع الكافر . والمجتمع الكافر هو كل الناس فيما عداهم ، وهذا منتهى الخطأ فلسنا كفرة ، وليسوا هم المؤمنين وحدهم . بل إنهم ليسوا مؤمنين . . بل هم مجرمون يتجنون على الدين الحنيف . ولكن وزير الداخلية يعمل عندما يقع عدوان على حقوق الآخرين ، وهذا هو واجبه ، ولكن هناك واجبات لآخرين ، من رجال الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية . كل هؤلاء يجىء دورهم قبل دور وزير الداخلية ، ولكن العادة عندنا أن نترك وزير الداخلية

يواجه ويخاطر ويتصدى ونحن واقفون نتفرج عليه وكأن الأمر لا يعنينا .. أو البلد لا يهمنا .. أو كأن الخراب ليس شاملاً لكل مصر ، حاضرًا ومستقبلاً ..

أعود إلى موقف وزير الداخلية وأتساءل : من هؤلاء الشبان الذين يواجههم ؟ من أين جاءوا ؟ وبماذا جاءوا ؟ وكيف يمسكون المصحف فى يد و (الطفاشة) فى يد .. أو المصحف فى يد والقنبلة فى اليد الأخرى ؟ .

أنا أقول لك : هؤلاء الشبان يرون أن مصر كافرة ، وأن الذى يحكمها هو الشيطان ، وأن هذا الشيطان يأمر بما نهى الله عنه .. ولذلك فمحاربة مصر واجب . وقتل الكفرة ضرورة . وما يحصل عليه أى شاب فى هذه الحرب فهى غنائم حرب ..

ولما كان المجتمع المصرى كافرًا ، فقانونه كافر .. ولذلك إذا تزوج الشاب المتطرف . فإنه لا يحتاج إلى مأذون أو إلى قانون لتوثيق الزواج .. لأنه لا يعترف لا بالدولة ولا بالمأذون ولا بالقانون .. ويكتفى برضا وقبول زوجته .. ولذلك فمعظم الزيجات غير موثقة .. وما دام المؤمنون أقلية والكفرة أغلبية فالأقلية لها حاكمها أميرها سيدها .. هو الذى يأمر وينهى ، وهو الذى يأمر بالزواج والطلاق .. إلخ .

كل هذه القضايا ليست من اختصاص وزير الداخلية وحده ولا وزير الثقافة ولا وزير الإعلام ولا من اختصاص وزير الأوقاف الضاحك دائمًا - الحقيقة أنه لا يضحك ، وإنما هو يكشر عن أنيابه فقط ولذلك فلا أحد يصدقه - إن عامة الناس لا يصدقون

حلها : أن تكون عندنا وزارة . . لا وزراء . .

أن تكون عندنا حكومة لها إدارة ، وليست حكومة لها مديرون كل واحد يفعل ما يشاء عندما يشاء لمن يشاء وضد من يشاء . . وهناك إجماع بين الوزراء أن يعمل كل واحد لوزارته هو ، ولا شأن له بالوزير الآخر - كيف ذلك ؟ .

أى كيف تعطى أرضا لا يرويها وزير الرى ؟ وكيف نعطى محطات لا تصلها الكهرباء ؟ . .

أو كيف نعطى أرضًا وبيتًا لشباب لا يملك شيئًا ثم لا نقرضه؟ . . أو كيف نعطى كل ذلك ثم نترك الشباب ضالين بلا هداية من أحد من العلماء أو الأطباء أو رجال الأمن ؟ . .

إن مشكلة الشباب فى مصر ليست الشباب أنفسهم ، وإنما مشكلتهم هى الوزراء الذين انشغلوا بأنفسهم عن ٢٥ مليون شاب

تريدهم أن يبنوا مصر على طريقتهم . . وبأحلامهم وآمالهم ولغة عصرهم . .

ولذلك سوف تبقى مشكلة الشباب مشكلة صعبة . . لأننا لا نواجهها بحجمها دائمًا . . نواجهها واحدًا واحدًا - أى وزيرًا وزيرًا .

ولكن لو كانت هناك سياسة واحدة نقول : إن مشكلة الشباب ليس حلها الرياضة ، أى تحريك القدمين والذراعين فقط ، وليس حلها أن يأكل ويشرب ، ولا أن يتزوج ويكون له أولاد وأن يبيع ويشترى ويكسب ويتفسح بعد ذلك ، وأن ينتمى إلى مصر التى أعطته والتى احترمته . .

ومادام الشباب لا يجد كل ذلك فى كل وقت ، فسوف تبقى هناك مشكلة للشباب ، ليس الشباب هو وحده المشكلة ، ولكن الذين يديرون شئونه هم المشكلة اليوم . . وغدًا ! .

سؤال أخير : ما هى العلاقة بين الشباب عمومًا والإرهاب خصوصًا ؟ . . أو ما هى العلاقة بين ملايين الشباب ومئات الشباب من نوع خاص ؟ العلاقة هى : الغضب .

فالذى لا يغضب ليس شابًا .

فإذا لم يتحقق ما يغضب منه الشاب فإنه يسخط ، وينتقل من السخط إلى العنف . . والفرق بين الغضب والعنف ، كالفرق بين البخار الذى يخرج من براد الشاى ، والبخار الذى يدفع عجلات القطار على قضبان متجهًا إلى محطات متعددة ووفقًا لجدول . . أى وفقًا لخطة . .

فالغضب سخط لم ينظم ..

والسخط غضب قد انتظم وانضبط واتجه نحو هدف .

ومن الواجب علينا نحن الأكبر سناً أن نعرف الفوارق بين هذه الحالات النفسية .. وأن نساعد على الوعى بها .. والتوقف عندها ..

وكما أن كل شاب لابد أن يكون غاضبًا على الواقع وعنده أمل فى إصلاحه ، فهناك شباب غاضب على جزء من الواقع ، ولكن ليس عنده أمل فى الإصلاح ..

والذى عنده أمل هو الشخص الإيجابى ، والذى لا أمل عنده فهو الشخص السلبى ..

والسلبى إما أن ينسحب من المجتمع ، باللامبالاة وعدم المشاركة ، أو الاستغراق فى المخدرات المادية أو المخدرات العقلية .. المهم أنه يلجأ إلى وسيلة (تحذفه) من المجتمع .. أى تضيعه على المجتمع ..

والذى له موقف إيجابى إما أن يعتدى على المجتمع .. أو ينتظم فى جماعات تعمل على العداء للناس .. وأن تكون لهم نظرية فى السياسة أو فى الدين ..

يعنى إيه ؟ .

يعنى أن هؤلاء الشباب الذين أعطيناهم الأرض وتجاهلنا كل احتياجاتهم الأخرى ، فكأننا وضعناهم فى سجن واسع ، وأعطيناهم كل مبررات الغضب والسخط والثورة على كل شىء ..

فكأننا بذلك لم نحل مشكلة وإنما نحن قمنا بتربية مشكلة لتصبح المشكلة معضلة .. وتصبح المعضلة عقدة مزمنة لا حل لها !.

والسبب وراء كل ذلك : أنه لا توجد خطة ، لا توجد فلسفة .. لا توجد نظرية لمواجهة وحل وحسم متاعب الشباب . ويجب أن نفهم جميعًا أنه لا توجد مشكلة يمكن أن يحلها واحد ، ولا أن يحلها عشرات فى يوم وليلة .. ولذلك يجب أن يكون معلومًا لدينا جميعًا صغارًا وكبارًا أننا نواجه حاضرًا واحدًا صعبًا . ولأنه صعب يجب أن يكون موضوع نظر وسمع وفكر وصبر الجميع ..

فالمطلوب : أن يصبر بعضنا على بعض وإلا ...

- أرجو أن تعاود قراءة السطور السابقة ! .

* * *

إلا رجلين : الشيخ الشعراوى والدكتور طنطاوى .. والدكتور طنطاوى أشجع وأجرأ ..

يعنى إيه ؟ .

يعنى كما ترى ، فإن إعطاء قطعة أرض فوقها بيت ليست مشكلة وزير الزراعة ، وإنما هى مشكلة لأنه لا يوجد أى اتفاق بين الوزراء على حلها ، لماذا ؟ لأنه لا توجد سياسة عامة ، لا توجد فلسفة لاحتواء الشباب ودفعهم إلى الأمام ، لا تحت الأقدام ..

هذه المشكلة ما حلها ؟ .

حلها : أن تكون عندنا وزارة .. لا وزراء ..

أن تكون عندنا حكومة لها إدارة ، وليست حكومة لها مديرون كل واحد يفعل ما يشاء عندما يشاء لمن يشاء وضد من يشاء .. وهناك إجماع بين الوزراء أن يعمل كل واحد لوزارته هو ، ولا شأن له بالوزير الآخر - كيف ذلك ؟ .

أى كيف تعطى أرضا لا يرويها وزير الرى ؟ وكيف نعطى محطات لا تصلها الكهرباء ؟ ..

أو كيف نعطى أرضًا وبيتًا لشباب لا يملك شيئًا ثم لا نقرضه؟ .. أو كيف نعطى كل ذلك ثم نترك الشباب ضالين بلا هداية من أحد من العلماء أو الأطباء أو رجال الأمن ؟ ..

إن مشكلة الشباب فى مصر ليست الشباب أنفسهم ، وإنما مشكلتهم هى الوزراء الذين انشغلوا بأنفسهم عن ٢٥ مليون شاب

الفهرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ
أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 – فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2 – عاشوا فى حياتى.
3 – إلا قليلاً.
4 – طلع البدر علينا.
5 – البقية فى حياتى.
6 – نحن أولاد الغجر.
7 – من نفسى.
8 – حتى أنت يا أنا.
9 – أضواء وضوضاء.
10– كل شيء نسبى.
11– لأول مرة.
12– شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13– الحائط والدموع.
14– وجع فى قلب إسرائيل.
15– الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل).
16– عبد الناصر – المفترى عليه والمفترى علينا.
17– فى السياسة (3 أجزاء).
18– الدين والديناميت.
19– لا حرب فى أكتوبر ولا سلام.
20– السيدة الأولى.
21– التاريخ أنياب وأظافر.
22– الخالدون مائة – أعظمهم محمد (ﷺ).
23– على رقاب العباد.
24– ديانات أخرى.
25– وكانت الصحة هى الثمن.
26– الغرباء.
27– الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28– عزيزى فلان.
29– هى وغيرها.
30– بقايا كل شيء.
31– يا من كنت حبيبى.
32– قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسرى فريدريش ديرنمات:
33– رومولوس العظيم.
34– زيارة السيدة العجوز.
35– زواج السيد مسيسبى.
36– الشهاب.
37– هى وعشاقها.
** للأديب السويسرى ماكس فريش:
38– أمير الأراضى البور.
39– مشعلو النيران.
** للأديب الفرنسى جان جيرودو:
40– من أجل سواد عينيها.
** للأديب الأمريكى آرثر ميللر:
41– بعد السقوط.
** للأديب الأمريكى تنسى وليامز:
42– فوق الكهف.
** للأديب الأمريكى يوجين أونيل:
43– الإمبراطور جونس.
** للأديب الفرنسى يوجين ليونسكو:
44– تعب كلها الحياة.
** للأديب الفرنسى أداموف:
45– الباب والشباك.
** للأديب الإسبانى أرابال:
46– ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47– الحنان أقوى.
48– من أول نظرة.
49– طريق العذاب.
50– ألوان من الحب.
51– شباب.. شباب.
52– مذكرات شاب غاضب.
53– مذكرات شابة غاضبة.
54– جسمك لا يكذب.
55– الذين هاجروا.
56– غرباء فى كل عصر.
57– أظافرها الطويلة.
58– هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.
60- الحب الذى بيننا.
61- عذاب كل يوم.
62- كيمياء الفضيحة.
63- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.
65- الذين عادوا إلى السماء.
66- القوى الخفية.
67- أرواح وأشباح.
68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبى:

69- يسقط الحائط الرابع.
70- وداعًا أيها الملل.
71- كرسى على الشمال.
72- ساعات بلا عقارب.
73- مع الآخرين.
74- شىء من الفكر.
75- لو كنت أيوب.
76- يعيش.. يعيش.
77- الوجودية.
78- طريق العذاب.
79- وحدى.. مع الآخرين.
80- ما لا تعلمون.
81- لحظات مسروقة.
82- كتاب عن كتب.
83- أنتم الناس أيها الشعراء.
84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
85- أوراق على شجر.
86- فى تلك السنة.
87- دراسات فى الأدب الأمريكى.
88- دراسات فى الأدب الألمانى.
89- دراسات فى الأدب الإيطالى.
90- فلاسفة وجوديون.
91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم فى 200 يوم.
93- بلاد الله خلق الله.
94- غريب فى بلاد غريبة.
95- اليمن ذلك المجهول.
96- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.
97- أطيب تحياتى من موسكو.
98- أعجب الرحلات فى التاريخ.
99- ماذا يريد الشباب؟
100- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101- مدرسة الحب.
102- حلمك يا شيخ علام.
103- مين قتل مين؟
104- جمعية كل واشكر.
105- الأحياء المجاورة.
106- سلطان زمانه.
107- العبقرى.
108- كلام لك يا جارة.
109- فوق الركبة.
110- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
111- يوم بيوم.
112- إنها الأشياء الصغيرة.
113- إلا فاطمة.
114- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

115- حقنة بينج.
116- اتنين.. اتنين.
117- عريس فاطمة.
118- من الذى لا يحب فاطمة؟
119- غاضبون وغاضبات.
120- هى وغيرها.
121- هى وعشاقها.
122- العبقرى.
123- القلب أبدًا يدق.
124- يعود الماضى يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125- ثم ضاع الطريق.
126- النجوم تولد وتموت.
127- هناك أمل.
128- أحب وأكره.
129- الحيوانات ألطف كثيرًا.
130- مصباح لكل إنسان.
131- أتمنى لك.
132- لعل الموت ينسانا.
133- اقرأ أى شىء.
134- ولكنى أتأمل.
135- حتى تعرف نفسك.
136- الحب والفلوس والموت.. وأنا.

137- نحن كذلك !!
138- اللهم إني سائح.
139- كائنات فوق.
140- تعال نفكر معًا.
141- آه لو رأيت !
142- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
143- انتهى زمن الفرص الضائعة !
144- هناك فرق.
145- الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثاني.
146- يا نور النبي.
147- وأنت ما رأيك؟
148- حضارة الإوز والبقر.
149- حلمنا الجميل.
150- ضاع الجيل ضاع.
151- قالوا (الجزءان الأول والثاني).
152- وآخرتها.
153- من أول السطر.
154- أظافرها الطويلة.
155- القلب لا يمتلئ بالذهب.
156- تكلم حتى أراك.
157- الذي خرج ولم يعد.
158- ليلة في بطن الحوت.
159- والله زمان يا حب.
160- أجيال من بعدنا.
161- قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

162- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.
163- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
164- (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.
165- (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.
166- (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.
167- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

168- الفلسفة الوجودية الألمانية ـ لإميل تسلر.
169- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.
170- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.
171- مسرح العبث الفرنسي - لإتيان ماريبو.
172- الفيلسوف الروسي برديائف - لفيكتور لوزتسيف.
173- من كيركجور إلى مارسيل - لأنطوان بابيف.
174- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.
175 - رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.
176- فاشلون لكن نبلاء - لجان ماري روار.
177- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن هيدجر.
178- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.
179- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.
180- كروتشه فيلسوف الحرية - لإيزابيلا دلورنتس.
181- شمعة في كل طريق.
182- أكثر من رأي.
183- معذبون في كل أرض.
184- تعالوا نفكر.
185- معنى الكلام..!
186- اللعب غريزة منظمة.
187- في انتظار المعجزة!
188- وأنا اخترت القراءة.
189- من أجل عينيها.

